القلزم للدراسات التاريخية والحضارية

مجلة علمية محكمة

تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان

بالشراكة مع الأتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك

ISSN:1858-9952

في هذا العدد :

- دراسة في التاريخ السياسي لوقائع وأحداث عام 1924 م في السودان
  أ.د عادل علي وداعه عثمان
- الاستراتيجية الصّهيونيّة في الشرق الأوسط والمشروع الصهيو- أمريكي
  أ.د. نعمان عاطف عمرو - د. عبدالكريم نجم
- من مظاهر التراث الروحي والاجتماعي للشيخ مختار الكنتي في سودان وادي النيل
  د. خالد محمد فرح
- الرياضة العربية الأصيلة في المملكة العربية السعودية(الفروسية والهجن أنموذجاً)
  د. أمل مطر العصيمي
- الاضطرابات التي واجهت مالية مكة المكرمة في عهد السلطان مصطفى الثالث (1171 - 1188هـ / 1757 - 1774م)
  أ. أحمد محمد محسن العامودي
- أمهات الخلفاء العباسيين وأثرهن على ولاية العهد(132- 334هـ/750- 945م) (دراسة تاريخية)
  أ. سعد بن عيسى حسين المزيني
- دور بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- في العهد النبوي (12ق.هـ- 11هـ/ 611 - 632م) (دراسة تاريخية حضارية)
  أ. سامية عبدالرازق عبدالغفور عبدالستار
- قوات الدفاع السعودي في عهد الملك عبدالعزيز (1319 - 1373هـ/1902 - 1953م) (دراسة تاريخية حضارية)
  أ. عبدالله سعيد فاضل العمري
- الاكتشافات الأثرية في منطقة تـــبـــوك وأبرز مواقعها
  أ. بديعه بنت عطيوي عايض العتيبي
- دور أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- في العهد النبوي(27 ق .هـ – 74 هـ/ 595–693 م)
  أ. نجلاء محمد أحمد الجعوري

العدد الواحد الثلاثون - ذو الحجة 1445هـ - يونيو 2024م

مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية علمية دولية محكمة

العدد الواحد والثلاثون-ذو الحجة 1445هـ - يونيو 2024م

ISSN: 1858 - 9952 ردمك

دار آريثيريا للنشر والتوزيع

Arrythria for Publishing and Distribution

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
مجلة القلزم:Alqulzum Journal for
Historical and cultural Studies
الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2024
تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع -السوق العربي
السودان - الخرطوم
ردمك: 1858-9952

مجلة القلزم للدراسات التاريخية و الحضارية

هيئة التحرير

المشرف العام

أ.د.إبراهيم البيضاني

رئيس هيئة التحرير

أ.د.حاتم الصديق محمد احمد

رئيس التحرير

د. عوض أحمد حسني شبا

سكرتير التحرير

د.سلوى التجاني فضل جبر الله

التدقيق اللغوي

أ.الفاتح يحيى محمد عبد القادر

الإشراف الإلكتروني

د. محمد المأمون

التصميم الداخلي

أ. عادل محمد عبد القادر

تصميم الغلاف

ايلين عبد الرحيم ابنعوف

الهيئة العلمية و الإستشارية

أ.د. حسن أحمد إبراهيم-السودان

أ.د. سارة بنت عبد الله العتيبي- المملكة العربية السعودية

أ.د. أسامة عبد الرحمن الأمين- السودان

أ.د. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب- السودان

أ.د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس - جمهورية مصر العربية

أ.د. السماني النصري محمد أحمد - السودان

د. أحمد الياس الحسين - السودان

د. داود ساغه محمد عبد الله- السودان

د. سلطان أحمد الغامدي- المملكة العربية السعودية

د. سامي صالح عبد المالك البياضي- مصر

د. محمد أحمد زروق- المغرب

د. سعاد عبد العزيز أحمد السودان

د . أحمد محمد مركز- السودان

د. باب ولد أحمد ولد الشيخ سيديا- موريتانيا

د. عزة محمد موسى - السودان

د. حنان عبد الرحمن عبد الله التجاني- السودان

د. ربيعة أحمد عمران المداح- ليبيا

د. أمل عبد المعز صالح الحميري- جامعة صنعاء اليمن

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة

تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (القُلزم) للدراسات التاريخية و الحضارية مجلة علمية محُكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان . بالشراكة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التاريخية والحضارية والمواضيع ذات الصلة لدول حوض البحر الأحمر من الناحية التاريخية والحضارية.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشارك إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً وبالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R,).
6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف البريد الإلكتروني).

نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.

المحتويات

دراسة في التاريخ السياسي لوقائع وأحداث عام 1924 م في السودان.....(7-22)

أ.د عادل علي وداعه عثمان

الاستراتيجية الصّهيونيّة في الشرق الأوسط والمشروع الصهيو- أمريكي.....(23-46)

أ.د. نعمان عاطف عمرو – د. عبدالكريم نجم

من مظاهر التراث الروحي والاجتماعي للشيخ مختار الكنتي في سودان وادي النيل.....(47-62)

د. خالد محمد فرح

الرياضة العربية الأصيلة في المملكة العربية السعودية(الفروسية الهجن أنموذجاً).....(63-82)

د. أمل مطر العصيمي

الاضطرابات التي واجهت مالية مكة المكرمة في عهد السلطان مصطفى الثالث (1171 - 1188هـ / 1757 - 1774م).....(83-106)

أ .أحمد محمد محسن العامودي

أمهات الخلفاء العباسيين وأثرهن على ولاية العهد(132- 334هـ/750- 945م) (دراسة تاريخية)...(107-142)

أ. سعد بن عيسى حسين المزيني

دور بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- في العهد النبوي (12ق.هـ - 11هـ/ 611 - 632م) (دراسة تاريخية حضارية).....(143-160)

أ.سامية عبدالرازق عبدالغفور عبدالستار

قوات الدفاع السعودي في عهد الملك عبدالعزيز (1319 -1373هـ/1902 -1953م)(دراسة تاريخية حضارية)...(161-202)

أ.عبدالله سعيد فاضل العمري

الاكتشافات الأثرية في منطقة تـــبـــوك وأبرز مواقعها.....(203-220)

أ.بديعه بنت عطيوي عايض العتيبي

دور أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- في العهد النبوي(27 ق . هـ – 74 هـ / 595 – 693 م)....(221-230)

أ.نجلاء محمد أحمد الجعوري

كلمة التحرير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين.

القارئ الكريم:

بعد السلام وكامل التقدير والاحترام يسعدنا أن نضع بين يديك هذا العدد من مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية الذي يأتي في إطار الشراكة العلمية المثمرة والجادة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين (الدنمارك).

القارئ الكريم:

هذا هو الواحد والثلاثون من المجلة بفضل الله وتوفيقه بعد نجحت المجلة بواسطة هيئتها العلمية والاستشارية وهيئة تحريرها في إصدار تسع وعشرون عدداً من المجلة الأمر الذي يضع الجميع أمام تحدٍ كبير يتمثل في بذل المزيد من الجهد بغرض التطوير التحديث والمواكبة لتصبح هذه المجلة في مصاف المجلات العالمية الرائدة بإذن الله.

القارئ الكريم:

نأمل أن يكون هذا العدد أكثر شمولاً وتنوعاً من حيث المواضيع وطريقة طرحها وتحليلها ومعالجتها. ونسأل الله تعالى أن يجد المهتمين والمختصين والباحثين في هذا العدد ما يفيدهم ويضيف للبحث العلمي.

وأخيراً نجدد شكرنا وامتنانا لكل الذين أسهموا في إنجاح هذا العدد من باحثين، ومحكمين ونجدد دعوتنا للجميع بأن أبواب النشر مشرعة في جميع مجلات القلزم العلمية المتخصصة.

أسرة التحرير

دراسة في التاريخ السياسي لوقائع وأحداث عام 1924 م في السودان

أ.د عادل علي وداعه عثمان

جامعة سنار

المستخلص:

هدفت هذه الدراسة إلى تحليل احداث ووقائع عام 1924م في تاريخ السودان الحديث من وجهة نظر تاريخية وسياسية ،وتنبع أهمية تلك الأحداث و الوقائع في أنها نقلت المقاومة السودانية للاحتلال البريطاني من النمط التقليدي إلى النمط الحديث القائم على التكوينات التنظيمية والسياسية وفقا لبرامج واهداف محددة، وهي محاولة لإيجاد توصيف علمي دقيق لطبيعة تلك الأحداث التي أجبرت الادارة البريطانية على تغيير سياستها تجاه قادة الحركة الوطنية السودانية ،واتبعت الدراسة منهج البحث التاريخي الذي يعتمد على الوصف من حيث جمع وترتيب المادة من مصادرها الأولية ومن ثم استقرائها وتحليلها وعرضها، ومن أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة أن ما حدث في عام 1924م يعد مقاومة وطنية هدفها تحرير وتقرير مصير السودان من الاستعمار وتحقيق وحدة وادي النيل، وتوصي الدراسة بالمزيد من البحث والتقصي لطبيعة تلك الأحداث.

الكلمات المفتاحية: الادارة البريطانية في السودان، جمعية الاتحاد السوداني، جمعية اللواء الأبيض، المدرسة الحربية

study in the political history of the facts and events of the year 1924 in Sudan

Prof. Adil Ali Widaa

Abstract:

This study aimed to analyze the events and facts of the year 1924AD in the modern history of Sudan from a historical and political point of view. The importance of these events and facts stems from the fact that they transferred the Sudanese resistance to the British occupation from the traditional style to the existing modern style. On the organizational and political formations in accordance with specific programs and objectives, which is an attempt to find an accurate scientific description of the nature of those events that forced the British administration to change its policy towards the leaders of the Sudanese National Movement, the study followed the historical research approach that relies on the description In terms of collecting and arranging the material from its primary sources and then extrapolating, analyzing and presenting it, one of the most important results reached by the

study is that what happened in 1924AD is national resistance whose is to liberate and determine the fate of Sudan from colonialism and achieve the unity of the Nile Valley, The study recommends further research and investigation into the nature of these events.

Keywords: British administration in Sudan , Sudanese union association, white flag association , Military school

مقدمة:

النشاط السياسي في السودان بعد الحرب العالمية الأولى :تمكنت الادارة البريطانية في السودان من قمع حركات المقاومة السودانية المناهضة لها والتي اندلعت في الفترة 1900-1920م متخذة الطابع الديني والقبلي، لأنها حركات متفرقة لم يكن بينها تنسيق ولم تكن مؤهلة سياسيا وعسكريا لإسقاط الاحتلال ،فهي مقاومة حملت عوامل فنائها في داخلها بتشتتها وعوزها لبرنامج وطني يلبي طموحات الجماهير، فاستندت على قوة اجتماعية ضعيفة أدت دورها في ظروف تاريخية مختلفة عما هو ماثل، مما سهل على الحكومة القضاء عليها بسهولة ويسر. [1]وكان للسياسات الاقتصادية والتعليمية التي اعتمدتها الادارة البريطانية في السودان أثرها في رفع الوعي الاجتماعي، وذلك بافتتاح عدد من المدارس والمعاهد وتأسيس كلية جامعية في الخرطوم الأمر الذي أدى إلى شيوع التعليم الحديث والذي شكلت مخرجاته البشرية قاعدة متينة لمقاومة الاستعمار، ولعبت السياسات الاقتصادية المتمثلة في إنشاء مشروع زراعي مروي في أرض الجزيرة، ونهوض الحركة التجارية واتصالها بالأسواق العالمية، وربط البلاد بشبكة خطوط للسكك الحديدية من وادي حلفا إلى الخرطوم ثم بعد ذلك إلى سواكن و ود مدني والأبيض، وتشييد ميناء بورتسودان في عام 1909دورا محوريا في نمو وتطور الحركة الوطنية في السودان لتأخذ المقاومة نمطا وطنيا وسياسيا جديدا. [2]

لم تمض الحرب العالمية الأولى دون أن تترك آثارها العميقة على حركات التحرر الوطني في بلدان العالم الثالث فتأثر السودان بها، فنقاط الرئيس الأمريكي ولسون التي بشر فيها شعوب المستعمرات منحها حق تقرير المصير بعد نهاية الحرب، وقيام الثورة العربية المسلحة في عام 1916م بقيادة الشريف حسين بن علي والتي أدت إلى تزايد الشعور القومي لدى العرب ،ومطالبتهم بالاستقلال فاندلعت ثورات معادية للاستعمار في العراق وسوريا وفلسطين ولبنان، وانتصار الثورة الاشتراكية في روسيا أكتوبر 1917م، فضلا عن تصاعد الحركة الوطنية المصرية وانطلاق ثورة 1919م بقيادة سعد زغلول والتي حققت مطالبها بإلغاء الحماية البريطانية على مصر، كلها عوامل القت بظلالها الإيجابية على سير الأحداث في السودان، فنشأت الجمعيات السياسية السرية، لترتقي المقاومة الوطنية وتأخذ شكلا جديدا خلافا لما كان سائدا قبل الحرب، وتكمن السودانيون من تكوين عدد من الجمعيات السرية كنتاج لواقع سياسي جديد يقترن بالأوضاع السائدة والتي تحتاج إلى دقة في التنظيم والترتيب، ومن بين تلك الجمعيات التي أسست خلال تلك الفترة التاريخية، جمعية اليد السوداء وجمعية وحدة السودان مع مصر، وجمعية الهلال، وجمعية الدفاع عن السودان، وجمعية إتحاد القبائل السودانية، وجمعية أبناء النيل، غير أن أهم هذه الجمعيات وابقاها أثرا جمعيتا الاتحاد السوداني واللواء الأبيض. [3]

جمعية الاتحاد السوداني:

تأسست جمعية الاتحاد السوداني في ام درمان عام 1920م،ومؤسسوها الأوائل محي الدين جمال أبوسيف، وتوفيق أحمد البكري، وبشير عبدالرحمن، وثلاثتهم طلاب في كلية غردون، بينما يرى فريق من المؤرخين السودانيين أن من اسسها عبيد حاج الأمين وتوفيق صالح جبريل، وسليمان كشة، وابراهيم بدري،وجميعهم أعضاء في نادي الخريجين الذي شيد في عام 1918م،وانضم للجمعية في بواكير عهدها عبدالله خليل، ومحمد صالح الشنقيطي، وخلف الله خالد، وخليل فرح، وبابكر قباني ومحمد عبدالله العمرابي،وجمع بين هؤلاء واولئك هواية قراءة الأدب والنقد والصحف والمجلات المصرية والاستماع للشعر والموسيقى.[4] مما دفع الانجليز إلى القول أن من أسس جمعية الاتحاد السوداني هم أبناء العائلات العريقة ذات النفوذ الاجتماعي، وأن نشاطها اقتصر على الجانب الثقافي وبالتالي لم تشكل عليهم خطرا.[5] وانحصرت أهداف ومبادئ الجمعية في نقدها للسياسة البريطانية في السودان، والتي لم تجلب للبلاد اي منفعة، بل اثقلت كاهلهم بالضرائب والاتاوات، فضلا عن نهبها لموارد السودان وحرمان أهله من التمتع بها، وتصرفها في اراضي مشروع الجزيرة دون رضى الأهالي متجاوزة تقاليدهم الموروثة، ويقول محي الدين جمال أبوسيف أحد مؤسسي الجمعية أن هدفها الدعوة لوحدة وادي النيل شماله وجنوبه للوقوف سدا منيعا في وجه السياسات البريطانية لا سيما بعد قمع الانجليز للحركات والهبات المناوئة لهم في مصر والسودان.[6] ويقوم نشاط جمعية الاتحاد على السرية المطلقة، معتمدة على نظام الخلايا الحزبية، فكل خلية ينضوي تحت لوائها خمسة أعضاء، ينتخبوا من بينهم من يمثلهم في المجلس الأعلى للجمعية والتي اصبح عبيد حاج الأمين قائدها ومفكرها الأول، ولم يكن الانضمام للجمعية بالأمر الهين، إذ كانت تسبقه فترة تمحيص وفحص دقيقين للمتقدم، يخضع خلالها للمراقبة وإذا اجتاز هذه الخطوات ينال شرف الالتحاق بالجمعية، وكان لهذا التشدد وتلك القيود التي وضعتها القيادة أن بدأت الجمعية نشاطها بعدد قليل من العضوية وكان ضروريا في تلك المرحلة، ومن ثم اتسع نطاقها وتمددت عضويتها. وتتلخص أشكال العمل الجماهيري للجمعية في كتابة المنشورات السرية واتقان توزيعها، واقامة الندوات والمحاضرات الأدبية والمهرجانات الثقافية في نادي الخريجين، والكتابة في الصحف المصرية، ونجحت الجمعية في إستغلال النشاط الأدبي والثقافي في نادي الخريجين لإبراز نشاطها السياسي ومن خلاله تمكنت من بث الدعاية لأهدافها وبرنامجها السياسي، وتمكنت من نشر الوعي الوطني وتهيئة النفوس لمواجهة الاحتلال.[7] وفي عام 1923م وبعد مرور ثلاث سنوات من العمل السري الشاق

اندلع صراع داخل الجمعية بين مؤيد للعمل السري ومعارض له،وبالتالي وقع الانقسام الحاد في صفوفها، تيار يقوده عبيد حاج الأمين والعناصر المؤيدة له ويدعو إلى العمل الجماهيري العلني الواسع ومواجهة المستعمر مواجهة مباشرة، والتيار الاخر يدعو إلى الاستمرار في العمل السري ومزاولة الأنشطة الثقافية والأدبية بحجة أن التنظيم لم يبلغ المرحلة التي تمكنه من مواجهة الادارة البريطانية. وهكذا استمر الصراع داخل صفوف الجمعية بين تيارين تيار ثوري يدعو للمفاصلة، وتيار معتدل يعطي الأولوية للبناء التنظيمي الداخلي، وكانت المخابرات البريطانية تراقب نشاط الجمعية منذ فترة وتمكنت من اختراقها واستمالت إلى جانبها سليمان كشة أحد أعضائها المؤسسين فكانت تلك الضربة القاضية التي أدت إلى حلها[8]

لقد كانت جمعية الاتحاد السوداني أول التنظيمات السياسية السرية تكوينا، ومثل تكوينها نقلة نوعية في العمل السياسي والوطني في السودان، ولعل مؤسسيها قد تحلوا بقدر من الشجاعة فاستهانوا بوظائفهم وبوضعهم الاجتماعي في سبيل التحرر الوطني، ويمثل تكوين هذه الجمعية نقطة تحول في ساحة العمل السياسي والوطني منتقلة بالمقاومة إلى آفاق جديدة مع مراعاة قدرات وامكانات المحتل وطبيعة المرحلة التاريخية وظروفها الموضوعية. والسؤال الذي يطرح نفسه هل تباين الآراء حول اسلوب عمل الجمعية هو السبب الوحيد الذي قاد إلى انقسامها؟.يرى عدد من المؤرخين أن السبب المحوري الذي أدى إلى انقسام جمعية الاتحاد السوداني هو الخلاف حول منهجية العمل، فعبيد حاج الأمين ومجموعته رأوا أن الوقت قد حان لأن تغير الجمعية خطها السياسي والتنظيمي إذ ما عادت الأساليب السرية والأنشطة غير المباشرة ذات جدوى فعالة، بينما اعترض تيار كبير من أعضاء الجمعية وايد الاستمرار في النشاط السري بحجة أن البلاد لم تنضج لتستوعب نشاطا علنيا والدخول في معركة مفتوحة مع الانجليز. [9] ويرى آخرون أن سبب الانقسام دعوة بعض أعضاء الجمعية للتمسك والاستعانة بالزعامات القبيلة والدينية والطائفية لكي تتحدث باسم السودانيين في المنابر الرسمية والمفاوضات التي تجرى بين دولتي الحكم الثنائي من حين لآخر، بحجة أن هؤلاء الزعماء مفوضين من الشعب السوداني بحكم وضعهم الاجتماعي، فاحتجت مجموعة عبيد حاج الأمين على هذا الزعم وعارضته بشده [10]. وبعد أن تبنت جمعية الاتحاد السوداني شعار وحدة وادي النيل وجعلته هدفا لها، اندفعت الادارة البريطانية في السودان الاستعانة ببعض القيادات الدينية والقبلية الموالية لها للوقوف ضد هذا الشعار وضد التوجه نحو مصر كليا، بل وصل الأمر بالدعوة لأن تنفرد بريطانيا بحكم السودان، ،واستبعاد مصر وتجاوز اتفاقية الحكم الثنائي الموقعة بين الدولتين في يناير 1899مما دفع الحكومة المصرية للاحتجاج لدى رئيس الحكومة البريطانية تحت دعاوى أن بعض الموظفين البريطانيين في السودان يشجعون حركة مصطنعة ترمي إلى انفصال السودان عن مصر، وجاء رد الحكومة البريطانية سريعا بالنفي والانكار تشجيعهم لأي حركة سياسية في السودان ترمي لانفصاله عن مصر[11]. وفي إطار الجهود الثقافية لجمعية الاتحاد السوداني تمكن سليمان كشة من جمع عدد من القصائد والاشعار ونشرها في كتيب وصف في مقدمته الشعب السوداني بأنه(شعب عربي كريم)وذلك في مطلع عام ١٩٢٣ ،وصادف في ذلك الوقت أن انضم علي عبداللطيف إلى الجمعية بعد خروجه من السجن وايمانه بأهداف وشعارات الجمعية، فاحتج علي عبد اللطيف على ذلك الوصف، إذ كان يرى أن يكتب بدلا عنه (شعب سوداني كريم)فكان الخلاف حول هوية السودان أحد انقسام الجمعية. [12] وصفوة القول تعد جمعية الاتحاد السوداني أول التنظيمات السياسية السرية تكوينا، ومثل تكوينها نقلة نوعية في ساحة العمل السياسي في السودان، وتحل مؤسسوها بقدر من الشجاعة فاستهانوا بوظائفهم في سبيل التحرر الوطني، ومثل تكوينها ايضا نقطة تحول في العمل الوطني منتقلة بالمقاومة إلى آفاق جديدة ،آخذين في الاعتبار قدرات وامكانات المحتل ،وطبيعة المرحلة التاريخية وظروفها الموضوعية، غير أن مجموعة من الأسباب والعوامل تضافرت وادت إلى انقسامها وحلها.

جمعية اللواء الأبيض:

بعد الانقسام الذي وقع في صفوف جمعية الاتحاد السوداني، خرج التيار المتشدد واعلن عن تنظيم نفسه في جمعية جديدة في أكتوبر 1923باسم جمعية الشبيبة السودانية، ولكن سرعان ما تغير الاسم

الى جمعية اللواء الأبيض في مايو ١٩٢٤،[١٣]وقام هيكل الجمعية التنظيمي على نظام الخلايا السرية، وتراس مكتبها السياسي والتنظيمي علي عبداللطيف الذي ولد في وادي حلفا عام ١٨٩٦ وينحدر والده من جبال النوبة، وتنتمي أمه إلى قبيلة الدينكا، وترعرع طفولته هناك ثم انتقلت الأسرة إلى الخرطوم حيث تلقى فيها تعليمه والتحق بالمدرسة الحربية وتخرج ضابطا برتبة ملازم في عام ١٩١٧.[١٤]وتنقل في مراكز الجيش المختلفة فعمل نائبا للمأمور في ودمدني، وذكرت بعض المصادر التاريخية انه أسس في ود مدني جمعية اللواء الأبيض أثناء فترة عمله بها، ولكن الثابت تاريخيا أن الجمعية التي اسسها في ودمدني حملت اسم إتحاد القبائل السودانية. [١٥]ويمكن القول أن النشاط السياسي لعلي عبداللطيف قد بدأ في ودمدني عندما ارسل في مايو ١٩٢٢ مقالا إلى جريدة حضارة السودان التي يرأس هيئة تحريرها حسين شريف بعنوان (مطالب الأمة السودانية)طالب فيه بمنح السودانيين الحق في حكم أنفسهم، وهاجم السياسة البريطانية تجاه السودان متهما إياها بالسعي لفصل السودان عن مصر، والانفراد بحكمه، ووصف الذين وقعوا على عريضة الولاء للحكم البريطاني أنهم لا يمثلون الا أنفسهم، وأشار إلى فداحة الضرائب وثقلها على السودانيين، ودعا إلى التوسع في التعليم، والقضاء على احتكار الحكومة لتجارة السكر، وانتقد سياسة الادارة البريطانية في الجزيرة ونزعها للأراضي قسرا وتسليمها للشركة الزراعية الانجليزية. [١٦]

لقد تسربت وذاعت محتويات المقال ووصل صداه إلى الادارة البريطانية في السودان، فقام مدير المخابرات باقتحام مكاتب الجريدة وتمكن من ضبط المقال وأخذه عنده، وتم القاء القبض على كاتبه علي عبداللطيف وعلى رئيس تحرير جريدة الحضارة ،على الرغم من أن المقال لم ينشر، وقدم علي عبداللطيف إلى المحاكمة في ١٤ يونيو ١٩٢٢ بتهمة كتابة مقال يثير الكراهية ضد الدولة، وادانته المحكمة وعاقبته بالسجن لمدة عام وفصل تلقائيا من الجيش بعد المصادقة على الحكم. [١٧] وبعد خروجه من السجن في أبريل ١٩٢٣ اتجهت الانظار إليه بوصفه بطلا قوميا في نظر السودانيين مدنيين وعسكريين، فقام باتصالات مع بعض أعضاء جمعية الاتحاد السوداني اثمرت عن تأسيس جمعية اللواء الأبيض برئاسته،تقديرا لدوره الوطني ،وعضوية عبيد حاج الأمين ،وصالح عبدالقادر، وحسن صالح المطبعجي، وحسن شريف. [١٨] ومثل هؤلاء النفر خليطا من القبائل والأصول العرقية والأثنية المختلفة، وبذا صارت قاعدتها الاجتماعية اكثر اتساعا وشمولا من جمعية الاتحاد السوداني، وضمت بين ظهرانيها العمال والحرفيين والموظفين والمزارعين والضباط، فصارت تجمعا وطنيا عريضا قوي الارادة نافذ المفعول، ارتقت بالعمل السياسي والتنظيمي إلى آفاق أرحب، بشعاراتها السياسية واهدافها الوطنية وملامستها للقوى الاجتماعية الجديدة في المجتمع السوداني. وتمددت الجمعية وصارت لها فروعا في اقاليم السودان ومدنه المختلفة في بورتسودان وودمدني وعطبرة والأبيض وسنار وكسلا وحلفا وغيرها من المدن، بيد أن قوة الجمعية وثقلها كان مرتكزا في الجيش وقطاع الموظفين حيث حظي علي عبداللطيف بالاحترام والتقدير في صفوف الجيش، وكان لعبيد حاج الأمين قبولا في أوساط الموظفين. [١٩]ولم يكن العمال بمعزل عن احداث عام ١٩٢٤ فاستطاعت جمعية اللواء الأبيض عن طريق علي أحمد صالح النقابي العمالي في عطبرة جذب عدد من العمال إلى صفوفها، وبرز من العمال

في جمعية اللواء الأبيض عثمان أحمد سعيد، العامل بمصلحة الأشغال،ورمضان محمد من مصلحة البواخر بالخرطوم ،وبذلا جهدا كبيرا للحصول على تأييد العمال وجذبهم إلى الجمعية، ومن العمال الذين

كان لهم دور فعال إبان الأحداث التهامي محمد عثمان، الذي كان يعمل نجارا بالري المصري، وكان لفرع جمعية اللواء الأبيض وسط العمال محاولات جادة وصلات مع اتحاد عام نقابات وادي النيل في مصر، والذي تأسس في مارس ١٩٢٤ بقيادة عبدالرحمن فهمي، وتتلخص أشكال مشاركة العمال في المظاهرات وتوزيع المنشورات والملصقات والدعاية والترويج لأهداف الجمعية وسط العمال. [٢٠] واولت جمعية اللواء الأبيض اهتمامها بالمزارعين في مشروع الجزيرة، فاوكلت إلى أحمد باخريبة أمر تنظيمهم، وتعوداهتمامات الجمعية بالمزارعين إلى خلفيات تاريخية ففي موسم ١٩١٨-١٩١٩ قاد حسان محمد امام شقيق عبدالقادر ودحبوبة ومعه نفر كريم من أهالي قرية أم عضام بمنطقة الحصاحيصا حملة للاعتراض على الزيادة في الضريبة التي فرضتها الادارة البريطانية، واجبرت تلك الاحتجاجات مدير مديرية النيل الأزرق النظر في العريضة التي رفعها المحتجون وتخفيض الضريبة ، واستغلت الجمعية ايضا سياسة الحكومة تجاه الأراضي في الجزيرة، فقد ذكر حسين شريف في مقال لصحيفة التايمز (Times) الانجليزية ان من أسباب قيام وتكوين جمعية اللواء الأبيض السياسات الإدارية الخاطئة التي ارتكبتها الحكومة في مشروع الجزيرة بخصوص الأراضي، وتعد تلك الجهود الرامية لاستيعاب المزارعين والعمال في تنظيم الجمعية محاولة لصياغة برنامج اقتصادي اجتماعي عريض وبناء جبهة شعبية تتجز مهام المرحلة الوطنية الجديدة. [٢١] ومشاركة المرأة السودانية في العمل السياسي والوطني قديمة، فلقد اشتركت على الصعيد الجماهيري من خلال قبيلتها، فساهمت في دفع الحركة الجماهيرية،غير أن قمة مشاركتها في العمل السياسي تنعكس بوضوح في المناطق التي تكون فيها أكثر ارتباطا بالعمل الانتاجي ،وبالتالي أكثر تحررا،وبعد الحرب العالمية الأولى وجد تعليم البنات دفعة قوية فتم تأسيس خمسة مدارس أولية كما افتتحت مدرسة لتدريب المعلمات بأم درمان في أبريل ١٩٢١ ،فكان التعليم العامل الأساسي في ميلاد الحركة النسائية بشكلها الحديث، وبالتاكيد أن وعي المرأة باضطهادها ومشاركتها في الحركة الوطنية سبق تعليمها كما ذكرنا انفا، فهناك دور معلوم لنساء ساهمن في العمل السياسي الوطني مثل مبروكة فوز صاحبة الصالون الأدبي والسياسي في ام درمان، ونفيسة سرور احمد والعازة محمد عبدالله ،اللائي كان لهن دورا ومساهمة كبيرة في العمل السياسي السري لجمعية اللواء الأبيض. (٢٢)وبتول محمد عيسى التي القي القبض عليها وتم حبسها في السفينة التي اعتقل فيها طلاب المدرسة الحربية بالخرطوم بعد مظاهرتهم.[٢٣] وتمثلت اهداف جمعية اللواء الأبيض وفقا لدستورها في خدمة المثل الوطنية في السودان، ورفض فصله عن مصر، وتوحيد الجهود لإجلاء الانجليز عن وادي النيل، مستخدمة أدوات التظاهر والاحتجاج بهدف مساعدة الطرف المصري في المفاوضات مع بريطانيا، ويمكن أن تكون للجمعية رغبة في الاتحاد مع مصر أو الاستقلال عنها في إطار الوحدة، وتكمن قيمة هذا الفهم الوحدوي في أنه شكل أول محاولة للارتقاء بمستوى العلاقة مع مصر إلى منحى جديد، مما فتح الوعاء التنظيمي لبعض المصريين الانتساب للجمعية لمجابهة العدو المشترك بينهما، وانعكس أثر ذلك في الشعار الذي اتخذته الجمعية رمزا لها وبه خريطة وادي النيل، أما مالية الجمعية فاعتمدت على رسوم الدخول واشتراكات الاعضاء الشهرية والتبرعات. [٢٤]

النشاط السياسي والعسكري لجمعية اللواء الأبيض:

بعد مرور أكثر من عشرين عاما على تمرد الكتيبة العسكرية السودانية في أواخر يناير ١٩٠٠،وعلى النقيض من حركات المقاومة الأولية ذات الطابع الديني والقبلي، انطلقت حركة ١٩٢٤بدوافع وطنية لإنجاز

اهداف سياسية، لعب فيها المدنيون والجيش دورا كبيرا، كما انخرط طلاب المدرسة الحربية والجنود في الأحداث، وكان ذلك نتاجا لتراكم نضال طويل خاضه الشعب السوداني ضد الاحتلال البريطاني ،وبدأت جمعية اللواء الأبيض نشاطها السياسي عندما أرسلت برقية إلى الحاكم العام في ١٦ مايو ١٩٢٤ احتجت فيها على السياسات الرامية لفصل السودان عن مصر، وطالبت وبشدة بحق السودانيين في حكم بلادهم، وتوثيق اواصر الوحدة بين مصر والسودان لتحقيق الجلاء عن وادي النيل.[٢٥]وفي يوم ١٤ يونيو ١٩٢٤ أرسلت جمعية اللواء الأبيض برقية إلى البرلمان المصري بمناسبة افتتاحه وتكوين أول وزارة مصرية برئاسة سعد زغلول ،جاء فيها(نحن المجتمعون هنا من أهالي السودان،نتقدم بإخلاصنا وولائنا لصاحب الجلالة المليك المفدى ونشارككم في هذا العيد السعيد،ولا نخشى من الوعد والوعيد ولا نرضخ للنار والحديد) ووقع على هذه البرقية أعضاء القيادة الخمسة، وعندما نشرت الصحف المصرية البرقية قامت الادارة البريطانية في السودان بنقل ثلاثة من الموقعين عليها إلى مناطق بعيدة عن الخرطوم، عقابا لهم وردعا للآخرين ،فلم يبق في الخرطوم الا علي عبداللطيف وعبيد حاج الأمين،ثم اوعزت للعناصر المؤيدة لسياساتها جمع توقيعات تنادي بالانفصال عن مصر، ووضع السودان تحت الحماية البريطانية. [٢٦] ومن ثم قررت الجمعية في منتصف يونيو ١٩٢٤ إرسال وفد إلى مصر، لتوضيح رأيهم حول مستقبل بلادهم للساسة المصريين ،وليستعين به سعد زغلول في مفاوضاته مع الحكومة البريطانية، وتكون وفد الجمعية من زين العابدين عبد التام ممثلا للمكون العسكري في الجمعية،ومحمد المهدي الخليفة عبد الله ممثلا للمكون المدني، وعلى الرغم من السرية التي احاطت بسفرالوفد تمكنت السلطات الحكومية من كشف أمرهما، وقامت باعتقالهما في وادي حلفا واعادتهما إلى الخرطوم تحت الحراسة المشددة، ولما عرف أعضاء الجمعية أن وصولهما إلى الخرطوم سيكون في يوم ١٧ يونيو ١٩٢٤ نظمت مظاهرة لاستقبالهما، فتوجه حشد كبير من الجمهور تقدمه علي عبداللطيف وعبيد حاج الأمين، إلى محطة السكة حديد بالخرطوم، ولكن السلطات انزلتهم في محطة الخرطوم بحري تحسبا لما سيحدث في الخرطوم من انفجار جماهيري، واحتجاجا على هذه الإجراءات بعثت جمعية اللواء الأبيض في ١٧ يونيو ١٩٢٤برقية إلى مجلس النواب المصري، ونقابة الصحفيين المصريين احتجت فيها باسم الأمة السودانية على سياسة التطويق والتضييق التي مارستها الادارة البريطانية للحيلولة دون سفر الوفد إلى مصر، وطالبت بإلحاح شديد تدخل الحكومة المصرية في الأمر. [٢٧]وتمكن فرع جمعية اللواء الأبيض في ام درمان من تنظيم مظاهرة ضخمة في يوم ١٩ يونيو ١٩٢٤ ،وصفها احمد محمد يس أحد المشاركين فيها بأن بدايتها كانت بعد تشييع جثمان عبد الخالق حسن مأمور ام درمان، وكان من الاداريين المحبوبين لدى عامة الناس ،وعرف بنبل أخلاقه وكريم سجاياه فشيعه الآلاف ،ونعاه صديقه توفيق وهبي قاضي محكمة ام درمان الجزئية بخطاب بليغ ،فنهض الشيخ عمر دفع الله وهتف بحياة مصر وسقوط الانجليز، وردد الحاضرون هتافه بحماسة وقوة وسار الجميع في مظاهرة صاخبة تحركت من المقابر وطافت بأنحاء ام درمان حتى وصلت إلى سوقها. [٢٨]

لقد سجلت ام درمان العاصمة الوطنية للسودان موقفا صارما وملحمة بطولية تضاف إلى ارثها النضالي العريض، واستطاعت ثورة جماهيرها أن تتقدم بثبات وجسارة في معركة استمرت حتى مغيب شمس ذلك اليوم، وقبض على الشيخ عمر دفع الله وحكم عليه بالسجن شهرين والغرامة خمسة جنيهات، وفي

اليوم التالي ٢٠يونيو انتقلت الأحداث إلى الخرطوم حيث القى الشيخ حسن الأمين الضرير ،امام وخطيب الجامع الكبير خطبة عصماء هاجم فيها بريطانيا وسياساتها تجاه الأراضي في مشروع الجزيرة، حاثا على التمسك بحقوق مصر في السودان لكي لا تنفرد بريطانيا بحكمه.[٢٩] واصدر مدير مديرية الخرطوم في يوم ٢٢يونيو ١٩٢٤ أمرا بمنع المظاهرات والتجمعات، ولكن الحلول الأمنية لن تحل الأزمة العميقة التي تمر بها البلاد، ولن توقف المد الثوري الجماهيري، بعدما فشل النظام الاستعماري في تقديم الحلول، فرفضت الجماهير ذلك القرار ونظمت جمعية اللواء الأبيض بمدينة الخرطوم مظاهرة في يوم ٢٣يونيو ١٩٢٤ تحركت من جوار الجامع الكبير واتجهت إلى المحطة الوسطى، مرددة شعارات الجمعية المتمثلة في رفض السياسة البريطانية في السودان، والدعوة لوحدة وادي النيل، وتأييد الحكومة المصرية وزعيمها سعد زغلول. [٣٠] واستمرت جمعية اللواء الأبيض في مواصلة النهوض الجماهيري بأشكال مختلفة بتنظيم وتوسيع دائرة الاحتجاجات فقاد أعضاؤها حملة لتوزيع المنشورات والبيانات في الأسواق واماكن التجمعات، ووضع الملصقات في الأماكن العامة ،ومواصلة تنظيم المظاهرات في الخرطوم وأم درمان لتصل إلى مدن السودان المختلفة،وسط حراك متميز في عطبرة وبورتسودان وودمدني وشندي وكوستي والأبيض وملكال، رغم القمع والضرب الذي مارسه البوليس تجاه المتظاهرين، ولجات الادارة البريطانية إلى اعوانها والمعارضين لجمعية اللواء الأبيض ونشاطها السياسي، فاجتمع نفر منهم في ام درمان وحرروا مذكرة إلى الحاكم العام استنكروا فيها نشاط الجمعية واسلوبها في التعامل مع الحكومة، مؤكدين أنها لا تحظى بتاييد الشارع السوداني وزعاماته التقليدية ،ولا سند لها إلا الرعاع والغوغاء. (٣١)ويقترحون لتهدئة الرأي العام إدخال إصلاحات إدارية وهي محاولة لامتصاص المد الجماهيري المتنامي بأحداث إصلاحات دستورية وتغييرات شكلية تبقي على جوهر النظام الاستعماري وسلطاته المطلقة وهي معالجات ثبت فشلها عبر التاريخ. وفي الثالث من يوليو ١٩٢٤ ارسل علي عبداللطيف برقية إلى رئيس الحكومة البريطانية وإلى الصحافة البريطانية احتج فيها على سياسة الادارة البريطانية بادعائها بحقوقها في السودان ،وضمه إلى مستعمراتها وفصله عن مصر، فتم اعتقاله وقدم للمحاكمة وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات، والتي قيادة الجمعية إلى عبيد حاج الأمين، والذي كان له موقفا ورايا في استمرار المظاهرات طالما أنها تقود إلى اعتقالات قادة واعضاء الجمعية والزج بهم في السجون، وكان من رأيه إيقاف موجة المظاهرات بعد أن نجحت الجمعية في إنجاز أهدافها وإظهار ارادتها [٣٢]ولكن رغم هذا لم تتوقف حركة المظاهرات كليا بل انحسر مداها، وفي الثلاثين من يوليو اعتقل عبيد حاج الأمين وعدد من أعضاء الجمعية وتم ايداعهم السجن، لينتقل سير الأحداث بعد ذلك إلى المكون العسكري للجمعية والذي لم يكن بمعزل عن التطورات، فاعلن انحيازه لصف الوطنيين حماية لهم ولتظاهراتهم، ودعما لمجريات الحركة الوطنية السودانية. وفي صباح يوم السبت ٩اغسطس ١٩٢٤ خرجت أول مظاهرة عسكرية نفذها طلبة المدرسة الحربية بالخرطوم، والأسباب التي دعتهم لتنظيم هذه المظاهرة يمكن تلخيصها في الطريقة التي اتبعت في منح الشهادات لخريجي المدرسة مقارنة مع الطريقة المتبعة في المدرسة الحربية بالقاهرة، ومعارضتهم لسياسات الادارة البريطانية بخصوص الأراضي في مشروع الجزيرة، وإصرار الحكومة على تجزئة وادي النيل، وفصل السودان عن مصر ،وتاييدهم لجمعية اللواء الأبيض ورفضهم القاطع لاعتقال علي عبداللطيف ورفاقه،ويقول محمد عثمان عبدالبخيت أحد طلاب المدرسة الحربية:بأنه

قد سرى النشاط السياسي وسطهم بسبب تصرفات الانجليز واعوانهم، مما دعانا لعقد اجتماع سري مساء الجمعة ٨ أغسطس قررنا فيه ان نخرج في صباح الغد في مظاهرة نعبر فيها عن سخطنا واحتجاجنا على مظالم الانجليز في السودان ونؤيد فيها اتجاهنا نحو مصر.،(٣٣) وخرج طلاب المدرسة الحربية في صباح السبت ٩ أغسطس واتجهوا اولاً إلى محطة السكة حديد بالخرطوم ليتمكن المسافرون من نقل خبر المظاهرة إلى اقاليمهم كما ينقل خبرها المودعون إلى ذويهم بالعاصمة وانضم جزء منهم إلى المتظاهرين وهم يهتفون بحياة مصر والسودان، ومن محطة الخرطوم انطلقت المظاهرة إلى منزل علي عبداللطيف ،وادوا التحية العسكرية امام المنزل، وخرجت لهم زوجته العازة محمد عبدالله ومعها نساء الحي يحيين الطلاب بالزغاريد ،وفي ميدان عباس (الأمم المتحدة)حاول البوليس اعتراض المظاهرة فكان ردهم حاسما ان من يعترضهم سيلقى حتفه، فانسحب البوليس من أمامهم، وواصل المتظاهرون سيرهم حتى بلغوا قصر الحاكم العام وهتفوا بحياة سجناء اللواء الأبيض، وبحياة مصر والسودان، وسقوط الانجليز ،واستمرت المظاهرة في سيرها وعبرت كبري النيل الأزرق إلى السجن العمومي في كوبر وادوا التحية العسكرية للسجناء السياسيين وهتفوا بحياة علي عبداللطيف ووحدة وادي النيل. [٣٤]وقد وصف أحمد خير مظاهرة مظاهرة طلاب المدرسة الحربية قائلا:كانت مفاجأة سارة وعنيفة معا لجموع السودانيين، فخرجت من حناجرهم الهتافات، وذرفت عيونهم دموع الغبطة، فقد خرج أهل العاصمة تضامنا مع طلبة المدرسة الحربية، فسدوا الشوارع والطرقات والميادين، يحيون الطلبة ويشاركونهم الهتاف، لقد كانت مظاهرة رشيقة أنيقة سار موكبها في الشوارع في الشوارع الرئيسة في روعة ومهابة،وفي دقة ونظام. [٣٥]وبعد أن أدت المظاهرة مهمتها بنجاح واوفت بأغراضها رجع الطلاب إلى داخلياتهم فوجدوا أن السلطات جردتها من الأسلحة والذخيرة، واحاطتها بقوة من الجيش، وطلبوا من الطلاب تسليم اسلحتهم، فرفض الطلاب بل استعدوا للصدام، لو لا تدخل بعض الضباط السودانيين لتسوية الموقف ،فاشترط الطلاب أن تنسحب القوة الانجليزية مقابل القاء سلاحهم، فوافقت القيادة الانجليزية على ذلك، وبقي الطلاب ثلاثة أيام داخل سور المدرسة، ومن ثم تم ترحيلهم إلى سجن عائم عبارة عن باخرتين اوقفتا في وسط النيل الأزرق قبالة كلية غردون ،إلى تمت محاكمتهم في ٢٧ أغسطس ١٩٢٤ فحكم عليهم بالسجن لفترات تتراوح بين خمس وثمان سنوات والطرد من الجيش وإغلاق المدرسة الحربية. [٣٦]وفي نفس اليوم الذي اندلعت فيه مظاهرة طلبة المدرسة الحربية بالخرطوم، خرج جنود الكتيبة العسكرية في عطبرة في مظاهرة تهتف بوحدة مصر والسودان، وانضم المدنيون إليها ولكن تمكنت السلطات من قمعها بعنف مفرط بعد أن تسبب المتظاهرون في إتلاف مباني السكك الحديدية وورش الصيانة، وأدى العنف تجاه المتظاهرين إلى استشهاد خمسة اشخاص، وجرح أكثر من عشرين، أدى تشييعهم إلى تجمع سياسي كبير، مما دفع الحاكم العام إلى إصدار أمر بحل الكتيبة العسكرية في عطبرة. [٣٧] وامتدت المظاهرات إلى الوحدات العسكرية الأخرى في مدن السودان، ففي مدينة واو احتج افراد كتيبتها العسكرية في ١٥ سبتمبر ١٩٢٤ على رفع المصري القديم ذو اللون الأخضر بدلا عن العلم الأحمر، وارسلوا برقية احتجاج لوزير الحربية، واتهمت السلطات البريطانية بعض الضباط المصريين والسودانيين بأنهم وراء الحادث فقامت بمحاكمتهم فنقل البعض ووبخ البعض الآخرين، وفي ملكال اقامت الكتيبة العسكرية احتفالا في ٢١ سبتمبر ١٩٢٤ بمناسبة عيد الأضحى المبارك خاطبه قائد الكتيبة العسكرية بخطاب ندد فيه بالاستعمار ،وطالب بخروج الانجليز من البلاد، فتم

اعتقاله مما دفع افراد الكتيبة الخروج في مظاهرة شاهرة هتاف وحدة مصر والسودان وسقوط الانجليز، فتم القبض على عدد من الضباط وحوكموا بالسجن وتخفيض رتبهم العسكرية، وفي تلودي تذمر ضباط الكتيبة العسكرية من قرار طرد الجيش المصري من السودان، فاجتمع ستة من الضباط السودانيين مع اخوانهم المصريين داخل ثكناتهم واقسموا بالا يخرجوا لطابور طرد منه الضباط المصريين، وكان ذلك في يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤ ،فتم وضعهم في الحبس الإجباري، وفي يوم ٢٥ نوفمبر توجه أربعين جنديا إلى مكان اعتقال الضباط وكاد أن يتفاقم الأمر، ولكن بعد جهود كبيرة استسلم الثوار في ٢٨ نوفمبر، واعتقل الضباط الستة وارسلوا إلى الخرطوم، وتمت محاكمتهم وسرحت الكتيبة العسكرية في تلودي ،وفي الأبيض اشتركت كتيبة الهجانة في المظاهرات حيث طاف افرادها في المدينة مرددين الهتافات المنادية بحياة مصر والسودان. [٣٨] وبلغت الاضطرابات في السودان ذروتها بعد مظاهرة طلبة المدرسة الحربية في الخرطوم، والكتيبة العسكرية في عطبرة وإطلاق النار على المتظاهرين، فأرسلت الحكومة المصرية خطابا إلى الحكومة البريطانية في ١٥ أغسطس ١٩٢٤، قالت فيه أنها تتابع بكل حزن واسى الأحداث الاليمة في السودان والتي اعتبرتها نتيجة طبيعية لسياسات الادارة البريطانية في السودان، وجاء رد الحكومة البريطانية سريعا أعلنت فيه عن تمسكها وتصميمها على حفظ الأمن والنظام في السودان، وانها اتخذت قرارا بإبعاد الجيش المصري عن السودان، ورد سعد زغلول رئيس الحكومة المصرية في ٢٢ أغسطس ١٩٢٤ رافضا أن يكون للحاكم العام الحق في اتخاذ القرار بإبعاد الجيش المصري دون الرجوع للحكومة المصرية، ووسط هذه الظروف المعقدة اغتيل في القاهرة في ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ السير لي ستاك سردار الجيش المصري وحاكم عام السودان، لتتفاقم التطورات في السودان وتأخذ منحى خطرا. [٣٩]

الصدام المسلح:

انتهزت بريطانيا مقتل السير لي ستاك في القاهرة فرصة لتحقيق أهدافها في السودان، ومبتغاها بالانفراد بحكمه، فتقدمت ببرقية في ٢٢ نوفمبر ١٩٢٤ إلى رئيس الحكومة المصرية طالبت فيها بالاتي:(٤٠)

- أن تقدم الحكومة المصرية اعتذارا عن الجناية.
- أن تلقي القبض على الجناة وتنزل بهم اشد العقوبات.
- أن تقمع وبشدة كل مظاهرة سياسية.
- أن تدفع للحكومة البريطانية غرامة مقدارها نصف مليون جنيه.
- أن تصدر خلال أربع وعشرين ساعة الأوامر بإرجاع جميع الضباط المصريين ووحدات الجيش المصري من السودان.
- إطلاق يد حكومة السودان وزيادة مساحة الاطيان التي تزرع في الجزيرة من ثلاثمائة الف فدان إلى مقدار غير محدود.
- أن تعدل الحكومة المصرية عن كل معارضة لرغبات الحكومة البريطانية فيما يتعلق بحماية المصالح الأجنبية في مصر.

وهكذا اسفرت بريطانيا عن حقيقة مطالبها بعد مقتل السير لي ستاك، وقبل سعد زغلول رئيس الحكومة المصرية البنود الأربعة الأولى، ورفض تنفيذ باقي المطالب، وكان قبول سعد زغلول لقمع المظاهرات

الشعبية التي حملته إلى رئاسة الوزارة غريبا ومثيرا ودليلا على أنه لم يكن يقدر قوة الجماهير التي تساند حكومته. [٤١]ولكن امام إصرار وتصميم الحكومة البريطانية على القبول الكلي والمطلق لجميع المطالب دفعه لتقديم استقالته ،والتي قبلت في ٢٤ نوفمبر وشكلت وزارة جديدة برئاسة أحمد زيور، رئيس مجلس الشيوخ وقبلت جميع المطالب البريطانية. واصدر هيربرت هدلستون القائم بأعمال الحاكم العام بالإنابة امراً برحيل وحدات الجيش المصري من السودان، فاحتج الضباط والجنود المصريون على هذا الأمر، ورفضت كتيبة المدفعية بقيادة احمد رفعت والكتيبة الثالثة مشاة بقيادة محمد يحيى تنفيذ الأوامر الصادرة اليهم واعلنوا أنهم لن يغادروا البلاد مالم تأتيهم الأوامر من وزير الحربية المصري، فاصدر أحمد زيور اوامره بانسحاب الجيش المصري وعودته من السودان، مما دفع بعض الضباط المصريين لتنسيق جهودهم مع الضباط السودانيين وتم التعاقد والتواثق فيما بينهم بالاتفاق على المقاومة المسلحة لقوات الاحتلال البريطاني. [٤٢]
واصبح هدلستون في موقف حرج إذ لم تكن قوته كافية لتنفيذ الأوامر التي كلف بها بالإشراف على اجلاء القوات المصرية، فعقد مؤتمرا تداوليا للضباط البريطانيين بالخرطوم تقرر فيه استخدام القوة إذا استدعت الضرورة ذلك، كما تم استدعاء فرقة بريطانية للحضور إلى السودان، وفي ٢٧ نوفمبر ١٩٢٤ تحرك عبد الفضيل الماظ من الفرقة الحادية عشرة ومعه قوة عسكرية لم يتجاوز عددها المائة جنديا متجهين من الخرطوم إلى الخرطوم بحري، لينضموا للقوات المصرية، فاعترضتهم قوة انجليزية بالقرب من كوبري النيل الأزرق، ودارت معركة عنيفة منذ الساعة الخامسة مساء الخميس ٢٧ نوفمبر واستمرت حتى صباح اليوم التالي، سقط فيها المئات من جنود الانجليز صرعى، وبعد أن احس الجنود السودانيون بنفاذ ذخيرتهم تفرقوا ولجا عبد الفضيل الماظ إلى مبنى المستشفى العسكري متخذا من إحدى غرفه قاعدة يطلق منها قذائفه، فعجزوا عن الوصول إليه إلى أن استعانوا بطابية الخرطوم والتي استخدمت مدفعيتها الثقيلة لهد المستشفى عليه ووجدوه ممسكا بمدفعه بكلتا يديه. [٤٣] ويصف سيد فرح أحد الضباط الذين شاركوا في المعركة وشكلوا قيادتها إلى جانب عبد الفضيل الماظ وحسن فضل المولى، وثابت عبدالرحيم، وسليمان محمد، وعلي البنا أنه بعد تحركهم بشارع النيل، هتفوا بسقوط الانجليز حتى وصلوا إلى المستشفى العسكري، وكان ذلك نحو الساعة الثالثة من ظهر يوم الخميس ٢٧ نوفمبر، فراينا قوة من الجيش الانجليزي تتحرك نحونا قوامها أكثر من ثمانمائة جنديا فنزلنا إلى حافة الطريق واتخذنا من جدول صغير لمياه الأمطار ساترا لنا، واستمرت المعركة حتى نفدت ذخيرتنا في منتصف الليل، وطلب مني عبد الفضيل أن أعبر النهر سابحا لكي اتصل بالقوات المصرية، ففعلت وعند وصولي وجدت الأمر قد صدر لأحمد رفعت بمغادرة البلاد، وأن الانجليز قد هددوا الملك فؤاد فأرسل على الفور مندوبا منه يحمل أمرا للجنود المصريين بمغادرة السودان، فأصبحت في موقف حرج لاستحالة العودة إلى الخرطوم فرافقت الجيش المصري متنكرا لكي لا ينكشف أمري للإنجليز ،وامضيت بعض الوقت في مصر ومنها إلى ليبيا للانضمام إلى ثوارها بقيادة

عمر المختار. [٤٤]وترتب على عدم ايفاء الكتيبة المصرية بعهدها في مساندة الضباط السودانيين في المعركة ،أن تصاعدت مشاعر العداء نحو مصر وتحول قطاع كبير كان ينادي بوحدة وادي النيل إلى الموقف المضاد ،وانتهزت الادارة البريطانية الفرصة في بناء رأي عام سوداني مؤيد لسياساتها. [٤٥]وبعد انجلاء المعركة تم القبض على بقية الضباط وحكم عليهم بالإعدام رميا بالرصاص نفذ الحكم في ثلاثة منهم هم حسن فضل

المولى وثابت عبدالرحيم وسليمان محمد ،أما علي البنا فاستبدل حكمه من الإعدام إلى السجن مدى الحياة لتعاونه مع المخابرات في أحداث ملكال والتي وقعت في سبتمبر ١٩٢٤. [٤٦] وفي فبراير ١٩٢٥ شكلت محكمة لمحاكمة قادة جمعية اللواء الأبيض فحكم على علي عبداللطيف بالسجن سبع سنوات، والنفي إلى واو، وحكم على عبيد حاج الأمين بالسجن والنفي ايضا إلى واو، حيث توفي فيها عام ١٩٣٢ ،وادعت الادارة البريطانية أن علي عبداللطيف اصيب بمرض عقلي نقل على أثره إلى مصر، وهو في طريقه إلى مصر مرحلا في عام ١٩٣٨توقف القطار في محطة شندي، ووقتها كان حسن نجيلة يعمل مدرسا في شندي، فشاهد علي عبداللطيف ووصفه قائلا:أنه رجل أسود اللون، يرتدي جلابية بيضاء نظيفة جدا، حاسي الرأس، مستديرا الوجه، التفت نحونا وسألنا بصوت جهوري هل هذه شندي؟ فاجبنا نعم، فقال:أين فلان؟ وذكر اسما لم يعرفه اي منا، مع إننا نعرف سكان شندي معرفة جيدة، وفي صباح اليوم التالي أخذنا نسأل عن الشخص الذي ذكره علي عبداللطيف فعرفنا أنه كان جنديا يعمل مع علي عبداللطيف عندما كان ضابطا في الجيش في شندي وتوفاه الله منذ سنوات، فعجبنا لهذا الوفاء النادر، مما يبين انه يمتلك ذاكرة متقدة وأن إصابته بمرض عقلي مجرد ادعاء من الادارة البريطانية، وظل علي عبداللطيف في مصر إلى أن ادركته الوفاة في عام ١٩٤٨[٤٧]

خاتمة:

بدأت الحركة الوطنية السودانية تأخذ مسارا جديدا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وذلك بتكوين وتأسيس التنظيمات السياسية السرية، أقواها وأهمها جمعية اللواء الأبيض التي فجرت احداث عام ١٩٢٤، ويحفظ التاريخ لهذه الجمعية أنها عملت على بناء الارادة الشعبية، والعمل على وحدة السودانيين للقضاء على الاستعمار البريطاني، وعملت ما في وسعها لتوسيع قاعدة المقاومة السودانية وتنظيمها في أكبر جبهة وطنية، على الرغم من الصعوبات والعراقيل التيوقفت في طريقها ،ويبقى السند الفعلي لجمعية اللواء الأبيض استيعابها للموظفين والعمال والطلاب والمزارعين والتجار والنساء وضباط الجيش الوطنيين في بوتقة واحدة لمناهضة الاستعمار، لذلك يحق لنا تفسير احداث عام ١٩٢٤ بأنها حركة سودانية عملت لخدمة المصالح السودانية بالتعاون مع الوطنيين في مصر في إطار الكفاح المشترك بين الشعبين لتحرير وادي النيل.

النتائج:

1. اتسم النشاط الوطني المقاوم للاستعمار البريطاني في السودان منذ عام ١٩٢٠ بالطابع السياسي وذلك بتكوين الجمعيات السرية.
2. استطاعت جمعية اللواء الأبيض والتي تأسست في أواخر عام ١٩٢٣ من استيعاب فئات مهنية متعددة من المجتمع السوداني لعضويتها.
3. انحازت جمعية اللواء الأبيض في شعاراتها إلى مصر وهي أحد طرفي الحكم الثنائي مما ساهم في فقدانها للمؤازرة الشعبية القاعدية وكسبها إلى جانبها.
4. يحسب لجمعية اللواء الأبيض أنها بذلت الجهود قدر استطاعتها لتأطير الكفاح المشترك بين شعبي وادي النيل.
5. أدت الأحداث السياسية والعسكرية في عام ١٩٢٤ إلى كشف السياسية الاستعمارية وعنفها المفرط تجاه قوى التحرر الوطني.

التوصيات:

توصي الدراسة بتكثيف الجهود العلمية للباحثين والمؤرخين لسبر اغوار احداث عام ١٩٢٤ سياسيا وتاريخيا وعسكريا واجتماعيا.

الهوامش :

(1) مكي الطيب شبيكة: السودان عبر القرون، دار الجيل بيروت ١٤١١/١٩٩١ ،ص ٥٠١.

(2) عبد العزيز حسين الصاوي: دراسة نظرية وتطبيقية في تاريخ السودان الحديث، الطبعة الأولى دار عزة للنشر والتوزيع الخرطوم ٢٠١٦،ص ٤٨،

(3) مدثر عبد الرحيم: الامبريالية والقومية في السودان(دراسة للتطور الدستوري والسياسي ١٨٩٩-١٩٥٦)،دار النهار بيروت،١٩٧١،ص ٩٣.

(4) محمد عمر بشير: تاريخ الحركة الوطنية في السودان، ١٩٠٠-١٩٦٩ ،ترجمة هنري رياض واخرون، الدار السودانية ،للكتب الخرطوم، ص ٩٦.

(5) روبرت كولينز:تاريخ السودان الحديث، ترجمة مصطفى مجدي الجمال، المركز القومي للترجمة القاهرة ٢٠١٥ ص ٥٥

(6) أحمد إبراهيم دياب: المقاومة الوطنية للإدارة البريطانية، ١٩٠٠-١٩٢٤ ،مكتبة المعارف الحديثة الإسكندرية ١٤٢٦/٢٠٠٦، ص ٨٧

(7) محمد سعيد القدال:تاريخ السودان الحديث ١٨٢٠-١٩٥٥،شركة الامل للطباعة والنشر الخرطوم ١٩٩٢، ص ٣٠٧.

(8) علي حامد:صفحات من تاريخ الحركة الوطنية السودانية، الطبعة الأولى دار جامعة الخرطوم للنشر ٢٠٠٠،ص ١٢.

(9) أحمد إبراهيم دياب:المقاومة الوطنية...مرجع سبق، ذكره، ص ٩٣.

(10) يوشيكو كوريتا:علي عبداللطيف وثورة ١٩٢٤ (بحث في مصادر الثورة السودانية)،ترجمة مجدي النعيم ،الطبعة الثانية مركز الدراسات السودانية القاهرة، ص ٢٧.

(11) الوثائق المصرية عن السودان من ١٣فبراير إلى ١٢فبراير ١٩٥٣:عرض وتقديم عادل أحمد ابراهيم، تحقيق وتحرير فدوى عبدالرحمن علي طه ،الطبعة الثانية مكتبة الشريف الأكاديمية ٢٠٠٧،ص ٤٥.

(12) يوشيكو كوريتا:مرجع سبق ذكره، ص ٢٨.

(13) أحمد إبراهيم دياب: دور الوحدات العسكرية السودانية في ثورة ١٩٢٤، المجلة التاريخية المصرية مج ١٩٧٧/٢٤،ص ١٧١

(14) عون الشريف قاسم: موسوعة القبائل والانساب في السودان، الطبعة الأولى شركة افروقراف للطباعة ج٤ /١٩٩٦،ص١٦١٨.

(15) الحركة الوطنية في السودان ثورة ١٩٢٤:تحرير محاسن عبدالقادر حاج الصافي، معهد الدراسات الأفريقية والاسيوية، سلسلة الدراسات السودانية ١٩٩٢/١٨ ،ص٢٣.

(16) جعفر محمد علي بخيت: الادارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان ١٩١٩-١٩٣٩،ترجمة هنري رياض، الطبعة الثانية المطبوعات العربية للتاليف والترجمة الخرطوم ١٩٨٧/١٤٠٧،ص ٥٢،

(17) محمد عمر بشير: مرجع سبق ذكره، ص ٩٩،

(18) محجوب عمر باشري: معالم الحركة الوطنية في السودان، الطبعة الأولى المكتبة الثقافية بيروت ١٤١٦/١٩٩٦،ص١٨١.

(19) محمد عمر بشير:مرجع سبق ذكره ،ص١٠٠.

(20) يوشيكو كوريتا:مرجع سبق ذكره، ص٣٦.

(21) عادل علي وداعه: اتحاد مزارعي الجزيرة والمناقل وأثره في العمل السياسي في السودان، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة الجزيرة كلية التربية قسم الجغرافيا والتاريخ، ص 11.

(22) فاطمة بابكر محمود: المرأة الأفريقية بين الإرث والحداثة، الطبعة الأولى دار كيمبردج للنشر ٢٠٠٢/١٤٢٢ ،ص ٢٥٧.

(23) حاجة كاشف بدري :الحركة النسائية في السودان، الطبعة الأولى دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٨٤، ص ١٦٥.

(24) أحمد إبراهيم دياب:المقاومة الوطنية...مرجع سبق ذكره ،ص ٩٧.

(25) مكي الطيب شبيكة:مصدر سبق ذكره، ص ٥٢٧.

(26) علي حامد:مصدر سبق ذكره، ص ١٣.

(27) محمد سعيد القدال: مرجع سبق ذكره، ص ٣١٣.

(28) أحمد محمد يس: مذكرات أحمد محمد يس، مركز محمد عمر بشير ام درمان السودان، ص ٢٥.

(29) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(30) جعفر محمد علي بخيت: مرجع سبق ذكره، ص ٦٣.

(31) أحمد محمد خير: كفاح جيل، الطبعة الثانية الخرطوم ١٩٧٠، ص ٣٠.

(32) يوشيكو كوريتا: مرجع سبق ذكره ،ص ٣٣.

(33) المرجع نفسه: ص ١٧٥.

(34) أحمد محمد خير: مصدر سبق ذكره ،ص ٤١.

(35) أحمد محمد يس: مصدر سبق ذكره، ص ٢٦.

(36) الوثائق المصرية عن السودان: مصدر سبق ذكره، ص ٤٧.

(37) أحمد إبراهيم دياب: دور الوحدات العسكرية...مرجع سبق ذكره ،ص ١٨٢.

(38) أحمد حمروش: مصر والسودان كفاح مشترك، دار الهلال، ص ٢٠.

(39) الوثائق المصرية عن السودان: مصدر سبق ذكره، ص ٥٣.

(40) أحمد حمروش: مرجع سبق ذكره، ص ٢٤.

(41) محمود عابدين صالح:العلاقات السودانية المصرية وآفاق تطورها ،مكتبة مدبولي ٢٠٠٤ص ١١١.

(42) حسن نجيلة:،ملامح من المجتمع السوداني، الجزء الثاني (بدون تاريخ) ،ص ٢٠.

(43) المصدر نفسه:،ص ٢٦.

(44) محمود عابدين صالح:مرجع سبق ذكره، ص ١١٢.

(45) محمد عمر بشير:،مرجع سبق ذكره، ص ١١٦.

(46) حسن نجيلة:مصدر سبق ذكره، ص ٣٥.

الاستراتيجية الصّهيونيّة في الشرق الأوسط والمشروع الصهيو-أمريكي

أ.د. نعمان عاطف عمرو
جامعة القدس المفتوحة – فلسطين

د. عبد الكـــــريم نجـم
المجلس الصوفي الإسلامي الأعلى في بيت المقدس والدّيار الفلسطينية

مستخلص:

ظهرت الصّهيونيّة في نهاية القرن التاسع عشر في أوروبا في محاولة لإحياء التراث اليهودي، وتحديد معالم الوطن القومي الذي يريدون، حيث كانت ركائزهم على التراث اليهودي لتحديد الأرض المقدّسة كما وردت في كتاب التوراة- حسب ادعائهم- ورفعت شعار فلسطين وداود وسليمان، وعبّر (هيرتسل) عن مساحة تلك الأرض بأنها التي تمتد من النيل إلى الفرات.كان هدف الصّهيونيّة العالميّة في أواخر القرن التاسع عشر سياسيًا بالدرجة الأولى، والمعلن عنه هو العودة إلى فلسطين لأجل إقامة دولة يهودية فيها، وقد تأثرت الحركة الصّهيونيّة العالميّة بالنزعة القوميّة العنصريّة في أوروبا.بدأت الصّهيونيّة العالميّة بتأسيس المؤسسات الخاصة بها لتحقيق أهدافها، وخلال بحث هذه المؤسسات عن الدعم الدوليّ التـــقت مع المصالح الاستعماريّة الإمبرياليّة التي مثّـــلتها بريطانيا، والتي حدّدت أهدافها الاستعماريّة في فلسطين؛ لتكون نقطة انطلاق نحو برنامج استعماريّ أكبر، ليشمل المنطقة العربيّة بأكملها.شكّلت بريطانيا في هذا الإطار لجنة لبحث المصالح الاستعماريّة فيما بينها؛ نتج عنها تقرير بنرمان؛ كان أهم ما جاء فيه ضرورة فصل الجزء الآسيوي عن الجزء الإفريقي في العالم العربيّ، وهذا من خلال إقامة حاجز بشريّ على الجسر البريّ الذي يربط آسيا بإفريقيا، ويصلها بالبحر الأبيض المتوسط، لإيجاد قوة موالية لبريطانيا قريبة من قناة السويس تَحوْل دون وحدة العالم العربيّ.كانت هذه التوصية بداية الالتقاء ما بين المصالح البريطانيّة الإمبرياليّة والتجزئة الصّهيونيّة التي حددت فلسطين نقطة ارتكاز للسيطرة على العالم العربيّ، وتعمل على تمزيق العالم العربيّ لِيَسهل السيطرة عليه، ومن هنا وُلِد التحالف العنصريّ بين الصّهيونيّة والإمبرياليّة للعبث في مستقبل الوطن العربيّ وتجزئته.عملت بريطانيا الإمبرياليّة على تحقيق هذه الأهداف من خلال العديد من الآليات، أهمها:اتفاقية سايكس- بيكو، ووعد بلفور، ومناطق النفوذ البريطانيّ والفرنسيّ حتّى الحرب العالميّة الثانية عندما انتقل نفوذ الإمبرياليّة عام 1942م إلى أمريكا لتتبنى الأهداف الصّهيونيّة، وظهور مصطلحات جديدة مثل (الشرق الأوسط).ويُعّدّ قيام دولة الكيان الصهيونيّ عام 1948م، بُعداً جديداً لمصطلح (الشرق الأوسط)، يهدف إلى دمج الكيان الجديد والغريب عن المنطقة العربيّة بدولها وشعوبها للاستمرار في التجزئة، ويحل مشكلة اندماج اليهود في المجتمعات الأوروبيّة، وسعي الحركة الصّهيونيّة لإنشاء كيان صهيوني في فلسطين، وبرز التقاطع بين الاستعمار البريطانيّ والفرنسيّ الإمبرياليّ مع الحركة الصّهيونيّة من جديد على هيئتين هما: أولها تجزئة المنطقة العربية من جهة وحلّ المشكلة اليهوديّة في أوروبا من جهةٍ أخرى والتي تصبّ في الأهداف السّابقة.ظهور المشروع الصّهيو- أمريكي للدول العربيّة كان من خلال برنامج (برنارد لويس)، وتقديمه للكونغرس الأمريكي عام 1983م، وتمت المصادقة عليه بأغلبية كبيرة. وبالموافقة الأمريكيّة على برنامج (برنارد لويس) بدأ وضع الخطط لتقسيم الوطن العربيّ لتصب في مصلحة الاستراتيجيّة الصّهيونيّة.

وكان من أهم هذه الخطط: تفجير المنطقة بحروب طائفيّة ومذهبيّة وقوميّة وأثنية أيضاً، تؤدي في حال نجاحها، إلى تشظي المنطقة وتفتيتها إلى دويلاتٍ وكياناتٍ ضعيفة متصارعة أولاً، وفتح الطريق إلى التدخلات الخارجية ثانياً.ويضاف إلى ذلك وثيقة (عوديد ينون) التي وضعت الاستراتيجيّة الصّهيونيّة للشرق الأوسط، عام 1982م، وتهدف إلى:تفتيت الوطن العربي لإضعافه وتسهيل السيطرة عليه.توسيع دائرة الاستيطان في الضفة الغربيّة، وضمها قطاع غزة إلى دولة الكيان الغاصب.تقوية دولة الاحتلال الصّهيونيّ، وتوسيع حدودها في المنطقة المتصارعة.ونعتقد أنّ ما يجري في الشرق الأوسط الآن ما هو إلّا خطة محكمة، وضعتها الدوائر الصّهيو- أمريكية لاستمرار سيطرة الاستعمار على مقدّرات الأمة منطلقة من فلسطين، وستحاول الدراسة الإجابة عن السؤال الآتي: ما هي سبل مواجهة الاستراتيجية الصهيو- أمركية في المنطقة وطرق إفشالها؟ وباتباع تلك السّبل في المواجهة تستنهض الأمة قوتها وتتخلص من الاستسلام. إنّ الرؤية الصّهيو- أمريكية لتفوّق دولة إسرائيل النوعيّ على مدار خمسين عامًا القادمة ما هو إلّا تكملة لاستمرار تفتيت المشرق العربي والسيطرة على خيراته. كما أنّ مشروع الشرق الأوسط الجديد هو مشروع صهيونيّ أمريكيّ في الأساس، يستهدف ترتيب أوضاع المنطقة كلها لمصلحة تحالفها الوطيد؛ وعليه كان الخلاص فيما طُرح وما زال من مشاريع صهيو- أمريكية لتثبيت مساعيها ودفع المنطقة العربية في طريق التفتيت أكثر وأكثر، ومن ثمّ إعادة تركيبها في إطار(الشرق الأوسط الجديد)، يكون من خلال بناء منظمات ومناطق للتعاون الاقتصاديّ والعربيّ وفصل بلدان المشرق عن بلدان العالم العربيّ، وشمول إسرائيل بالمشرق الجديد، بحيث تكون في أساس نسق تعاون اقتصاديّ، والذي يمهد لمرحلةٍ جديدة تكون فيه دولة الاحتلال ضمن هذا التعاون وبذلك تكتسب شرعية وجودها.

الكلمات المفتاحية: الاستراتيجية الصهيونية، الشرق الأوسط، الصهيو- أمريكي.

The Zionist strategy in the Middle East and the Zionist –American project

Prof. Numan Atef Amro
Dr.Abed Al Kareem Mohammad Nejem

Abstract

The emergence of the Zionist movement in the nineteenth century in Europe was aimed at cooperating with imperialism to achieve its agendas in the East and to solve the Jews issue in Europe.In this convergence, the common interests between Zionism and imperialism were found. These interests worked to achieve the aims of each of them and the common goals between them, which also differed from one stage to another. The Zionist and imperialist goals before the catastrophe of 1948 AD were a response to the requirements of the stage, and different from what followed it in the local and global context.The common interests worked to set Palestine as a focal point for controlling the Arab world, and through it, Britain worked mainly to achieve imperialist co-

lonial goals in cooperation with Zionism. The Sykes-Picot Agreement of the year 1916, the Balfour Declaration of the year 1917, and Anglo-Franco influence until World War II constituted a turning point for the United States of America's adoption of the Zionist goals. Developing the term "New Middle East" and "the Zionist-American project," worked to support the Zionist strategy in controlling the Eastern Arab World; increasing its traditional qualitative superiority and preserving its nuclear superiority. This has served the Zionist-American project in fragmenting the region on ethnic, religious, and sectarian grounds. This in which turned the state of the entity into a dominant regional state that creates alliances to achieve its interests and the interests of the United States of America, all under the excuse of confronting Iran and its nuclear program.
key words: Zionist strategy، The Middle East ، American Zionism.

مقدمة:

لم تعتمد نشأة الحركة الصّهيونيّة في أوروبا بالدرجة الأولى على ذكاء وفطنة وتديّـــن الرواد الأوائل للصّهيونيّة، بل كان ضمن نسق استعماريّ يهدف إلى تمزيق المنطقة والسيطرة على ثرواتها الطبيعية، من خلال زرع جسم غريب فيها يحظى بدعم الامبرياليّة الاستعماريّة وموالي لها، لتقوم بهذه الوظيفة ومساندتها.

كان هذا الجسم متأثراً بالحركات القوميّة الأوروبيّة؛ حيث قام باستغلال الدين اليهوديّ بالتعاون مع الصّهيونيّة المسيحيّة عن طريق إحياء ما جاء في العهد القديم، وإيجاد علاقة عضويّة بين الإمبرياليّة والصّهيونيّة لتحقيق أهداف الصّهيونيّة في المشرق العربيّ. وبحثُنا هذا يهدف إلى إلقاء الضوء على الاستراتيجيّة الصّهيونيّة، بعد إقامة دولة الاحتلال عام 1948م ودور إسرائيل في المشروع الصهيو- أمريكي لتفتيت المنطقة- التي سبق وأن قُسّمت في اتفاقيات سايكس-بيكو- وتقسيمها تقسيماً جديداً، على أسس عرقيّة ومذهبيّة وطائفيّة تسهل السيطرة عليها، وتعمل على دمج إسرائيل فيها وحصولها على الشرعيّة لعملية الاندماج والسيطرة من خلال خططها التوسعيّة، وتتحول بذلك إلى قوة إقليميّة إمبرياليّة تقوم بوظيفتها لصالح الإمبرياليّة. وإنّ ما يحدث في الوطن العربي ما هو إلّا مخطط مُحكم لإعادة تفكيك وتركيب هذه المنطقة لخدمة المشروع الصهيو- أمريكيّ، الذي أُطلق عليه مشروع الشرق الأوسط ليقوم على هدم المرجعيات وإلغاء الهُوية الجمعية للمنطقة، سواء كان ضمن هُويّة القوميّة العربيّة أو هُويتها الإسلاميّة.

إنّ هذا المشروع يعزز عملية الانفصال بين شرق الوطن العربيّ وغربه، وإعادة تشكيله ليخدم خطة المشروع الاستعماريّ؛ لإيجاد منطقة نفوذ وتعاون اقتصاديّ تقوم فيه دولة الكيان الغاصب في فلسطين بدور قياديّ سياسيّ واقتصاديّ وثقافيّ واجتماعيّ مستغلة بذلك التنوع الإثنيّ والطائفيّ الموجود في المنطقة من أجل تحقيق أهدافها. ورغم تبني هذا المشروع من قِبل الولايات المتحدة الأمريكيّة، وعملها على تطبيقه من خلال سياستها الاستراتيجيّة إلّا أنّ هناك مخاوف من فشل المشروع على ضوء المجريات التي حدثت في العراق وأفغانستان وسوريا ولبنان وفلسطين، لذا تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

1-ما هي الاستراتيجية الصهيونية في المشرق العربي؟

2-ما هو المشروع الصهيو-أمريكي؟

3-ما هو دور إسرائيل في المشروع الصهيو_ أمريكي؟

وفي الختام، فإنّ مشروع الشرق الأوسط كمصطلح يعزز المشروع الصهيو-أمريكي، هو ليس قدراً لهذه المنطقة، وإنما بالإمكان تعطيل هذا المشروع وإفشاله من خلال العمل ضمن المرجعية القوميّة العربيّة كهُوية جامعة للحفاظ على المنطقة وثرواتها واستغلالها، ورفع مستوى التعليم، وازدهار الاقتصاد وخفض مستوى البطالة والتصالح مع شعوبها من خلال إقامة نظام سياسي قائم على العدل والمساواة والشفافيّة.

الاستراتيجية الصّهيونيّة في الشرق الأوسط:

ما هي الصّهيونيّة:

لا يوجد تعريف موّحد للصهيونية؛ وذلك لاختلاف الثقافات والأهداف والمراحل التي مرّت بها، وأنّ الثقافات ارتبطت بالأماكن التي نشأت بها هذه الأفكار، والتي وضعت لها أهدافاً تتناسب والبيئة الثقافيّة والظروف التي مرت بها، لذا اختارت الأهداف التي تناسب البيئة الموضوعيّة التي نشأت بها. ويضاف إلى ذلك، أنّ المراحل التي مرّت بها الصّهيونيّة تختلف من مرحلةٍ إلى أخرى، للوصول إلى أهدافها الاستراتيجيّة التي خطط لها، ففي حين اعتبرَها بعض الكُتاب أنها حركة سياسيّة علمانيّة نشأت في أوروبا في القرون الثلاثة الأخيرة، واستخدمت الدين لتحقيق أهدافها(الكعيبر،2013 :16).

هذا التعريف يتناول الصّهيونيّة حسب ما قام به المؤسسون الأوائل للصّهيونيّة، ولا يتطرق إلى النشاطات المسيحيّة التي سبقت النشاط الذي قاده المؤسسون الأوائل لمعالجة المسألة اليهوديّة في أوروبا، والتي انطلقت من أهداف أوروبا السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والاستعماريّة.

في حين يتناول البعض الآخر الصّهيونيّة كمذهبٍ دينيّ، ودعوة سياسيّة اعتمدت على الإيمان بالتوراة وما تحويه من آراء قائمة على أنّ الله استخلف اليهود في الأرض وأورثهم فلسطين، وليس على اليهود المعاصرين سوى إقامة دولتهم أو مملكتهم الجديدة لتحقيق دعوة الرب وتوجيهاته، على اعتبار أنَّ اليهود شعب تمّ اضطهاده، وإخراجه من الأرض المقدسة (الكعيبر،2013 :16). وبالنظر إلى معارضة اليهود المتدينين لهذه الدعوة؛ فإننا نرجّح أن تكون الصّهيونيّة استغلت الدّين اليهوديّ لتنفيذ أهدافها بالاستناد إلى بعض المذاهب المسيحيّة التي أحيت كتاب العهد القديم، ولا سيما أنّ الرواد الأوائل للصّهيونيّة هم من غير المتدينين فعلاً . وهناك شكّ حول منْ أطلق هذه الدعوة التي وردت في العهد القديم؛ هل هم المسيحيون أم اليهود المتدينين؟ والأرجح أنّ هذه الدعوة بدأت من بعض المذاهب الدينيّة المسيحيّة ولا علاقة للمتدينين اليهود بها، خاصة وأنَّ جزء من اليهود المتدينين ما زال يعارض السير في طرح الصّهيونيّة المعاصرة.

أمّا (تيودور هيرتسل)؛ الأب الروحي للصّهيونيّة اعتبر أنها «حركة الشعب اليهودي في طريقه إلى فلسطين (المسيري،1999 :136). وعند التمعّن فيما قاله (تيودور هيرتسل)، العلمانيّ، نجد أنّه استند إلى بعض المذاهب المسيحيّة، وما نقله عنها بعض المفكّرين الصّهاينة من العهد القديم. وأيّ كان التعريف، وسواء كان متفَق عليه أم لا؛ فإن الصّهيونيّة كونها حركة علمانيّة سعت إلى تحقيق آمال الشعب اليهودي بالعودة إلى فلسطين وإقامة المملكة اليهودية، حسْبَ ما ورد في العهد القديم، بغض النظر عن من نادى بها أولاً، أو عن صحة ما ورد في العهد القديم من غيره.

أمّا الصّهيونيّة في المعنى الديني فإنها تشير إلى كلمة (صهيون)، والتي وردت في التراث الدينيّ اليهوديّ، على أنّها اسم لمكان في (القدس) وهو (جبل صهيون)، وممكن استخدامها للدلالة على القدس بشكل أوسع، أو إلى الارض المقدسة بشكل عام، وإنّ استخدامات اليهود أنفسهم لهذه الكلمة تدل على جماعة دينيّة، أي اليهود الذين تلقوا رسالة سيدنا موسى، وهي رسالة ربانيّة دينيّة تدل على جموع المؤمنين بهذه الرسالة، فإن دلالاتها واضحة على الجماعة الدينية المؤمنة بالرسالة وليست على شيء آخر.

بينما الصّهيونيّة كمصطلح، فإنّها ظهرت في أوروبا، خاصة في الأوساط البروتستانتيّة في بريطانيا في أواخر القرن السادس عشر، والتي ترى أنّ اليهود ليسوا جزءاً عضوياً من التشكيل الحضاريّ الغربيّ، ولا جزءاً من النسيج الاجتماعيّ الغربيّ، ولكن لهم حقوق وعليهم واجبات بسبب مكان الإقامة؛ فيُنظر إليهم على أنهم شعبٌ عضويّ، وطنه القدس في فلسطين، لذا يجب أن يهجّر إليه، وأنّ هذا الرأي ورد في العهد القديم وتبناه التيار الذي يطلق على نفسه (الصّهيونيّة المسيحية)، واستمر في تبني ذلك حتى بعد انتهاء فترة الحماس الدينيّ الذي رافق حركة الإصلاح الدينيّ في أوروبا (المسيري،1999 :14). وهذا التيار جزء من التيارات التي يطلق عليها صهيونيّة الأغيار، أو صهيونية غير اليهود والتي تؤمن بهذا المعتقد، وينبذون فكرة وجود اليهود في المجتمع الأوروبي، وينتشر أتباع هذا التيار حتى الآن في بريطانيا وأمريكا. ويعتقد مؤرخون آخرون أنّ إسرائيل كدولة هي نتاج الصّهيونيّة والاستعمار، ولا تمثل تتويجاً للتاريخ اليهوديّ؛ لأنها جزء من ظاهرة الاستعمار الكولونياليّ الغربيّ، والصّهيونيّة جزء ممّا حدث في أوروبا وهي تحاول أنْ تعبّر عن القومية كجزء من ظاهرة القوميّات الرومانسيّة في أوروبا، وأن مشروعها في فلسطين هو مشروع استعماريّ في جوهره، وأنّ حل الصراع في فلسطين لن ينتهي إلّا بوجود مشروع لنزع الاستعمار عن هذا الجزء من آسيا الغربية (م. رابكين،2021 :7). ولتوضيح العلاقة بين جزء من المذاهب المسيحيّة وبخاصة المذهب البروتستانتي واليهوديّة وما مرّ عليها من تطورات، لا بد لنا من العودة للحديث عن جذورها فيما يلي:

اليهود في التراث الدينيّ المسيحيّ:

إنّ ايمان المذهب البروتستانتي المسيحيّ بعودة المسيح المنتظر واشتراط هذه العودة بإقامة دولة تجمع اليهود في أرض فلسطين، كان وما زال يؤدي دوراً سياسياً هاماً في العالم المسيحيّ المؤمن بالمذهب البروتستانتي نتج عنه ثلاثة مواقف هامة وهي:

1. دعم الصّهيونيّة.
2. تهجير اليهود.
3. دعم ومساندة هذه الدولة وقيامها في فلسطين.

ونجد أنّ هذا المعتقد الدينيّ المسيحيّ، ما يزال منتشر بقوة في بريطانيا وأمريكا وما زال يدعم التوجه السياسي بإقامة دولة اسرائيل على أرض فلسطين، وتهجير اليهود إليها ودعمها كمعتقد ديني في الأساس، فإنّ عدم تبدل موقف بعض الدول التي تؤمن بهذا المعتقد الدينيّ جعلها تضيف إليها بعض الأسباب السياسيّة مثل المصالح الاستعماريّة في المنطقة، بسبب موقعها الاستراتيجيّ أو المصالح الاقتصادية الناتجة عن ثروات المنطقة. ولكنّ هذه الأسباب سياسية، ومن شأنها أن تتبدل، ولكن الثابت هو المعتقد الديني والذي ظهر بشكل قوي بعد عصر النهضة، وما زال موقفها ثابتاً لارتباطه بالعقيدة المسيحيّة خاصة

المذهب البروتستانتي تحديداً. خاصة بوجود المذهب البروتستانتي الآن في أمريكا وبريطانيا بشكل أساسي (النايف،2019: 240). ويؤمن هذا التيار الدينيّ كذلك بأن اليهود هم شعب الله المختار، وأنّ هذا الإيمان أدى دوراً هاماً في إعفاء اليهود كشعب مقدس من القوانين والمواثيق الدوليّة، بسبب رعايتهم من قِبل القوانين الإلهيّة. (النايف،2019 :240). وهذا يفسر تساهل النظام الدوليّ والمؤسسات الدوليّة، مع تجاوزات دولتهم مع اختراقاتها للقوانين الدوليّة؛ لأن هذا المعتقد الدينيّ لديهم يُـفَـسَّـرْ على أنّ القوانين الوضعية لا تُـطَـبّق على الشعب المقدّس، وهم اليهود حسب هذا المعتقد. وأنّ منطق الصّهيونيّة اليهودية والصّهيونيّة المسيحيّة التقت على مبدأ تطبيق شريعة الله، التي تطبق على شعب الله المختار، وبما أنّ شريعة الله تنص على منح اليهود الأرض المقدسة، في العهد الذي قطعه الرب لإبراهيم وذريته حتى تقوم الساعة (النايف،2019 :240). وإنّ أيّ تعارض بين القوانين الإنسانية الوضعية مع شريعة الله، فإن شريعة الله وحدها هي التي يجب أن تطبق على اليهود في فلسطين، ويظهر هنا استخدام الدّين في غير مكانه على جغرافيا تخدم مصالح الإمبرياليّة؛ على اعتبار أنها وردت في الكتاب المقدس العهد القديم، رغم عدم وجود صلة بين من تَلقوا العهد من المؤمنين وبين من يقومون بتطبيق هذا العهد الآن وغالبيتهم غير مؤمنين.

مّما سبق نرى أن حركة الاصلاح الدينيّ في أمريكا، والتي كانت مغايرة للمبادئ الكاثوليكية والأرثدوكسية في موقفها من اليهود، قد أسهمت بشكل فعّال في بعث اليهودية من جديد، والتي استغلتها الصّهيونيّة فيما بعد. وإنّ حركة الإصلاح الديني البروتستانتي هي التي روجت لليهود كأمة وأكدت ضرورة عودتها إلى فلسطين كقدمة لعودة المسيح المنتظر(النايف،2019: 41). ورغم أنّ العهد القديم نزل على جموع المؤمنين برسالة سيدنا موسى –عليه السلام- وهم اتباع ديانة ورسالة وليسوا أمة.

يتضّح من ذلك أنّ المسيحية مرّت بعملية تهويد ممنهجة منذ حركة الإصلاح الدينيّ في أوروبا، وللدلالة على ذلك ما قامت به البروتستانتية من عملية إحياء للتراث الديني في العهد القديم وجعلها جزء أساسي من عقيدتها التي تدور على عودة المسيح المخلِّص الذي سيحكم العالم ألف عام، يسود خلالها العدل في المجتمع الإنساني والحيواني، وقد حدث هذا في المذهب البروتستانتي المسيحيّ رغم وجود مذاهب أخرى معارضة لهذا التوجه خاصة البروتستانتية والكاثوليك وغيرها.

نشأة الصّهيونيّة وأهدافها:

ظهرت الصّهيونيّة والصّهاينة كتعبير على يد الكاتب (ناتان بيرنباوم) عام 1893م، وكلمة (صهيون) مشتقة من لفظة صهيون القديمة، التي تطلق على اسم قلعة في القدس، وكان هدفها الدلالة على القدس والمعبد المقدس أو على جبل صهيون، ثم توسع اللفظ للدلالة على الأرض المقدسة في فلسطين بأكملها (الكعيبر،2013 :15).

أمّا كلمة الصّهاينة فهي كلمة تطلق على أتباع الصّهيونيّة الذين يؤمنون بأن اليهود شعب، ويؤيد إقامة دولة خاصة به فوق أرض فلسطين المقدّس، سواء كان هؤلاء الأتباع من اليهود أو من المسيحيين أو من المسلمين؛ بمعنى أنّ الصّهاينة دلالتها لا تقتصر على اليهود فقط بل تتعداهم لأتباع الفكرة من غير اليهود

وخاصة من المسيحيين والإسلام.ويعتقد بعض الكتاب والمفكرين أنها حركة أكثر تعقيداً، وتتكون من ثلاثة عناصر أساسية وهي: الأول: السياسات اللاهوتية التي تنطلق من معتقدات دينيّة عقائديّة لها تفسيرها الخاص لكتاب العهد القديم، والثاني: الاستعمار الاستيطاني الذي ينطلق من اصطناع قوميّة استعماريّة لليهود في فلسطين، أمّا العنصر الثالث: فهو عملية المزج بين القوميّ والدينيّ، ويطلق عليه اسم الازدواج القومي، وهو يربط بين قوى الاستعمار الامبرياليّ، ودولة الكيان الغاصب في فلسطين من خلال مصالح مشتركة تجعل الصهيونيّ دائم الارتباط والانشداد الى تلك القوى وموطنها الغربيّ في أوروبا. (الكعيبر،2013: 16). لذلك ذهب بعض المفكرين والكتّاب إلى تعريف الصّهيونيّة بأنها المولود الشرعيّ والطبيعيّ لمرحلة الاستعمار الغربيّ، لذلك نجد أنّ الصّهاينة استخدموا الرموز والافكار الدينيّة وحولوها إلى رموز صهيونيّة لتخدم أهدافهم الاستعماريّة، وحولوا الانشداد الدينيّ للأساطير القديمة بما يتواءم مع التطورات الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة في أوروبا.

لقد بلورت الحركة الصّهيونيّة استراتيجيات للعمل، وهذه الاستراتيجيات تعتمد على ذرائع عَقَدية مستمَدّة من العهد القديم، وهي تعمل على تطوير هذه الاستراتيجيات لتتناسب ومصالحها فيما حققته من أهداف مرحلية، وكذلك لتتناسب مع حاجة الدول الاستعماريّة التي ارتبطت معها وما زالت مشدودة إليها.

لا يتسع الحديث هنا عن تلك الاستراتيجيات التي أسهمت في تهجير اليهود وتجميعهم في فلسطين وإقامة الدولة، وإن هذه الاستراتيجيات تناغمت مع القرارات الدوليّة ذات الشأن في كل مرحلة، وإنما لا بد من الحديث عن الاستراتيجيّة الخاصة بتقوية وتمكين الدولة وتوسيعها من خلال التعاون مع الامبرياليّة؛ فالاستراتيجيّات تحولت الى مخططات وعمل مستمر لتحقيق الأحلام الصّهيونيّة المزعومة وتحويلها إلى حقائق على أرض فلسطين، ومن ثم إلى الأراضي العربية المحيطة بها، لذلك فإن التوسع هو هدف استراتيجي متجدد تشارك به المؤسسات الصّهيونيّة ومؤسسات دولة اسرائيل والإمبرياليّة العالميّة، وهو يشكل جوهر الفكر السياسيّ الصهيونيّ، حيث انعكس ذلك على البرامج السياسيّة للأحزاب الصّهيونيّة، والقوى الاسرائيلية في الداخل والخارج كافّة. (حسين،1989 :11). ومن خلال هذه الاستراتيجيّة التوسعية المستندة إلى العهد القديم، نجد أنّها حددت اسم (إسرائيل الكبرى) حسب ما ورد في العهد القديم، والتي تشكل الشعار الرئيسي للتوسع الاستعماريّ المخطط له، والتي هي عبارة عن حدود متخيَّلة وردت في العهد القديم على اعتبار أنها ميثاق ربانيّ من النيل الى الفرات. (العهد القديم سفر التكوين، إصحاح 15، فقرة 18) والحقيقة أنّ هذه حدود متخيّلة لم يسبق أنْ حُكمت من قِبل اليهود في أي من العصور. وإذا كانت استراتيجيّة التوسع الصهيونيّ تعتمد في الدرجة الأولى على العهد القديم من الكتاب المقدس، التوراة، فإنّ للتلمود شأن في ذلك، ويُعتمد عليه كذلك في استراتيجيات الحركة الصّهيونيّة، والتلمود هو مجموعة من الأحكام والوصايا المدنيّة والدينيّة التي يلتزم بها اليهود، وربما لدى البعض منهم هو التزام بمضمون العهد القديم، حيث كان للتلمود الأثر الأكبر في إظهار ظاهرة التوسع القوميّ لدى معظم اليهود الذين يفضلون قراءته والإيمان به على التوراة. ومن التلمود أُخذ بأن اليهود شعب الله المختار، أي أنّه مفضل على شعوب الأرض كافة، وهم يستأثرون بهذه الخاصية دون سواهم من شعوب الأرض، لذلك يسمح لهم بالتوسع على حساب الشعوب الأخرى. (حسين،1989 :16). وفي هذا التفسير مجافاة للحقيقة التي أثبتتها علوم الأجناس البشرية والآثار، والتي لا

تجد أي صلة بين يهود اليوم ويهود الأمس الذين آمنوا برسالة سيدنا موسى – عليه السلام- لا من حيث العرق ولا الإيمان ولا التسلسل التاريخيّ.

أمّا الحق التاريخي الذي يزعمه اليهود وتثبته الصّهيونيّة بالعودة إلى فلسطين المقدسة، هو إعادة بناء هيكل سليمان بعدما أقام العبرانيون مملكتهم فيها، والتي دامت ثمانون عاماً إثر مغادرتهم مصر حوالي عام 1200 قبل الميلاد. (حسين،1989 :17).

إنّ القصص التي وردت في الكتب المقدسة بما فيها القرآن الكريم، وردت لاستخلاص العبر، وليس لتكون شاهداً تاريخياً على الأحداث، كونها لم تتطرق إلى التفصيلات العددية ولا الوجهة،، وأن علم الآثار لم يثبت أي صلة بين ما كان في فلسطين ويهود اليوم والصّهيونيّة، وإنما الصّهيونيّة ويهود اليوم مرتبطة أكثر بالاستعمار الإمبرياليّ وليس بالآثار ولا الكتب المقدسة، وأن دولة إسرائيل لا تشكل امتداد ديني ليهود الأمس، بل هي ظاهرة استعمارية غربية منذ بدايتها حتى اللحظة، وتقوم بوظيفة استعماريّة كلّفتها بها الصّهيونيّة والامبرياليّة بعد ارتباطها الوثيق، وأن قصة شعب الله المختار ما هي إلّا ادعاء عنصري يخدم الأهداف الاستعماريّة ، وأن اليهود ليسوا أمة، بل ديانة. ويظهر ذلك بشكل جلي، من خلال الادعاء بالحق القانوني الذي استند إلى وعد بلفور الاستعماري، وإنّ صك الانتداب البريطاني على فلسطين الذي أقره مجلس عصبة الأمم بتاريخ 24/7/ 1922م تضمّن في مقدمته إشارة صريحة الى تنفيذ وعد بلفور، وذلك يُعتبر منافيا لميثاق عصبة الأمم الذي يعتبر الانتداب مقدمة للاستقلال، وإنّ الذريعة القانونية تجاهلت حق الشعب الفلسطيني الموجود تاريخياً وتجاوز ذلك باعتبار الديانة اليهودية التبشيرية هي شعب وقومية، وهذا يدل على أنّ هذه فكرة استعمارية استيطانية توسيعية رفضها جزء من اليهود أنفسهم (حسين،1989 :18)، وإنّ الادعاءات الدينية والتلمودية والتاريخية والقانونية في الحقيقة تستند إلى فكر الاستعمار الاستيطاني الذي خططت له الإمبريالية والصّهيونيّة، ونُـــــفذ على يد اليهود والصّهيونيّة باسم الاستعمار لا باسم الدين. ما أدّى إلى احتلال فلسطين وإقامة دولة الكيان الصهيوني عليها، وبدأت هذه الدولة في استكمال الاستراتيجية التوسعية الاستعماريّة من خلال استمرار الهجرة وتقوية الدولة لتستمر في وظيفتها من خلال واقع على الأرض، بدأ يأخذ شرعيّة وجوده من خلال مجموعة قوانين عنصرية لتثبيت هذا الوجود، وأهمها ما يلي:

1- مصادرة الأرض الفلسطينية واستمرار الهجرة لإيجاد واقع استعماري جديد.

حيث أقر الكنيست الإسرائيلي بعد نكبة عام 1948م عدة قوانين؛ منها قانون العودة وقانون الجنسية الإسرائيلية دون قيد أو شرط لتشجيع الاستيطان وزيادة عدد السكان. بينما طبقت حكومة الاحتلال قانون استملاك الأراضي عام 1953م الذي بموجبه أصبحت الأراضي الزراعية عرضة للمصادرة بحجة عدم تمكن الفلسطينيين من تعميرها. (حسين،1989: 39) وأصبحت هذه القوانين تخدم الأهداف الاستعماريّة بتجميع اليهود في فلسطين. وكان قد سبق هذا القانون اتفاقية الهدنة ونشاط المؤسسات الاستيطانية الصّهيونيّة لبناء مستوطنات لاستيعاب المهاجرين الجدد، حيث أن مجموعة منهم بنت (587) مستوطنة إضافية في المناطق الفلسطينية التي ضمتها إسرائيل بالقوة خارج حدود التقسيم، في حين بذلت المؤسسات الصّهيونيّة بالتعاون مع دولة الاحتلال السبل كافة، ومن ضمنها المجازر لدفع الفلسطينيين إلى ترك أرضهم.(حسين،1989: 40) لتحقيق الأهداف نفسها من خلال إيجاد واقع ديمغرافي جديد.

المراحل التي مرّت بها الحركة الصّهيونيّة لتحقيق أهدافها التوسعية:

1- مرحلة إثارة الحنين العاطفيّ لليهود وتهدف إلى إيجاد إطار فكري لتجميعهم.
2- مرحلة انطلاق الصّهيونيّة المنظمة، حيث بدأ العمل لتجميع اليهود حول الفكرة الصّهيونيّة.
3- مرحلة إقامة الوطن القومي؛ وهي مرحلة العمل السياسيّ والعسكريّ لبلورة مؤسسات الدولة.
4- مرحلة إقامة دولة اسرائيل (حسين،1989: 45).

ومع إقامة الدولة بدأ النشاط الدبلوماسي والعسكري للتوسع، بدءاً من التوسع خارج أطار التقسيم وصولاً الى التوسع بالحرب، ليكون الهدف تحقيق ذلك التوسع بأي شكل من الأشكال.

وإذا كانت إقامة دولة الاحتلال قد عبّرت عن حجم الدعم الاستعماري لها لتحقيق أهدافها، فإن التوسع كشف عن مدى استمرار هذا الدعم والمساندة والإصرار عليها. وإذا كان هذا مرتبط بالمصالح فإنها متغيرة مع الزمن ولكن استمرارية هذا الدعم تعني أنَّ الارتباط العقائدي ثابت، وعزز ذلك وصول مجموعة من الرؤساء الذين يؤمنون بهذا الفكر، وهذا ما يفسر كونهم صهيونيون أكثر من اليهود الصهاينة أنفسهم.

-المخططات الصّهيونيّة للمنطقة العربية بعد حرب 1967م:

تركزت المخططات الصّهيونيّة بعد حرب عام 1967م في بعدين في الاستراتيجية الصّهيونيّة.

1. التوسع خارج حدود الدولة المقاومة بما اشتملته من أراضي تم احتلالها.
2. ايجاد أطر ومرجعيات للتعاون السياسيّ والاقتصاديّ في المنطقة لتثبيت وجودها في الأراضي المحتلة عام 1967م ولتحقيق ذلك كانت تطرح العديد من الافكار منها:

1. في نهاية ستينيات القرن الماضي طرح حزب العمل الإسرائيلي فكرة إقامة اتحاد إسرائيليّ فلسطينيّ أردنيّ على غرار اتحاد (نيبلولس NeBelokes) بين بلجيكا وهولندا ولوكمبورج كأول طرح لإيجاد وحدة سياسية قائمة على التعاون.
2. في عام 1975م وضع (جاد يعقوبي) وزير المواصلات في حكومة الاحتلال برئاسة رابين، مخططاً سرياً للتعاون الإقليمي في مجال المواصلات بين إسرائيل والأردن ومصر، وتم بحث هذا الاقتراح ضمن هيئات رسمية إسرائيلية ويهدف إلى التعاون الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط في مجال المواصلات ويتضمن التعاون بين مطارَي العقبة وايلات وإقامة مطار جديد مشترك في مرحلة لاحقة في الأردن يشمل برج مراقبة مشترك، وربط ميناء حيفا بواسطة سكة حديد وإيجاد اتصال بريّ مع ميناء أسدود (حسين،1989 :18).
3. في العام 1977م وضع (يعقوب مريدور) وزير الاقتصاد في حكومة بيغن بعد شهرين من زيارة السادات إلى القدس مشروعاً للتعاون الاقتصاديّ في الشرق الأوسط وتوطين اللاجئين الفلسطينيين في البلاد العربية.
4. اقترح شمعون بيرس عام 1988م على الرئيس الأمريكي اعتماد مشروع مارشال خاص بالشرق الأوسط، لتأسيس الاستقرار والتنمية حسب المخططات الإسرائيلية يهدف إلى دمج إسرائيل في المنطقة وحصولها على الشرعية لوجودها في المنطقة بما يعرف بالسلام الاقتصاديّ الذي يعتبر شمعون بيرس من أوائل روّاده في المنطقة (حسين،1989 :19).

5. عام 1992م وبعد انطلاق مفاوضات بروكسل طرح رئيس الوفد الإسرائيلي هيرشفيليد على مجموعة العمل المشترك برنامج حزب العمل للتعاون الاقتصاديّ، وركزت المقترحات على المشاركة في الموارد الطبيعيّة والبشريّة لتوسيع أسواق الشرق من خلال خبرة استثمارات أجنبية ومن دول الخليج العربي النفطيّة لإقامة صندوق إقليمي مشترك للتنمية (حسين،1989 :20).

كيف أثرت هذه الاستراتيجية على تطور الاستيطان بعد حرب 1967م:

من الواضح أنّ التخطيط لحرب عام 1967م كان أمريكياً إسرائيلياً؛ أي أنّ الامبريالية كانت شريكاً رئيساً للصهيونية، وقد نتج عن هذه الحرب انطلاقة كبرى في التوسع الاستيطانيّ وهذا بدوره أدى إلى تطور الفكر الاستيطاني بعد ما استولت دولة الاحتلال على مساحات شاسعة من الأراضي، ما أدى إلى اتجاهين رئيسين في الفكر الاستيطاني وهما:

1. الاتجاه الأول، والذي يؤيد ربط الاستيطان بالأسباب الأمنية والتركيز على أهداف جيوسياسية في عمليات الاستيطان ومن دعاة هذا الاتجاه (إيجال ألون واسحق رابين وشارون)، (حسين،1989 :47).
2. الاتجاه الثاني، ويؤيد تغليب الاعتبارات الدينية التاريخية على الاستيطان، ويتضح أنّ هذا الاتجاه يعطي الأولوية للاعتبارات العقائديّة والتاريخيّة ومن أبزر مؤيديه (مناحيم بيغن واسحق شامير وموشى ديان).

وتبيّن أنّ هذين الاتجاهين يلتقيان حول الاستيطان، وإن اختلفت دوافع كل فريق، وأنّ هذين الاتجاهين التقيا كذلك حول اعتبار القدس العاصمة الموحدة لدولة إسرائيل بعد حرب عام 1967م، وأصدرت قراراً بضم القدس في 27/6/1967م (حسين،1989 :50).

نستنتج من ذلك أنّ الأهداف الاستراتيجية، هي محط اتفاق لجميع الأطياف السياسية في إسرائيل رغم اختلافها على الأسباب والآليات، وهذا يفسر سر ديمومتها كأساس استراتيجيّ ثابت للصّهيونيّة.

مفهوم الشرق الأوسط:

ظهر مفهوم الشرق الوسط كمصطلح سياسيّ مع ظهور الحركة الصّهيونيّة كحركة سياسية منظمة، تعمل كأداة للاستعمار الإمبرياليّ الغربيّ، وهو مصطلح يُطلق على المنظمة الواقعة بين الشرق الأقصى والشرق الأدنى، حيث تحتل المنطقة موقعاً استراتيجيّاً هاماً بين قارات العالم الثلاث أوروبا وآسيا وإفريقيا؛ فهي تعتبر كموقع جيوسياسي هام وغنيّ بالثروات الطبيعية وخاصة البترول؛ فهي لديها أعلى احتياطات في العالم وكذلك تشتمل على ثروات طبيعية أخرى من أهمها المعادن.

أمّا من حيث الأقطار التي يشملها المصطلح فهي شبه الجزيرة العربية والعراق وإيران وأفغانستان وبلاد الشام.

أمّا الوكالة الدوليّة للطاقة الذرية فعرّفته عام 1989م بأنها المنطقة الممتدة من ليبيا غرباً إلى إيران شرقاً، ومن سوريا شمالاً إلى اليمن جنوباً (حسين،2005: 11) ويعتبر البعض بأنه يضم جميع الدول العربية التي تشملها الجامعة العربية ويضاف إليها إيران.

وللتعمق أكثر في البحث لا بد من الإجابة عن السؤال الآتي:

ما هو الشرق الأوسط؟

من حيث ظهور المصطلح فإنّه صهيونيّ استعماريّ غربي النشأة والأصل جاء لخدمة الصّهيونيّة والامبريالية في مشروعهما الحديث للمنطقة، من أجل تقسيمها والسيطرة عليها وعلى خيراتها، وخاصة التحكم بالموقع والبترول، وأنّ بداية ظهور المشروع والمصطلح في أوروبا كمشروع خارجي وغريب عن المنطقة، ولا ينسجم مع واقعها الجغرافيّ وخصائصها البشريّة والهدف منه خدمة الإمبرياليّة والصّهيونيّة التي ابتكرت هذا المصطلح والذي له أهدافه ومدلولاته. ويهدف هذا المصطلح إلى تغيير وجه المنطقة والقضاء على الهُوية الجمعية التي عرف بها؛ سواء كانت هُوية الأمة العربيّة الممثلة بالقوميّة العربيُة كإطار جامع في المشرق العربي، أو الهُوية الاسلاميّة الجامعة في المغرب العربيّ ليحل مكانه مصطلح جديد، هو مصطلح الشرق الأوسط. كما ويهدف بذلك إلى تمزيق هذه المنطقة جغرافياً وبشرياً؛ ليعزز عملية الفصل بين شرقها وغربها، من خلال إقامة حاجز بشري في فلسطين ليعرقل وحدتها عبر تفتيت هُويتها الجمعية وعدم السماح بقيام نظام عربيّ موحد أو نظام إسلاميّ موحد (حسين،2005: 21). والدليل على ذلك أنّ هذا المصطلح انتقائيّ، يستثني دولاً عربية من النظام المطروح ويضم إليه دول الجوار غير العربيّة مثل: أثيوبيا وقبرص والباكستان وأفغانستان (حسين،2005: 11). الوظيفة الرئيسة لهذا المشروع هي تهيئة شروط الاندماج الأشمل والأوسع للمنطقة في النظام الرأسماليّ العالميّ والتكيف مع متطلبات تراكميّة لتبرير أزمات المنطقة (هلال،1996: 99). يتكون الشرق الأوسط في جوهره من هيكل إقليمي منظم، يخلق أطر جديدة للمنطقة ويوفر القدرة على النمو الاقتصاديّ والاجتماعيّ (بيريس،1994: 63).

كما يهدف المشروع كذلك إلى ضم إسرائيل ودمجها ككيان سياسيّ صهيونيّ في المنطقة؛ ليعطيها الشرعية كمكون سياسي أصيل في التركيب السياسيّ الاجتماعيّ والثقافيّ والاقتصاديّ، كمقدمة لتوليها قيادة هذا التجمع بعد تحويلها من دولة تابعة للإمبرياليّة إلى دولة سائدة في المنطقة، من خلال دورها الإقليمي تعمل لصالح الإمبرياليّة، وتتعامل مع القوى العظمى للمساهمة في إعادة ترسيم خارطة المنطقة الجديدة، لإضعاف الأمة العربيّة والإسلاميّة، وتجزئة الوطن العربي الواحد، وتقوية إسرائيل كدولة تقوم بوظيفة وكذلك إعادة تشكيل شعوب المنطقة على أسس عرقيّة وطائفيّة ومذهبيّة جديدة، لتتحول إلى قوميّات وديانات وحضارات مختلفة، تسهل السيطرة عليها واندماج اسرائيل ككيان صهيونيّ وأداة للاستعمار الإمبرياليّ من أجل خدمة مصالح لا إمبريالية في المنطقة، لتسهل السيطرة على الثروات الطبيعيّة والتحكم بتشكيل حاضرها ومستقبلها (حسين،2005 :21). ويقصد بهذه الفكرة تجزئة الوطن الواحد سياسياً؛ أي تقسيم الدولة الواحدة بعد أحداث مهمة من أجل الدول الكبرى في تطبيق سياستها والسيطرة على الشعوب لخلق كيانات سياسيّة مجزأة وضعيفة اقتصادياً وفق مبدأ «فرق تسد»؛ لتبقى هذه الكيانات مرتبطة من حيث التبعيّة للدول الكبرى. (نوفل،2010 :15).

إنّ هذا المصطلح والنمط الفكريّ الاستعماريّ الذي استهدف الأمة وهُويتها الجمعيّة، لم يظهر فجأة بينما تم بلورتها عبر محطات تاريخيّة مختلفة نذكر منها نماذج للدلالة على بلورة المصطلح والمشروع وما هي الأهداف التي سيصل إليها:

– كتب (تيودور هيرتسل) في يومياته عام 1897م قائلاً: «يجب قيام كومنولث شرق أوسطي يكون لدولة اليهود فيه شأن قياديّ فاعل ودور اقتصاديّ قائد، يكون مركزاً لجلب استثمارات أجنبية ومركزاً للبحث

العلمي والخبرة الفنية» (حسين،2005 :12). ويتبعها مشاريع عدّة، مقدّمة من بن غوريون ووايزمن، هدفت إلى ضمان تدفق الهجرة اليهوديّة إلى فلسطين، وتحويل اليهود فيها إلى أغلبية (هلال، 1996: 82).

- أما ضابط البحرية البريطانيّ (الفرد ماهان)، فقد كتب عام 2091م في مقالة نشرت في لندن عن مصطلح الشرق الأوسط، واستخدمه مراسل صحيفة التايمز اللندنية عام 2091-3091م لتوضيح المفهوم وما الفائدة منه.
- في حين صدر عام 7091م تقرير (كامبل بانرمان) في لندن، وكان يشغل منصب وزير المستعمرات البريطانية – في حينه- واستُخدم تقريره في جدول أعمال مؤتمر عقده مجموعة من علماء التاريخ والسياسة والاقتصاد وشارك فيه عدد من السياسيين الاوروبيين، حيث تناول المؤتمر الوضع في المنطقة العربية وجاء فيه: «يكمن الخطر على الغرب في البحر المتوسط لكونه حلقة الوصل بين الشرق والغرب، ويعيش على شواطئه الجنوبيّة والشرقيّة شعب واحد تتوافر له عوامل وحدة التاريخ واللغة والجغرافيا وكل مقومات الترابط» (حسين،5002 :31).

ويتساءل التقرير عن ما مصير المنطقة لو انتشر فيها التعليم والثقافة والتقدم؛ لأن انتشارها سيشكل خطراً على اوروبا في حال توحّدت. وبذلك يحدد التقرير بأن المعرفة والوعي والثقافة هي عناصر القوة التي تهدد مصالح الغرب في المنطقة وتوّحد شعبها. لذا بدأ التفكير الأوروبي في تجهيل المنطقة، بهدف السيطرة الاستعماريّة على الشرق الأوسط خاصة، وأن المنطقة كانت تحظى بمكانة هامة في التنافس الاستعماريّ بين فرنسا وبريطانيا من أجل السيطرة على طريق الهند التي كان يُطلق عليها اسم «درّة التاج البريطاني»، وتبعها حملة نابليون بونابرت على الشرق، فإنّ هذا التقرير زاد من هذا التنافس ووضع المنطقة على أولويات البرامج الاستعماريّة.

لقد فتح هذا التقرير الباب على مصراعيه للاستيلاء على المنطقة، ودراسة واقعها لاختيار الآليات الأفضل للسيطرة عليها، ومن هذا المنطلق ظهر في لندن عام 1909م كتاب بعنوان (مشاكل الشرق الأوسط) لمؤلفه (هاملتون)، وضع فيه أهمية لأوروبا والعالم، حيث طالب المؤلف بالسيطرة على المنطقة. وفي السياق نفسه أعلن حاكم الهند البريطاني (جورج ناثانيال كورزون) عام 1911م إدارة خاصة للشرق الأوسط وكلفها بالإشراف على فلسطين وشرق الاردن والعراق (حسين،2005 :14). وتم استكمال المسلسل خلال اتفاقيات «سايكس- بيكو» ووعد «بلفور» وأثناء الحرب العالمية الأولى مروراً بصك الانتداب على فلسطين والمنطقة. وفي العام 1922م اقترح الصهيوني (فلاديمير جابوتنسكي)، مؤسس الحركة الإصلاحية الصّهيونيّة بإقامة مشروع السوق الشرق أوسطية، أمّا في ثلاثينيات القرن الماضي تمّ طرح بعض الأفكار لإقامة فدراليّة عربيّة تضم عدد من دول الشرق العربيّ بما في ذلك فلسطين وهذا بعد ضمان أغلبية يهوديّة فيها، وقد تبين أنّ الهدف من هذه المشاريع هو تهدئة مخاوف الفلسطينيين من التحول إلى أقلية في بلدهم بسبب الهجرة (هلال،1996:82)، في حين حدّدت الحركة الصّهيونيّة أهدافها التوسعية منذ مؤتمر بلتيمور عام 1942م، من خلال سيطرتها على الاقتصاد في المنطقة وتزامن ذلك مع انتقال مركز الثقل الإمبريالي من بريطانيا إلى أمريكا.وأثناء الحرب العالمية الثانية استطاع اليهود والصّهيونيّة في بريطانيا وأمريكا تحديداً من غرس فكرة البلدين الشرق الأوسط في سياسة البلدين، رغم طرح فكرة التعاون الاقتصادي في منطقة الشرق الأوسط لأول مرة في 18 تشرين الثاني لعام 1943م في اجتماع وزراء خارجية البلدين في لندن (حسين،2005 :14).

ومن جهة أخرى أعدّ اليهودي الأمريكي (د.إرنست برغمان) أحد تلاميذ (وايزمن) زعيم المنظمة الصّهيونيّة مذكرة قدمها لاجتماع وزراء الخارجية في لندن، اقترح فيها تهويد فلسطين من خلال هجرة اليهود إليها وإقامة دولة اسرائيل، وتحويلها إلى قاعدة صناعية متطورة كأساس للمخططات المستقبلية للولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط (حسين،2005 :14). هذه المشاريع جميعها بقيت خارج إطار التداول الحربيّ وذلك بسبب خضوع المنطقة للاستعمار البريطانيّ والفرنسيّ (هلال،1996: 83).

يُستنتج ممّا سبق، أنّ هذه الأفكار والمشاريع شجعت إسرائيل على تحويل فكرة الشرق الأوسط كفكرة إسرائيلية، من خلال ظهورها كأول مرة في وثيقة اتحاد يهودا التي تضمنت فكرة التصاق فلسطين في اتحاد شرق أوسطي واسع، من خلال مقترح (يهودا غانس)، (ومارتين بوبر)، (وديفيد سينابور)، (وجبرت وليام أيزل) وغيرهم، وأظهرت فيها بشكل واضح التعاون الصهيوني البريطاني لتهجير اليهود إلى فلسطين، كمقدمة لإقامة الوطن القوميّ اليهودي فيها وطرد سكانها وتسكينهم في الدول العربية من خلال استخدام القوة والاحتلال والاستعمار الاستيطاني لفرض الأمر الواقع من خلال اتفاقيات «إذعان» على بعض الأطراف العربية، ليفضي إلى تأسيس الكيان الصهيوني الغاصب على فلسطين العربية، والذي يعتبر تحدياً مصيرياً للعرب والمسلمين، وقد أحدث انفصال فعليّ في التواصل الجغرافيّ بين أفريقيا وآسيا وتشكل استنزاف للموارد الطبيعية ويسهل عملية السيطرة عليها. وقد تحوّل هذا الكيان الغاصب في فلسطين إلى إدارة عسكريّة فعليّة في يد الدول الاستعماريّة المُـمَـثلة للإمبرياليّة، كما خطط ليحُول دون وحدة العرب وتطورهم (حسين،15:2005). وقد عمل هذا الكيان بعد تأسيسه على استكمال المشروع الاستعماري في المنطقة، حيث يُستشف من رسالة أول رئيس لدولة الكيان (بن غوريون) إلى الرئيس الأمريكي بتاريخ 24/7/1958م بهدف الوقوف كسد منيع أمام المدّ الناصريّ القومي في المنطقة، كونها تشكل بؤرة للهُويّة الجمعيّة العربيّة، وكذلك الوقوف أمام التوسع السوفييتي من خلال تشكيل تحالف جديد يضم إسرائيل وتركيا وإيران، لإدخال المنطقة في تحالفات جديدة من شانها تحقيق المخطط الاستعماريّ الدوليّ، لتصبح المنطقة تدور في تلك الصراعات السياسيّة والعسكريّة و تمرر المخططات الهادفة إلى تقسيمها. وقد شهدت فترة الخمسينيات من القرن الماضي فشلاً ذريعا للمساعي الاستعماريّة الغربية في اخضاع المنطقة العربية والهيمنة عليها، وكذلك فشلت مساعي حلف الناتو وحلف بغداد ومشروع جونسون في فرض التعاون المائي بين الأردن وإسرائيل، ويضاف إليها فشل مشاريع توطين اللاجئين الفلسطينيين في البلدان العربية، لتبقى المنطقة تقاوم هذا المشروع، إلّا أنها بقيت ضمن سياسة التجاذبات والأحلاف العسكريّة طيلة فترة الحرب الباردة وما تخللها من صراعات محليّة وإقليميّة وتغيرات سياسيّة (حسن،2005 :15).

جاءت فكرة الشرق الأوسط الجديد للانتقال بالمنطقة من ساحات الحرب والمواجهة إلى ساحات الاقتصاد، وهذا يعني تغيير وجه الاستعمار من القوة الصلبة القائمة على القوة العسكرية والدّبابة إلى استعمار جديد عنوانه الاقتصاد والموارد الطبيعية (البريزات،2008 :13). وتهدف الصّهيونيّة والإمبرياليّة العالميتين إلى إعادة صياغة المنطقة سياسياً وجغرافياً واقتصادياً وحضارياً، وإقامة ترتيبات إقليمية تخدم

الأهداف والمصالح الأمريكية والصّهيونيّة في المنطقة.(البريزات، 2008 :16)، وتمكن إسرائيل من تحصين نفسها من خلال تقوية قدراتها العسكرية؛ لتفرض مزيداً من الهيمنة على الساحات العربيّة من خلال تعهد الإمبرياليّة الأمريكيّة بالحفاظ على أمن إسرائيل وتفوقها النوعي، وعدم السماح باختلال التوازن العسكريّ الذي يمكنها من الحصول على حدود آمنة من خلال التوسع الذي تفرضه دباباتها التي ترسم هذه الحدود الآمنة (البريزات،2008 :13). وإنّ ما تطرحه اسرائيل من أفكار للتسوية السليمة تكون من منطلق قوة آلياتها العسكرية، وبمؤثراتها التي تخضع إلى معطياتها وأهدافها في ترسيم الحدود الآمنة.

يتضح من ذلك أنّ هناك أهدافاً أمريكية من مشروع الشرق الأوسط، وأخرى صهيونية فيها بعض الالتقاء؛ أما الأهداف الأمريكية المعلنة فهي تتلخص في حماية المصالح الأمريكية في المنطقة. الأمر الذي يستدعي سيطرتها على المنطقة بأكملها، وحماية الوجود الصهيوني الذي التزمت به أمريكا في المنطقة وهو الحفاظ على أمن وسلامة دولة الكيان.

ومن أجل تبديد مخاوف أمريكا من حدوث ثورات جديدة في المنطقة تؤدي إلى تغير الأوضاع السياسية بما لا ينسجم مع مواقفها ومصالحها (البريزات،2003: 1) ركزت على استخدام القوة العسكريّة لتحقيقها. وتبين أنّ مخاوف أمريكا وحلفائها في معظمها هي دوافع سياسيّة واقتصاديّة، وهذا يفسر إصرارها على مشروع الشرق الأوسط لأهميته السياسيّة والاقتصاديّة، والتي يجعلها تتمسك برؤيتها لإعادة تجزئة المنطقة التي قُسّمت في اتفاقية «سايكس- بيكو» عام 1916م، ولكن هذه المرة تريد تقسيمها على أسس إثنية وطائفيّة وعرقيّة مستغلة وجود التنوّع والأقليات، من خلال اتباع أساليب مختلفة؛ لتمكن إسرائيل من التحول إلى قوة إقليمية؛ لتقوم بدور قيادي في تحقيق أهدافها الاستعماريّة، مثل وجود كيانات مستلقة للأقليات أو وعودها بالمساعدات لتتحول هذه الأقليات والإثنيات والطوائف إلى أداة من أدوات سياسة الدول الكبرى الخارجية(البريزات، 2008 :2)؛ ليسهل السيطرة عليها، وتمكين الوصول إلى أهداف إسرائيل من مشروع الشرق الأوسط، من خلال النظر إلى ما كتبه بعض الكتاب والخبراء العسكريين من مقترحات شكّلت وجهة نظر لأهداف إسرائيل ومنها:

–ما تطرق إليه الكاتب الإسرائيلي (عوديد ينون) في إظهاره أسباب فشل الصليبيين في الاحتفاظ بالمنطقة، وإخفاقاتهم فيها، واقترح على إسرائيل استخلاص العبر، يقول: «على اسرائيل الاستفادة من هذا الفشل لتجنب المصير نفسه الذي حل بالصليبيين» (حسين،2005 :21). ولتجنب ذلك يوصي بضرورة السيطرة على المقدرات الاقتصاديّة العربيّة، لأهميتها في دعم الحروب ومنع إقامة الوحدة العربية القادرة على القضاء على إسرائيل وخاصة المقدّرات النّفطية، وعدم قدرة العرب على حمايتها الأمر، الذي يخلق فرصة أمام إسرائيل للسيطرة على المنطقة من خلال تحالفات بحجة حماية هذه الثروة النفطية التي من شأنها تعويض إسرائيل عمّا فاتها من فرص، ناتجة عن النظرة السياسيّة الضيقة للعرب، والآراء السياسيّة المتطرفة لليهود، ولتجاوز ذلك يوصيها بالسيطرة على المنطقة ومواردها من خلال بناء معسكر متحالف مكون من الدول العربية وإسرائيل لمواجهة إيران (كلينتون، 2015: 309).

ويتوقع الخبير الإسرائيلي (موشيه ماند لياوم) أن تتحول إسرائيل في ظل السلاّم إلى مركز الأموال العربية والتأمين (حسين،2005 :21).

- أما الجنرال (أمنون شاحاك)- رئيس الاستخبارات الإسرائيلية الأسبق، ورئيس هيئة الأركان – تناول الموضوع في مقال له بعنوان «إسرائيل والشرق الأوسط» نُشر عام 7891م، وتمّت إعادة نشره عام 0002م، يقول فيه: «نبتغي أن تسعى إسرائيل في السنوات القليلة القادمة إلى ترسيخ مفهوم انتمائها إلى واقع الشرق الأوسط «في حين ركز الجنرال (الوف هارايفين) على فكرة اندماج إسرائيل في المنطقة، وأنه إذا ما فشلت إسرائيل في الاندماج فإنه من المشكوك فيه أن تستمر لفترة طويلة (حسين، 5002: 12)، وهذا يبرر هدف إسرائيل بالحصول على شرعيتها في المنطقة، من خلال اندماجها وسيطرتها على الموارد الطبيعية في سعيها للتحول إلى الاستعمار الاقتصادي في المنطقة.

خطط تقسيم الوطن العربيّ حسب مشروع الشرق الأوسط:

بدأ التفكير في وضع خطط لتقسيم الوطن العربيّ قبل إقامة دولة الكيان الغاصب في فلسطين من أجل التمهيد لإقامتها، تقسيم الوطن العربي إلى دويلات ليس بالشيء الجديد بل يعود إلى الأفكار الاستعماريّة خلال العقود الأولى من القرن الماضي، من خلال دور الاستعمار الفرنسيّ والبريطانيّ وخططها للاستيلاء على المنطقة العربيّة. حيث كانت وثيقة (كارينجا) من أقدم الوثائق التي تحدثت عن التجزئة، وتنسب إلى الصحفي الهنديّ (كارينجا)، وتتضمن هذه الوثيقة الإشارة إلى المخطط الفرنسيّ لتقسيم بلاد الشام أيام انتدابها إلى إقامة دولة علوية في اللاذقية ودولة درزية في جبل تدمر، ودولة سنيّة تجمع دمشق وحلب، ودولة مارونية في جبل لبنان، ومن أهم اختلافها عن التقسم الفرنسيّ هو اعتمادها على مساحات أوسع من التصور الفرنسي، وحديثها عن دولة كردية شمال العراق، ودولة قبطية في مصر (حرشاوي،2009 :2). وفي بداية العقد الماضي تُرجمت هذه المخططات إلى واقع من خلال اتفاقيات سايكس- بيكو، التي قسمت المنطقة بشكل فعلي ومخالف لإرادة سكانها، لتخدم أهداف التنافس الاستعماري الفرنسيّ البريطانيّ، والتي تؤكد وجهة نظر الاستعمار بأن الدولة اليهوديّة ستنسجم أكثر في منطقة مجزأة وضعيفة بشكل أفضل من انسجامها في ظل دولة موحدة، لذلك قامت بعملية التقسيم، وزرعت البذور الطائفيّة لعرقلة أي مشروع للوحدة العربية (حرشاوي،2009: 1). ومهدت تلك المخططات الطريق لوعد بلفور الذي أعطته بريطانيا للصّهيونيّة بأحقيتها في إقامة دولة قومية لليهود في فلسطين، ليمهد هذا الوعد الطريق للسياسة البريطانيّة لدعم إقامة دولة الاحتلال الغاصب في فلسطين عام 1948م، لتشكل هذه الدولة الوليدة رأس حرب للإمبرياليّة العالميّة لتحقيق أهدافها الاستعماريّة في المنطقة. وقد ظهر دعم قيادة الدولة الوليدة في مواقف قيادتها؛ ومنها تصريحات (شلوموا أفنيري) المدير العام لوزارة الخارجية الإسرائيلية مع بداية اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية، والذي حثّ فيه على افشال المخططات العربية الرامية إلى تحويل منطقة الشرق الأوسط إلى منطقة عربية إسلامية، والذي وقفت ضده الصّهيونيّة بإنشاء دولة إسرائيل (حرشاوي،2009 :2) وما زالت تعارضه. وبذلك تكون الإمبريالية والصّهيونيّة قد نجحت من خلال آلياتها ووسائلها في إقامة حاجز بشريّ غريب وقوي؛ ليفصل بلدان المشرق العربيّ عن بلدان المغرب العربيّ، ومنع وحدته من خلال القوة الغربيّة التي فُرضت على المنطقة، وهي دولة الكيان الغاصب وقريبة من قناة السويس ومعادية لشعب المنطقة وصديقة لأوروبا، وتعمل على تجزئة الوطن العربي إلى كيانات متعددة بهدف السيطرة على الموقع الجيوسياسيّ الهام

للوطن العربي وعلى قناة السويس، وهذا يمكّنها من نهب ثروات المنطقة العربيّة والحيلولة دون تطورها أو وحدتها. وقد عملت الصّهيونيّة منذ بدايات القرن الماضي على الترويج لمصطلح الشرق الأوسط ليحُل محل الوطن العربيّ الواحد والشعب الواحد والأمة الواحدة، ويشرف إضافة إلى قناة السويس على الممرات المائيّة الاستراتيجيّة الأخرى مثل باب المندب، وخليج العقبة، ومضيق هرمز، كونها ممرات مائيّة عالميّة. ويأتي هذا المخطط للسيطرة على المنطقة، بسبب خشية الصّهيونيّة والاستعمار الامبريالي من توحد المنطقة في دولة اتحادية قوية وغنية مسلحة بالثروات الطبيعية والقومية العربية والاسلامية كهوية جامعة، ليحل مكانها هويات فرعية عرقية وطائفية ومذهبية، وبهذا تكون الإمبريالية والصّهيونيّة نجحت في تحويل الوطن العربي من الهويّة الجمعيّة العربيّة الإسلاميّة إلى الهوية الوطنيّة، وهي الآن عازمة على تحويل الدولة الوطنيّة إلى دول مذهبيّة وطائفيّة وعرقيّة. وبعد تهيئة الأمر من خلال القضاء على الهُوية الجمعيّة، يتمّ ضم دولة إسرائيل إلى مجموعة الدويلات في الشرق الأوسط بعد تفتيتها لتدمج بصورة فعليّة في الشرق الأوسط، وتكون ضمن النسيج الاجتماعيّ له (البريزات،2008: 13) وتأخذ موقعاً قيادياً في التشكيل الجديد. فإذا ما وجُـــدت دولة سنيّة، وأخرى شيعيّة، وثالثة درزيّة، ورابعة مارونيّة، وخامسة قبطيّة، يسهل استيعاب دولة يهوديّة في النسيج الاجتماعي للشرق الأوسط. في حين ذهب البعض إلى توسيع حدود مصطلح الشرق الأوسط لتشمل دول الشرق الأوسط والشرق الأدنى ودول شمال إفريقيا، ليطلق عليه اسم الشرق الأوسط الكبير، أو الشرق الأوسط الجديد أو غيرها من المسميات ولكن يبقى الميدان الرئيس للمصطلح هو الشرق الأوسط وإن اختلفت التسمية؛ فالهدف واحد، ويتمثل بالعمل على تفتيت المنطقة إلى دويلات صغيرة لا تستطيع حماية نفسها وتكون إسرائيل هي الدولة القوية والحاصلة على الشرعية التي بإمكانها فرض إرادتها وهيمنتها في الشرق الأوسط (البريزات،2008 :12) ويبرز الحاجة إلى دورها القياديّ من خلال خلق أسرة من الأمم الإقليمية ذات سوق مشتركة وهيئات مركزيّة مختارة على غرار الجماعة الأوروبيّة، الحاجة لهذا الإطار الإقليميّ تقوم على أربعة عوامل جوهريّة؛ الاستقرار السياسيّ والاقتصاديّ، والأمن القوميّ وإرساء الديمقراطية (بيريس،1994: 65). ويعود الأساس في تقسيم المنطقة والهيمنة عليها، بسبب قربها المكاني من أوروبا، لذلك كان الاهتمام بأن تبقى في حالة من التخلف والانحطاط وإيجاد صراعات إثنية وطائفيّة وعرقيّة فيها للقضاء على كل ما يوحدها وخاصة هويتها العربية الجمعية من خلال استغلال التنوع الثقافي للتركيب السكاني، فبدل أن يكون عنصر قوة ناتجة عن التعدد تحوّلت إلى عنصر ضعف بسبب الخلافات التي من شأنها القضاء على التاريخ العربيّ المشترك وإيجاد هُويات متعددة، ولم يقتصر ذلك على البعد السياسيّ والاقتصاديّ، بل يضاف إليه بعداً أمنياً وعقائدياً (حسين،2005 : 10). ويُستدل من خطط التقسيم بأنها تهدف إلى تمزيق الوطن العربيّ وتفتيته من أجل السيطرة الاستعماريّة عليه وإبقائه في حالة من الانحطاط والتخلف والصراع؛ ليسهِـــل عملية اندماج دولة الكيان الصّهيونيّ فيه، وفرض هيمنتها عليه من أجل المصالح الاستعماريّة الإمبرياليّة في الحصول على الثروات الطبيعيّة والتحكم في الممرات المائية الدوليّة، وبذلك تتحول إسرائيل إلى قوة إقليمية تقوم بدور قياديّ لصالح الإمبريالية في منطقة الشرق الأوسط.

النشاط الصهيوني في أمريكا:

اعتمدت الصّهيونيّة على الدعم البريطاني كممثل للإمبرياليّة حتى مطلع أربعينيات القرن الماضي، واستطاعت من خلال هذا الدعم الحصول على بلورة الرؤية السياسيّة والقانونيّة والفكريّة من خلال تجميع

اليهود حول الصّهيونيّة، وتحديد فلسطين كمكان لبناء الوطن القوميّ حسب وعد بلفور وتقسيم الوطن العربي، وبدأت في تهجير اليهود إليها الذين استطاعوا بناء مؤسسات استيطانيّة وأمنيّة وسياسيّة على أرض فلسطين. وعندما اعتقدت الصّهيونيّة بأن القوة الامبرياليّة البريطانية بدأت في التراجع لصالح صعود القوة الامبريالية الأمريكية، بدأت بنقل مركز ثقلها ونشاطها إلى أمريكا ابتداء من عقد مؤتمر بالتيمور عام 1942م، للحصول على إسناد الولايات المتحدة الأمريكيّة بهدف إقامة الدولة اليهوديّة. ولتحقيق هذا الهدف وضعت الحركة الصّهيونيّة خطة لسلوكها في أمريكا من أجل كسب تأييد المجتمع الأمريكي ومؤسساته لفكرتها (صفوة،1967 :14)، وكان من ضمن خطها إيجاد الطريق لكسب الرأي العام الأمريكي والطريق إلى كسب تأييد الكونغرس، لتمهيد الطريق إلى كسب الحكومة الأمريكية ومن أجل تحقيق المهمة الأكثر تعقيداً وهي كسب الرأي العام الأمريكي استعانة بمجموعة من المؤسسات وأهمها مجلس الطوارئ الصهيونيّ الأمريكيّ ولجنة فلسطين الأمريكية والمجلس المسيحيّ لشؤون فلسطين، الذي كسب عطف رجال الدين في الكنيسة البروتستانتية.

بذلت الصّهيونيّة جهوداً كبيرة لكسب مؤازرة رجال الإعلام والصحافة الأمريكيّة لتجنيدهم في هذه المهمة (صفوة،1967 :15)، وقد كان العام 1943م الذروة لهذه النشاطات، والتي أدت إلى إدخال الفكر السياسيّ الصهيونيّ في مجالات الحياة الأمريكيّة، وأصبح على أولويات اتحادات العمل والمجالس النيابية في الولايات المختلفة نتيجة لهذا النشاط (صفوة،1976: 15)، وقد أفضت الاتصالات بالحزب الجمهوريّ والديمقراطيّ، أن اتخذت 33 ولاية قرارات مؤيدة للصّهيونيّة، واتخذت مثل هذه القرارات في مؤتمر المنظمات الصّهيونيّة واتحاد العمال الأمريكيّ، الأمر الذي مهّد في انتخابات عام 1944م بأن تبنى الحزبين الجمهوريّ والديمقراطيّ شعارات مؤيدة للصهيونية، وساهمت في خلق اسناد شعبيّ أمريكيّ للصّهيونيّة بين الأمريكيين (صفوة،1976 :16)، وبهذا تكون الصّهيونيّة قد نجحت في كسب تأييد الشعب الأمريكي، ووضعت قضيتها على أجندة الأحزاب الكبيرة، لتكون قد تحولت إلى رأي عام مساند، وبإسناد الشعب الأمريكيّ والكونغرس تكون الطريق مُهّدت لإسناد الحكومة الأمريكيةّ وقد ساهم في بلورة المشروع بالدرجة الأولي، الإطار الفكريّ الذي بلور المصالح المشتركة والتعاون الإمبرياليّ الصهيونيّ، والتي قام بتناولها خبراء عسكريون وكتّاب. ومن أشهر الوثائق التي استندت بالأساس إلى التنافس الاستعماريّ الفرنسيّ البريطانيّ هي وثيقة (كارينجا)، وتوصيات مؤتمر (كامبل بنرمان) في لندن، وتبعها برنامج (برنارد لويس)، الذي اعتُمد في الكونغرس الأمريكيّ عام 1983م، ووثيقة (عوديد ينون)، التي نُشرت في مجلة (كيفونيم) الناطقة الرّسمية باسم الصّهيونيّة العالميّة في القدس والتقارير الاستراتيجيّة للأمن القوميّ الأمريكيّ، الصادرة عاميّ2002م و2006م وتقرير مؤسسة راند للعام 2017م، والعديد من التقارير الأخرى التي صدرت من مراكز الأبحاث الصّهيونيّة والأمريكية والتي تناولت موضوع السيطرة على منطقة الشرق الأوسط وتقوية إسرائيل.(آيزنكوت، غادي و سيبوني، غابي،2019: 54).

أهداف مشروع الشرق الأوسط:

مشروع الشرق الأوسط الذي يروَّج له صهيونياً وأمريكياً على أنه سيجلب الرفاه الاقتصادي والسلاّم، وأنّه يهدف إلى قيام هيكل إقليميّ منظم جديد للمنطقة العربيّة تحت ادعاء توفير القدرة على النمو الاقتصاديّ والاجتماعيّ، وإخفاء نيران التطرف الدينيّ، وتبرير رياح الثورة الساخن (بيريس،1994: 63)؛

فأهدافه الحقيقية على الوطن العربي مشرقه ومغربه تأتي في إطار معاكس تماماً لهدم المرجعية القومية، وتحقيق الأهداف الآتية:

1. المس بالأمن القوميّ العربيّ من خلال هدم المرجعيات والهُويّة الجمعيّة العربيّة والإسلاميّة وتغيير الحدود والثقافة لإلغاء كل ما هو موحد وجامع في هذه المنطقة (عدره،2015 :222).
2. تجزئة الوطن العربيّ من جديد وتفتيت الكيانات السياسيّة، وتقليص دور الدول المحورية فيه وهي العراق وسوريا ومصر لكي لا تستطيع أن تؤثر أو تقود القومية العربية (عدره،2015 :223)، من خلال تحويلها إلى مذاهب وأعراف وطوائف متصارعة ضمن دويلات صغيرة؛ ليسود فيها الضعف والتخلف والتفتيت. وبذلك تكون قد ألغت الثقافة العربية والإسلامية والعادات والتقاليد والسلوكيات لإعادة صياغتها بشكل يتناسب والمشروع الصهيو- أمريكيّ على أسس طائفية ومذهبية وعرقية.
3. الحفاظ على أمن إسرائيل وتفوقها النوعي من خلال اعطائها أسلحة متطورة خاصة في ميدان الطيران والصواريخ الحديثة والقنابل الذكية؛ لتمكنها من التفوق النوعي الذي يمكنها من ضرب جيوش المنطقة العربية كافة، وتحويلها إلى قطب إقليمي رئيسي عن طريق التسليح وكسر طوق المقاطعة العربية لها، وتكون بذلك مهيئة كقوة رئيسة في محيط طائفيّ عرقيّ مذهبيّ ضعيف للاندماج، فيه والقيام بدور قياديّ لصالح الإمبريالية (أبو شريف، صحيفة الأيام، ص3)، (عدره،2015: 232)،(حسين،2005: 9).
4. إلغاء الُهويّة الجمعيّة المتمثلة في القوميّة العربيّة أو الإسلاميّة، وتحويلها إلى هُويات طائفيّة وعرقيّة ومذهبيّة وإلغاء العادات والتقاليد والثقافة؛ لتكون مهيئة لإعادة التشكيل بثقافة جديدة وهُويّة جديدة (عدره،2015 :232).
5. ضمان عدم التحاق أو ذوبان للأقليات والطوائف والمذاهب في أي بلد أو نظام من بلدان الشرق الأوسط.
6. افساح المجال أمام دولة الكيان الغاصب للتدخل والتغلغل في هذه المنطقة لضمان حقوق الأقليات، وبذلك تكون الأقليات ضمن مشروع الشرق الأوسط طريقة لتشريع وجود إسرائيل وشرعيتها كدولة يهودية وتبقى على المنطقة منطقة حروب وصدامات، وبذلك تكون هذه الأهداف قادرة على إعادة صياغة المنطقة جغرافياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً، لإقامة ترتيبات أمنية واقتصادية إقليمية تخدم المصالح والأهداف الأمريكية والصّهيونيّة في المنطقة ضمن مشروعها الجديد.

إنّ ترسيم حدود المنطقة حسب مشروع الشرق الأوسط تجري في مختبرات علمية خارجية وتُهندس من قِبل إسرائيل وأمريكا لخدمة مصالحها الاستعماريّة الظاهرة في أهداف ثلاثة، وهي:

1. انعاش الاقتصاد الأمريكي من خلال الصراع الاقتصاديّ مع أوروبا واليابان وأمـــــرَكت العالم من خلال الشركات متعددة الجنسيات.
2. حفظ أمن إسرائيل والقضاء على كل المهددات التي تواجهها في المنطقة والإقليم من خلال

القضاء على حركات التحرر الوطني.

3- الحفاظ على المصالح الاستعماريّة وانجاح مخططاتها للسيطرة على النفط والثروات الطبيعيّة، والممرات المائيّة، والأسواق التي تصب في البند الأول وهو تقوية الاقتصاد الأمريكيّ.

ويضاف إلى ذلك الأهداف الاستراتيجيّة الصّهيونيّة الداخلية والتي لها علاقة بالاستيطان، حيث تحاول إسرائيل إعادة توزيع سكانها من خلال السيطرة الاستيطانيّة على الأراضي الجبلية وطرد السكان الفلسطينيين والسيطرة على الموارد المائية من بئر السبع حتى الجليل الأعلى (الدولة، محمد سيف،1982 :6).

مـــا هـــــو الـــمـــــشروع الصهيو- أمريكي؟

مشروع الشرق الأوسط هو مشروع صهيونيّ أمريكيّ يستهدف تغيير أوضاع المنطقة لمصلحة التحالف الاستعماري الوطيد، ودفع المنطقة إلى التفتيت أكثر وأكبر لإعادة تركيبها في إطار نظام شرق أوسطيّ جديد، من خلال منظومات ومناطق تعاون اقتصاديّ أمنيّ، وتعزيز فصل الشرق العربيّ عن الغرب العربيّ وشمول إسرائيل بهذا المشرق الجديد، الذي يشكّل على أسس عرقيّة وطائفيّة ومذهبيّة وتشكّل إسرائيل أساس نسق تعاون اقتصادي وأمني، وفصل العراق عن المنظومة العربيّة.

إنّ الأمن الحقيقي لدولة الكيان الغاصب حسب وجهة نظر الصهيو- أمريكية لا يمكن أن تستقر ما دام في المنطقة هُـــــــوية جمعية في الإطار العربي أو الإسلاميّ وطالما وجدت دول عربية كبيرة ومؤثرة (عبد الرحمن،2007: 2). كما أنّ الأمن المطلق لدولة الاحتلال الغاصب يكمن في نجاح المشروع الصهيو-أمريكي في تغير الهُويّة الحضاريّة للمنطقة العربية إلى هُويّة شرق أوسطيّة، وتغيير تركيبتها السياسية والاجتماعيّة إلى فسيفساء طائفيّة وإقليميّة وجهوية ومذهبيّة وعرقيّة، تجعل من إسرائيل الدولة الطائفيّة الأقوى في الشرق الأوسط. ويتشكل المشروع في جوهره من إعادة تقسيمات المنطقة التي قُسّمت فعلاً في سايكس-بيكو، ولكن هذه المرّة يكون التقسيم على أسس عرقيّة وإثنية ومذهبيّة لتضمن استمرار السيطرة الاستعماريّة في المنطقة للمرحلة القادمة (عدره،2015 :226). وإلى رؤية مستشار الأمن القوميّ الأمريكيّ (زبيغنيو بريجينسكي) بين الأعوام 1981-1977م، والتي سبقت برنامج (برنارد لويس)، وما أطلق عليه (قوس التوتر) في المنطقة الممتدة من أفغانستان مروراً بآسيا الوسطى وأوكرانيا وتركيا وصولاً إلى المشرق العربيّ، ومن واد النيل إلى باب المندب لتشمل 37 دولة إذ قال: «أنّ ما يسهل سيطرتنا على القوس، عامل مهم جداً وهو أنّ هذا القوس تتكون شعوبه من انتماءات دينيّة ومذهبيّة وطائفيّة متنوعة، وهذا ما يجب أن نعمل عليه»(عدره،2015: 226). وذكر عن سوريا بأنّه يجب خلق حالة من الفوضى الشاملة تسير من سيء إلى أسوأ، بمساعدة بعض الأنظمة العربية وحلفائنا الغربيين، حيث تمنح هذه الحالة الولايات المتحدة فرص استمالة إيران إلى اتفاق شامل يتضمن الملف النووي الإيراني وينتهي لمصلحة إسرائيل. وتعتمد أمريكا وإسرائيل على مبدأ الحرب الوقائية في التعامل مع الأخطار بدلاً من سياسة الردع النووي والدفاع الذاتي، وقد كان احتلال العراق عام 2003م ضمن هذا المبدأ، وانفصال جنوب السودان كان في دوره تفكيكاً لهذه الدولة، مروراً بما حصل في تونس ومصر وليبيا واليمن والبحرين ... الخ. وجاء هذا في إعادة النظر في الخارطة الجيوسياسيّة في الشرق الأوسط، مما يتيح تفكيك بعض الدول المركزيّة وتمكين دول الأطراف من أداء دور مركزيّ بحماية أمريكيّة في ومواجهة الدول الرئيسة في الإقليم العربيّ (عدره،2015 : 224)، كما أنّ الهيمنة على العراق من خلال القوة العسكرية

وتحويله إلى نقطة انطلاق مركزية في التحرك الصهيو- أمريكي، جاء لإعادة ترتيب وتركيب أنظمة حكم جيدة، وإن تفكيك بعض مؤسسات المجتمع المدني في الدول العربية التي تعارض الأجندة الأمريكية الصّهيونيّة، في حين دعم المؤسسات التي تتقبل هذه الأجندة تحت غطاء الأمركة الليبرالية والديمقراطية مثلما حصل في مصر والأردن والسعودية ودول الخليج. ويتفق ذلك مع ما قاله الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب، حيث قال: «نسعى إلى تشكيل العالم وليس مجرد أن يشكلنا هو، وأن تسير الأحداث نحو الأفضل بدلاً من أنْ تكون تحت رحمتها» (عدره،2015: 225)، وقد تحدثت هذه الوثيقة التي أعلن عنها الرئيس الأمريكي عن الحرب الاستباقية وفي مقدمتها الإسلام، حيث الصّراع ضد الإسلام الراديكالي وما تبعها من الحرب على الإرهاب التي أصبحت في صلب الدبلوماسيّة الأمريكيّة والصّهيونيّة، لتصنع العلاقات مع بعض الدول بالمساعدات والتعاون الاقتصادي ،أمّا البعض الآخر فمن خلال اللجوء إلى الحرب العقائدية مثل افغانستان نموذجاً.

أمّا بخصوص التقسيم فقد كان واضحاً في وثيقة (عوديد ينون) بعنوان (استراتيجية اسرائيل في الثمانينيات، فقد تحدث فيها عن واقع العالم العربيّ المقسم والذي ما زال متنوع وغير منسجم نتيجة وجود طوائف وأعراق تعاني من الظلم والفقر والجهل، وأنها تشكل تحدياً وفرصه عظيمة إذا ما تم استغلالها (الدولة، محمد سيف، 1982: 2)، إنّ التركيبة السياسية الجديدة حسب المشروع الصهيو- أمريكيّ تتحدث عن مصر وعن الدولة القبطية فيها لتكون النواة من خلال تقسيمها إلى أقاليم جغرافيّة منفصلة وضعيفة، وتفتيت ليبيا التي تكاد تكون خالية من السكان لمنعها من الانضمام إلى أي إطار وحدوي. والسودان التي تتكون من أربع مجموعات سكانية منفصلة وتكاد تكون الأسهل، وتَطرق إلى سوريا حيث أنّ التنوع فيها لا يختلف عن لبنان والميزة الوحيدة فيها، هي النظام العسكري القوي الذي يحكمها، وأن تنوعها الطائفي يدل على مدى الخطورة فيها، وأنّ تفكيك العراق وسوريا ضمن دويلات ذات طابع دينيّ مستقل، كما هو الحال في لبنان هو هدف المشروع الصهيوني- أمريكي في الجهة الشرقية (الدولة، محمد سيف،1981: 3).

أمّا السعودية ودول الخليج فهي قائمة على بناء هش ليس فيها سوى البترول التي تعجز عن حمايته، وهي بحاجة إلى الأمريكان للحفاظ على واقعها. في حين تعاني الجزائر من انقسام بين البربر والعرب، وصراع مع المملكة المغربيّة بسبب الصحراء الغربيّة. وإيران وتركيا وباكستان وأفغانستان تعاني من شروخ إثنيّة وطائفيّة وعرقيّة، ولديها مشاكلها الداخليّة والخارجيّة. أمّا الأردن والذي يتكون من أقلية بدوية مسيطرة وأكثرية فلسطينيّة تعمل في الجيش والجهاز الإداري والاقتصادي، فتشكّل هدفاً استراتيجياً لتفتيتها، وتصفية النظام الملكيّ فيها والعبث في تركيبها الاجتماعيّ، ودفع السكان الفلسطينيين غرب النهر إليها.

إن زيادة معدلات الهجرة في المناطق وتجميد النمو الاقتصاديّ، هو الضمان لإحداث تغييرات على ضفتي النهر، لذلك نجد إسرائيل ترفض بشكل مطلق أيَّ مشروع أو تسوية في المناطق الفلسطينية غربيّ النهر حتى ترى إسرائيل أنّ التعايش والسلام يمكن تحقيقهما من خلال التسليم بوجودها وشرعيتها وسيطرتها على غربيّ النهر، وأن أمن العرب يتحقق فقط في الأردن (الدولة، محمد سيف،1982 :5).

نجد أن فكرة تفتيت الوطن العربي وإلغاء هُويته الجمعيّة استندت بالأساس إلى أفكار (تيودور هيرتسل) الأب المؤسس للصّهيونيّة عندما قال عام 1904م عن الحدود: «تحدثنا في الأمر نريد من النيل إلى الفرات، وأن ما يلزمنا ليست الجزيرة العربية الموحدة ، وإنما الجزيرة العربية الضعيفة والمشتتة والمحرومة

من إمكانيات الاتحاد (عبد الرحمن،2007: 2)، وأن الخطورة في المشروع الصهيو- أمريكي أنّه يتعدى فلسطين ليمس الأمن القوميّ للوطن العربيّ بأكمله وإضعافه، وأنّ وطناً عربيّاً مفتتاً ومتخلفاً وضعيفاً، يسمح للصّهيونيّة بأن تلعب دوراً سياسيّاً واقتصاديّاً وأمنيّاً وثقافيّاً على امتداد المنطقة، وهذا هدف مشروع الشرق الأوسط.

المخاوف الصهيو- أمريكيّة في الشرق الأوسط:

أظهر الأمريكيون خوفاً متماهياً من فشل مشروع الشرق الأوسط، وخاصة بعد الفشل الذي مُنيت به الحرب على العراق التي تم احتلالها عام 2003م، وكذلك الفشل في أفغانستان والانسحاب المذل منها بعد مفاوضات مع حركة طالبان، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الملف النووي الإيراني الذي مازال يراوح مكانه، وظهر عجز إسرائيل وأمريكا في وضع حد لحركات التحرر الوطنيّ في لبنان وفلسطين، ويمكن حصر المخاوف الأمريكية الإسرائيلية في التخلي الأمريكي ولو بشكلٍ جزئي عن ربط الإسلام بالإرهاب بشكل مختلف عمّا طُرح عام 2001م، وظهر في وثيقة الأمن القوميّ الأمريكيّ عام 2010م، وتحويل المصطلح إلى الحرب العالميّة واختزال ذلك في منظمة القاعدة، وقد أدى ذلك إلى تخليها عن فكرة الحرب الاستباقية، أو ما يُطلق عليه عقيدة بوش الاستباقية، وأن فشلها في العراق وأفغانستان لا يشجع على نجاحها في دول شرق أوسطية إسلاميّة قوية (وهيب،2010 : 75).

إنّ نتائج الحرب على لبنان عام 2006م أظهرت عجز الولايات المتحدّة، وعدم قدرتها كدولةٍ عظمى في مساعدة إسرائيل كما حصل في السابق، حيث استمرت الحرب ثلاثة وثلاثون يوما دون الوصول إلى نتائج عسكريّة أو أمنيةٌ تُذكر، وقد أدّت هذه الهزة إلى مراجعة الاستراتيجيّة العسكريّة الإسرائيليّة (وهيب، 2010: 75). كما أنّ الحروب الإسرائيلية على قطاع غزة في الأعوام 2008، 2012، 2014م، ولمواجهات المستمرة في الضفة الغربية والشيخ جرّاح وعدم قدرة إسرائيل على تحقيق أيّ حل أو معالجة، واتجاهها إلى اجراءات الحصار أظهر عجزها، وشكّل مخاوف لدى الولايات المتحدّة الأمريكيّة.

وبتحليل ما سبق، يمكن تفسير النتائج في واحد من الاتجاهيين الآتيين:

- إمّـــا أن تتراجع الولايات المتحدة وتنهي تواجدها العسكريّ في منطقة الشرق الأوسط، أو على الأقل تقليصه لإيجاد حيز لإسرائيل لممارسة دورها الوظيفيّ الذي يضفي على وجودها الشرعية في ظل الانقسامات الطائفية والمذهبية والعرقية في المنطقة.
- أو يستمر الفشل العسكريّ والتضخم الاقتصادي والذي سيؤدي يوماً ما إلى انهيار إمبراطوريتها حسب نظرية الدورة التاريخية (لأرنولد توينبي).

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث الذي يناقش نشأة الصّهيونيّة واستراتيجيتها في المراحل المختلفة مع التركيز على الاستراتيجيات المعاصرة، ومنها طبيعة العلاقة بين الصّهيونيّة والإمبرياليّة، فإن فكرة تقسيم الوطن العربي على أُسس عرقيّة ومذهبيّة هدفت إلى تمزيق المنطقة من خلال حروب داخلية لإضعافها وتقوية دولة الكيان الغاصب؛ لتقوم بدور جديد لصالح الاستعمار لنهب خيرات الوطن العربي والسيطرة عليها، وتحويل إسرائيل إلى دولة إقليميّة قويّة ومتفوقّة، ودمجها في المنطقة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً لصالح القوى

الاستعماريّة الكبرى. واختراع مصطلحات جديدة لهدم المرجعيات القديمة المستندة إلى الهُوية الجمعيّة العربيّة الإسلاميّة، لإعادة تفكيك وتركيب المنطقة لخدمة إسرائيل التي تعهدت الإمبريالية الأمريكيّة بالحفاظ على أمنها، وتفوقها النوعيّ وتوسيع نفوذها العسكريّ والأمنيّ لتعويض النقص في مواردها البشرية. وقد واجه الباحث العديد من الصعوبات؛ لتشابك المعلومات والأفكار، ولطرح العديد من الرؤى، من أجل الوقوف على أهداف المشروع الشرق أوسطيّ وتفصيلاته، والأساليب التي اتبعتها والتخوفات التي يواجهها المشروع نتيجة لجوانب الفشل التي مُني بها، فمهما كان فإن هذا المشروع ليس قدر المنطقة وبالإمكان تعطيله وإفشاله.

يوصي الباحث إجراء المزيد من الأبحاث حول استراتيجيّة الصّهيونيّة والمشروع الصهيو- أمريكيّ وتداعياته على المنطقة، والسبل الكفيلة بتحسين الأوضاع التعلميّة والاقتصاديّة والسياسيّة لتكون آليات لإفشال هذا المشروع ورفض الخطط الاستعماريّة الغربيّة كافة، وعدم الموافقة على دمج إسرائيل أو التطبيع معها كونها جزء غريب عن المنطقة، هدفها تحقيق الأهداف الاستعماريّة من خلال وظيفتها الأمنيّة والاقتصاديّة.

- **البـيبلـــــيوغرافيـــا**
- **الكتب المقدسة**
- **العهد القديم.**

المراجع العربية المطبوعة:

(1) بيريس، شمعون.(1994).**الشرق الأوسط الجديد**،ط1 (ترجمة محمد حلمي عبد الحافظ). المملكة الأردنية الهاشمية، عمّان: الأهلية.

(2) حسين، عدنان السيد.(1989). **التَوسُّـــــع في الاستراتيجيَّة الإسرائيليَّة**، لبنان: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

(3) حسين، غازي.(2005). **الشرق الأوسط الكبير بين الصّهيونيّة العالمية والإمبريالية الأمريكية**، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

(4) صفوة، نجدة فتحي.(1967). **اليهود والصّهيونيّة في علاقات الدول الكبرى**، بغداد: مطبعة الحكومة.

(5) كلينتون،هيلاري رودهام.(2015). **مذكرات هيلاري كلينتون- خيارات صعبة**، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

(6) م. رابكِـــنْ، يعقوب.(2021). **معنى إسرائيل**، (ترجمة وتقديم حسن خضر). رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية «مدار».

(7) المسيري، عبد الوهاب.(1999). **موسوعة اليهود واليهودية والصّهيونيّة**،مج6، القاهرة: دار الشروق.

(8) نوفل، أحمد سعيد.(2010). **دور إسرائيل في تفتيت الوطن العربي**،ط2، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، لبنان.

(9) هلال، جميل.(1996). **استراتيجيّة إسرائيل الاقتصاديّة للشّرق الأَوسط**،ط2،بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

الرسائل العلمية :

(1) **البريزات، رايق سليم.(2008). مشروع الشرق الأوسط الكبير والسياسة الخارجية الأمريكية -الأهداف والأدوات والمعوقات-(رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، عمّان، المملكة الأردنية الهاشمية.**

(2) **الكعيبر، هاني فهاد.(2013). الفكر السياسي الصهيوني وأثره على الصراع العربي الإسرائيلي في مرحلة السلام1991-2013** (رسالة ماجستير غير منشورة)، قسم العلوم السياسية، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، عمّان، المملكة الأردنية الهاشمي.

الصـــحـــــف:

(1) **أبو شريف، بسام.(2017، نيسان17). استراتيجية اسرائيل للسنوات القادمة: «هيمنة الإمبريالية الإسرائيلية على الشرق الأوسط بتحالف مع دول عربية تسير في فلكها».. و» التصدي لهذه الاستراتيجية منذ الآن لا يتم الا بالهجوم الدفاعي». صحيفة رأي اليوم. تم الاسترجاع من موقع https://www.raialyoum.com/wp-admin/post.php?post=657296&action=edit**

(2) عبد الرحمن، أسعد.(2007، نوفمبر8).المشاريع «الصهيو- أمريكية «لتفتيت المنطقة. صحيفة الاتحاد. تم الاسترجاع من موقع https://www.alittihad.ae

المجـــــلات :

(1) عدره، خلدون.(2015).المشروع الصهيوني-الأمريكي وتداعياته على الوطن العربي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية،المجلد31(1):254-217.

(2) النايف، حسام جميل.(2019). أثر العامل الديني في التحيز الأمريكي للصهيونية والكيان الصهيوني، مجلة دمشق، المجلد35(1):258-237.

(3) وثيقة عويد ينون.(1982)،مجلة كيفونيم،(عدد شباط،1982)، وتم إعادة نشرها في مجلة الكتاب12نوفمبر عام 2015، /2015/11/18 https://kitabat.com/

(4) وهيب، حسين حافظ.(2010).استراتيجية الإدارة الأمريكية الجديدة إزاء الشرق الأوسط. دراسات دولية، جامعة بغداد،(45): 75-49.

مصادر الشبكة العنكبوتية :

(1) آيزنكوت، غادي وسيبوني، غابي.(2019).توجيهات لاستراتيجية الأمن القومي الإسرائيلي، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى Available ،On-line :

https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/twjyhat-lastraty-jyt-alamn-alqwmy-alasrayyly

(2) حـــــرشاوي، ابراهيم.(2009).الدور الصهيوني في تفكيك الأمة، لائحة القومي العربي ،On-line Available:

http://qawmi-jathri.net/2009/12/27/%D8%A7%D /

(3)خطة برنارد لويس المزعومة لتقسيم الدول العربية، TRT عربي، On-line 2019، Available :

https://www.trtarabi.com/

(4)سويلم،حسام.(1999). استراتيجية إسرائيل لتحقيق غاياتها وأهدافها القومية المستقبلية، On-line، Available : https://www.albayan.ae/opinions/1999-07-02-1.1093708

(5)الدولة، محمد سيف، الوثيقة الصّهيونيّة لتفتيت الأمة العربية(2017) On-line، Available :

https://www.farahnewsonline.com/?mod=news&id=59323

من مظاهر التراث الروحي والاجتماعي للشيخ مختار الكنتي في سودان وادي النيل

د. خالد محمد فرح

وزارة الخارجية السودانية

مستخلص :

يسعى هذا المقال لتقديم إضاءة حول واقعة وصول شيخ ديني غامض، وشخصيته غير معروفة تماما، وغير مدروسة حتى الان على نحو كاف، إلى مدينة بربر بولاية نهر النيل بشمال السودان، وإقامته بها في ستينيات القرن التاسع عشر ، اي في عهد الحكم التركي المصري بالسودان. إسم ذلك الشيخ هو:» زين العابدين الكُنتي «، وهو حفيد الشيخ مختار الكنتي 1730- 1811م، ذلك العالم والزعيم الروحي الكبير وذائع الصيت في جزء واسع من بلاد صحراء غرب أفريقيا ، في المنطقة الواقعة حوالي منحنى نهر النيجر وما وراءها .يتناول المقال هذا الموضوع من خلال مقاربته لتلك الظاهرة التاريخية المتمثلة في العلماء والمتصوفة الحوالين، الذين اعتادوا على التنقل والسفر بكثافة، من اجل نشر علومهم وتعاليمهم، بما قد يقتضيه ذلك احيانا، من احتمال ان ينتهي ببعضهم السفر والتطواف ، للاقامة في مناطق بعيدة عن مواطنهم الأصلية .كذلك يشير المقال إلى إسهام منطقتي المغرب العربي وبلاد السودان الغربي على التوالي، في مجال التصوف والتعليم الديني في بلاد سودان وادي النيل .ويشدد المقال على اهمية سودان وادي النيل ودوره، كملتقى طرق للقوافل التي ظلت تعبر ارضه لقرون ، قادمة من بلاد المغرب الغربي وبلاد وسط وغرب افريقيا، متجهة نحو الشرق وخصوصاً، نحو الأراضي المقدسة بالحجاز لاداء فريضة الحج، وبين اهمية دور مدينة بربر كمحطة تجمع وتوقف واستجمام، في طريق قوافل الحجيج الأفريقي .واخيرًا يعرض المقال لجوانب مهمة وأساسية تتعلق بتاريخ وصول الشيخ زين العابدين لمدينة بربر، واقامته بها ، وملامح لبعض علاقاته الاجتماعية المفترضة ونشاطه الدعوي والتعليمي، كما تنم عليه بعض البينات الظرفية، كما يثبت المقال الإشارة إلى بعض المصادر الخطية والوثائق التي خلفها الشيخ زين العابدين الكنتي ببربر، ممثلة في بعض الرسائل التي تبادلها مع بعض أقاربه ب « أزواد « منطقته الأصلية بصحراء شمال مالي. كما يثبت المقال وفاة الشيخ زين العابدين الكنتي بمدينة بربر، ومواراته الثرى في احد جباناتها ، تحت قبة كانت معروفة هناك .وعلى سبيل التوطئة والتمهيد، استهلّ الباحث هذا المقال بإعطاء نبذة عن قبيلة كنتة وأدوارها في صحراء غرب أفريقيا، بالتركيز على شخصية الشيخ مختار الكنتي ومكانته السامية في سائر إفريقيا المسلمة خلال القرن الثامن عشر، مع الاشارة بصفة خاصة إلى بعض ملامح صلته الروحية بسودان وادي النيل على وجه التحديد .

كلمات مفتاحية: مختار الكنتي، زين العابدين الكنتي ، غرب أفريقيا المسلمة، السودان الشرقي، مدينة بربر.

Some Features of the Spiritual and Social Influence of Shaykh Mukhtar Al Kunti on the Nilotic Sudan

Dr. Khalid Mohamed Farah

Abstract:

This article endeavours to give an account of the arrival and the sojourn in the town Berber of the Nile state of Northern Sudan in the 1860s during the Turkiyya era, of a mysterious and a hitherto not a very well-known or a sufficiently researched figure. His name is Shaykh Zein Al-Abdin al-Kunti, who was the grandson of Shaykh Mukhtar Al-Kunti 1730 - 1811, the renowned scholar and spiritual leader of a large area of the grand African Sahara, in the region around the bend of the Niger River and beyond. The article approaches the topic within the context of the historical phenomenon of the roaming scholars and Sufis in Muslim Africa, who used to travel extensively around, for the sake of spreading their scholarship and teachings, with the possible eventuality of ending up as residents in certain lands that could be far away from their own ones. It similarly points out to the Maghreb and West African contributions to the Islamic learning in the Eastern Sudan. The article also underlines the importance of the Nilotic Sudan as a cross roads for centuries of many trans- Saharan caravan routes that headed eastwards for trade and mainly for pilgrimage, while it particularly draws the attention to the role played then by the town of Berber as an important hub in this respect. And lastly, the article gives a comprehensive account of shaykh Zein Al-Abdin al-Kunti, by giving some significant glimpses of the estimated history of his arrival and stay in Berber, including some of his possible social connections, as well as some of his surviving correspondences with his family in his original home land of Azwad in Northern Mali, besides his death and burial under a dome in the cemetery of Berber. A brief account of the Kunta tribe and of the biography of the famous shaykh Mukhtar Al-Kunti and his relationship with the Sudan in particular, has also been provided as a prelude to the article.

Key words: Mukhtar Al-Kunti, Zein al-Abdin Al-Kunti, Muslim West Africa, Eastern Sudan, Berber.

توطئة:

سودان وادي النيل بوصفه نقطة جذب وبؤرة إشعاع للهجرات البشرية والرحلات العلمية ومعبراً مهما نحو مناسك الحج.

ظل سودان وادي النيل كما هو معروف، وخصوصا بحكم موقعه الجغرافي، وطبيعة طبوغرافية حدوده المنبسطة، مع جواره الإقليمي المباشر وما وراءه، تلك الحدود السهلة العبور والاجتياز من دون عقبات أو حواجز طبيعية تحول دون ذلك، يمثل بؤرة جذب ومقصد هجرات، وفي ذات الوقت منطلق هجرات ورحلات عكسية إلى البلدان المجاورة، بل إلى ما أبعد منها، وذلك لأسباب ودوافع وأغراض مختلفة، منها البيئي، والأمني، والسياسي، والاقتصادي، والمعيشي، فضلا عن الرحلة من أجل طلب العلم والمعرفة واكتسابها، أو نشرها كذلك . وقد اشتهر سودان النيل بصفة خاصة ولبضعة قرون، بان أرضه قد مثلت معبراً محبذا لقوافل وأفواج الحجاج القادمين من بلاد وسط وغرب وشمال إفريقيا المسلمة، الذين ظلوا يعبرونها، قاصدين الأراضي المقدسة بالحجاز، عن طريق الموانئ السودانية على البحر الأحمر مثل مينائي عيذاب وسواكن، وخصوصا على إثر تعرض بلاد الشام وما جاورها من بلاد شمال غربي الجزيرة العربية وشبه جزيرة سيناء، من مخاطر وجود الصليبيين بالقدس، والمنطقة المحيطة بها من بلاد الشام في القرون الوسطى. وقد ظهر صدى ذلك التطور في جملة من الوقائع التاريخية الموثقة، مثل رحلة ابن جبير الأندلسي 1145 – 1217م إلى الحجاز عن طريق عيذاب وديار البجة بشرق السودان في القرن الثالث عشر الميلادي، ورحلة حج الشيخ الصوفي الشهير أبي الحسن علي بن عبد الله الشاذلي 1196 – 1258م عن طريق ميناء عيذاب أيضا في ذات القرن، ثم زيارة الرحالة المغربي ذائع الصيت ابن بطوطة 1304 – 1369م إلى مدينة سواكن في القرن الرابع عشر الميلادي، فضلا عن قدوم أعلام آخرين إلى بلاد السودان الشرقي في القرون اللاحقة، مثل الشيخ غلام الله بن عايد الزيلعي العقيلي اليمني في القرن الرابع عشر الميلادي، والشيخ عيسى بن بشارة الأنصاري الخزرجي المدني في أول القرن السادس عشر الميلادي، وذلك على سبيل المثال فقط .وفي ذات الإطار كتب الدكتور معتصم الحاج عوض الكريم ما نصه؛ « يعد السودان الشرقي قديماً، المعبر البري الآمن والأقرب والآهل بالسكان بالنسبة لقوافل الحجيج القادمة من العمق الأفريقي، وهو ما كان يعرف بطريق الحج القديم (سواكن /تمبكتو) ، الأمر الذي أعطى أهل البلاد فرصة التواصل مع أهل العلم والمعرفة من قبائل تلك البلاد التي تعبر بقوافلها وأحمالها براً لأداء فريضة الحج، حيث أدى موسم الحج إلى التواصل الفكري بين أطراف البلاد العربية والإسلامية» [1] وبخلاف الأثر الروحي والعلمي والثقافي الذي خلفه أولئك العلماء والفقهاء والمتصوفة الوافدون على أرض السودان، فقد تركوا أثراً اجتماعياً وبشرياً معتبراً أيضا، إذ أن جلهم قد آثر البقاء في السودان، فإما أن يتزوج الشيخ النازح فيه هو نفسه مثلاً، أو أن أبناءه وأحفاده يقيمون ويتزوجون فيه، ويخلفون ذراري ممتدة، ما تلبث أن تصير هب نفسها، جزءاً لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي في البلاد، والأمثلة على ذلك كثيرة. وفي المقابل، اشتهرت أسماء لبضعة أعلام ذوي أصول سودانية، ممن ازدهر نشاطهم العلمي وإشعاعهم المعرفي والروحي خارج سودان وادي النيل، وذلك في إطار ما يعرف بالرحلات العلمية. ومما يذكر من هؤلاء على سبيل المثال: التابعي الجليل يزيد بن أبي حبيب النوبي ت سنة 128ه/ 745م ، وذو النون ثوبان بن إبراهيم الصوفي ت 248هـ من المتقدمين، ومن المتأخرين على سبيل المثال فقط: الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد اليمني السناري المالكي القادري، المولود بحلفاية الملوك في

عام 1630م، والمتوفى والمدفون بمدينة فاس المغربية في حوالي عام 1712م. وهذا الشيخ السوداني، الذي هو في نظرنا، نموذج مثالي للعالم الرحالة من أجل طلب العلم وبثه معاً، هو تلميذ كل من الشيخين سليم راجل السيال الحلاوي(2)، ودفع الله بن أبي إدريس العركي ت 1664م [3]. والملاحظ أن ود ضيف الله قد غفل عن الترجمة لهذا الشيخ الجوال، غالباً بسبب اختفائه لسنوات متطاولة عن المشهد في السودان، ووفاته ومواراته الثرى خارج أرضه، في الوقت الذي ترجمت فيه له ولشيخه الشيخ دفع الله بن أبي إدريس، بعض المصادر المغربية المعاصرة، مثل كتاب: نشر المثاني في علماء القرن الحادي والثاني للطيب القادري المغربي، وسلوة الأنفاس فيمن قُبر من العلماء والصالحين بمدينة فاس لمحمد بن جعفر الكتاني المتوفى 1345هـ [4]

تبادل التأثير الروحي والعلمي والاجتماعي بين السودان وبلاد المغرب الكبير وبلادي السودان الأوسط والغربي:

تعد بلاد المغرب العربي الكبير، وكذلك بلاد وسط وغرب أفريقيا، مصادر أساسية رفدت معطيات واقع الثقافة والاجتماع والتصوف والتعليم الديني والفقهي بصورة كبيرة في سودان وادي النيل .

فعلى سبيل المثال، ارتبط دخول أول طريقة صوفية إلى السودان تقليدياً، بشخصية مغاربية، هي من تطلق عليه الروايات الشفهية في البلاد اسم « الشريف حمد أبو دنّانة «، الذي وصل إلى السودان كما ورد في إحدى تلك الروايات الشفهية، في حوالي عام 1445م، وأقام بمنطقة « سقادي « بولاية نهر النيل بالقرب من بلدة المحمية، فطفق يعلم فيها الناس العلم الشرعي والفقه والقرآن، ويسلكهم في الطريقة الشاذلية . [5]وقد مضت ذات الرواية فضلاً عن ذلك في الواقع، إلى تأكيد أن ذلك الشيخ أبا دنانة ، قد كان صهر الصوفي المغربي الشهير الشيخ « محمد بن سليمان الجزولي « مؤلف كتيب الأدعية ومجموعة الصيغ المختلفة للصلاة على النبي الكريم الموسوم ب « دلائل الخيرات » ، بل راج بين السودانيين في سياق ذات الرواية السماعية، أن ذلك الشيخ أبا دنانة، قد أنجب سبع بنات تزوجن كلهن برجال سودانيين كانوا أعلاما ، فأنجبت كل واحدة منهن ولياً صوفياً كبيراً ونابه الذكر في البلاد، فصار أولئك الأولياء الصالحين أبناء خالات كما يزعمون. على أن من المستغرب حقاً أن الشيخ محمد النور بن ضيف الله 1727 – 1810م، لم يشر مطلقاً إلى هذه الجزئية من تلك الرواية الشفاهية المتواترة، في كتابه: الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، ولم ينص ولا في مرة واحدة، على صلة قرابة عن طريق الأمهات، بين أولئك الأولياء الذين اشتهر في الثقافة الشعبية، أنهم كانوا أبناء خالات. وفي ذات السياق أيضا، يوقفنا الشيخ ولد ضيف الله ، على أن شيخا مغاربياً غامضاً اسمه الشيخ « عبد الكافي «، قد قدم على الشيخ السوداني إدريس بن محمد الارباب 1507 - 1651م، من المغرب بالخطوة، اي بسرعة خارقة للعادة على سبيل الكرامة، فسلكه في الطريقة القادرية. كما روى لنا ود ضيف الله أيضا، أن شيخاً مغاربياً آخر هو « الشيخ التلمساني المغربي « قد قدم على الشيخ السوداني « محمد ولد عيسى « الملقب بسوار الذهب ، فعلمه أحكام التجويد والقراءات القرآنية. وبالطبع فان النسبة « التلمساني « هذه، تحيل مباشرة إلى مدينة « تلمسان « ببلاد المغرب الأوسط، اي الجزائر الحالية . [6] وكذلك أشار ود ضيف الله في ذات السياق، إلى أن جد الشيخ الصوفي السوداني الشهير « حسن ولد حسونة « واسمه الحاج موسى، كان قدم إلى سلطنة الفونج بالسودان من الجزيرة الخضراء بالأندلس . [7]وتستمر مظاهر التأثير المغاربي والغرب افريقي على سودان وادي النيل حتى إلى القرن التاسع عشر الميلادي. ففي هذا القرن يظهر تأثير مدرسة شخصية صوفية مغاربية ذائعة

الصيت هو السيد احمد بن ادريس الفاسي 1750 - 1837م، وذلك من خلال تعاليمه وأوراده وصلواته التي نقلها إلى السودان تلميذه السيد محمد عثمان الميرغني الختم 1793 - 1853م، إلى جانب بضعة عشر تلميذا سودانياً آخرين، تتلمذوا جميعهم مباشرة على يد السيد ابن ادريس، على نحو ما أورد أسماءهم، وترجم لهم باختصار، الدكتور يحي محمد إبراهيم في كتابه الموسوم: « تاريخ التعليم الديني في السودان «، وكذلك كتابه الاخر: « مدرسة أحمد بن إدريس المغربي وأثرها في السودان» [8] وقبل ورود الطريقة الإدريسية إلى السودان، كمظهر من مظاهر التأثير الصوفي المغاربي على سودان وادي النيل، عادت الطريقة الشاذلية مرة أخرى في طور ثان، بصورة أكثر وضوحاً إلى البلاد، وعلى نحو أمكن التحقق منه والتوثيق له، حيث برز تأثير هذه الطريقة على يد المدرسة الناصرية الدرعية المغربية، وروادها مثل الشيخ محمد بن محمد بن ناصر الدرعي ت 1676م، وابنه الشيخ احمد بن محمد بن ناصر الدرعي ت 1717م ، حيث انخرط في سندهما نفر من أعلام السودانيين، منهم كل من الشيخين خوجلي بن عبد الرحمن ابو الجاز 1645 - 1743م، و حمد المجذوب 1696 - 1776م ، وغيرهما .[9]

على أن أكبر أثر روحي مغاربي المصدر مباشر على السودان الشرقي، يظل هو انتقال الطريقة التيجانية لمؤسسها الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد المختار التجاني 1737 - 1815م اليه، وانتشارها على نطاق واسع بين ربوعه، وخصوصا في غرب البلاد، وذلك عن طريق بعض مشايخ هذه الطريقة وأعلامها مثل: محمد مولود فال الدغيبي الشنقيطي المتوفى في عام 1851م ، ومحمد المختار بن عبد الرحمن الشنقيطي الشهير بان العالية المتوفى في عام 1882م، وعمر قمبو الفلاتي المتوفى في عام 1918 وغيرهم . [10] ومما يذكر في هذا السياق أيضاً، أن أحد أبناء الشيخ المجاهد الحاج عمر تال الفوتي 1797 - 1864م ، يسمى « مُبشّر «، قد دخل إلى السودان في تاريخ غير معروف في عهد الحكم التركي، وأقام فيه دهراً في قرية تسمى « دار السلام « تقع بالقرب من مدينة سنار على النيل الأزرق ، وأنه توفي ودفن في تلك القرية نفسها. وقد ذكره الشاعر الاستاذ إبراهيم الدلال الشنقيطي التيجاني وهو صديق للباحث، في منظومة شعرية له عن أعلام الطريقة التيجانية في السودان حيث قال :

صارَ بها في رفعةِ الأقمارِ
مُبشّرُ الفوتيُ في سنارِ [11]

ولكن الشخص الأكثر شهرة حقيقةً، المنتمي إلى أسرة « الحاج عمر الفوتي» الذي ارتبط بالسودان، وزاره واتصل بعلمائه، هو الشيخ ألفا هاشم بن أحمد بن سعيد الفوتي، وهو ابن أخي الحاج عمر بن سعيد الفوتي، مؤسس الدولة التيجانية بغرب افريقيا.

هذا، ومع تسليمنا بقوة وسعة انتشار الاثر المغاربي، وأثر بلاد السودان الأوسط والغربي في الثقافة الدينية في سودان وادي النيل عموماً، إلا أننا نرى - مع ذلك - ميلاً عند بعض الباحثين، إلى الشطط والمغالاة في تقدير مدى تأثير ذلك الأثر في بعض الجوانب .

فمن ذلك مثلاً، الزعم بصورة مطلقة، ومن دون إبراز بينة أو دليل، بأن المذهب المالكي في الفقه، قد ورد إلى السودان لأول عهده به على الإطلاق، من بلاد شمال افريقيا ووسطها وغربيها، وهو زعم يعوزه الدليل المادي الملموس في تقديرنا .وكذلك القول بأن الامام محمد احمد المهدي 1843 - 1885م ، قد استقى

فكرة المهدية، من جراء تأثير كتابات وتعاليم الشيخ عثمان دان فوديو 1754 - 1817م ، وأعجب من ذلك الزعم ولو تلميحاً، بأن الخليفة عبد الله التعايشي، هو الذي زين للمهدي فكرة المهدية وشجعه على تبنيها، وإعلان نفسه المهدي، استناداً إلى التراث المهدوي الذي كان رائجا في بلاد السودان الأوسط ،. وفقاً لتلك الفرضية ذاتها.

ففيما يتعلق بانتشار مذهب الامام مالك بن أنس في السودان، فإننا نعتقد أنه ليس هنالك ما يمنع عقلاً، من أن يكون هذا المذهب قد قدم إلى أرض السودان ابتداءً وبصورة مستقلة، إما من مصدره بالحجاز مباشرة، الذي لم يكن بعيداً أو معزولاً حقاً عن بلاد السودان الشرقي، أو من مصر المجاورة، التي ازدهر فيها هذا المذهب بقوة في أول أيامه، وانتشر انتشارا واسعا، وخصوصا في الصعيد المجاور للسودان. كما أن أرض مصر قد شهدت في الواقع، بروز وازدهار أبرز أعلام المالكية المقدمين من أمثال: عثمان بن الحكم الجذامي ت 163هـ وعبد الرحيم بن خالد بن يزيد الجُمحي ت 153هـ وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن الخليفة أبي بكر الصديق ت 191هـ وقد كان من أقرب تلاميذ الإمام مالك إليه، وأكثرهم ملازمة له ، وبالتالي ربما لم يكن السودان النيلي – بحكم جواره الجغرافي الملاصق لمصر - محتاجاً لأن ينتظر، حتى يأتيه مذهب مالك من المغرب البعيد، وإن كنا نقر بأن مؤثرات مالكية مغربية لاحقة، من المؤكد انها قد وردت إلى السودان الشرقي، وعززت ما نفترض أنه قد كان يوجد فيه سلفاً من تراث مالكي تليد . وعطفاً على ذلك، فإننا نميل في الواقع، إلى الاعتقاد فيما ظل يرجحه البروفيسور يوسف فضل حسن، من أن انتشار المذهب المالكي في السودان، قد تكرس حقيقةً، وتعزز علمياً ومعرفيا في المقام الاول، بفعل تأثير علماء المالكية في مصر، الذين تتلمذ على أيديهم نفر معتبر من فقهاء سودان وادي النيل إما مباشرة، أو وصلتهم مؤلفاتهم فاطّلعوا عليها. ومن أشهر اولئك علماء أعلام من أمثال: اللقاني، والبنوفري، وسالم السنهوري، والزرقاني، وعلي الأجهوري، والخراشي، والشبراخيتي، نزولا إلى عهد المتأخرين نوعاً ما مثل: أحمد الدردير، ومحمد الأمير، والصعيدي، والبليدي وغيرهم .[12]

بينما في المقابل لا يكاد المرء يجد في سودان وادي النيل، أثراً واضحاً ومستفيضاً لتراث علماء مغاربة كبار معاصرين تقريبا لأولئك العلماء المصريين مثل الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي التلمساني ت 1503م، ومن بعده كالونشريسي ت 914هـ والمعداني ت 1040ه، ومحمد بن الحسن بناني ت 1194هـ نزولاً إلى عهد الشيخ مختار الكنتي 1730 - 1811م، مع أن الجميع مالكية، وذلك إذا ما قورن بتأثير هؤلاء الأخيرين مثلاً، على المشهد العلمي والصوفي لبلادي السودان الأوسط والغربي على التوالي .ولا يسعنا بالطبع، أن ننكر الحضور المؤثر في الساحة العلمية والمعرفية السودانية لطائفة من كتب الفقه المالكي، التي يرجع تأليفها لعلماء وفقهاء كبار من بلاد المغرب العربي مثل المدونة لسحنون،، وكتب السنوسي في العقائد، والسلم للأخضري وغيرها، على انه ليس هنالك دليل بانها قد وصلت إلى السودان مباشرة من المغرب، وليس عن طريق مصر المجاورة ، ووسطها المعرفي المالكي الأزهري مثلا .

أما الزعم بان الامام المهدي قد استقى فكرة المهدية من كتابات وأقوال الشيخ عثمان بن فودة ، او بإيحاء من قبل الخليفة عبد الله، فيُرد عليه بأن فكرة المهدية، قد كانت وما تزال في الواقع، مبذولة منذ قرون في كتب التراث الحديثي والصوفي الإسلامي مشرقاً ومغربا، ولم يكن المهدي بالتالي ، وخصوصاً بما عرف عنه

من سعة الاطلاع والذكاء المتوقد وغزارة العلم، محتاجاً لأحد من غرب إفريقيا او شرقها، ليطلعه على فكرة المهدية، خصوصا وانه هو نفسه كان شيخاً مقدماً في الطريقة السمانية، وهي طريقة تهتم بالعلم والاطلاع وتحض عليهما، وخصوصاً النظر في مؤلفات بعض كبار المتصوفة التي فيها ذكر المهدي مثل كتابي « الفتوحات المكية « و « عنقاء مغرب « للشيخ محي الدين بن عربي 1165 - 1240 م، علماً بأن المهدي نفسه قد كان طالباً نجيباً للعلم من قبل ذلك، في عدد من مراكز العلم المرموقة في البلاد آنئذٍ، مثل مسيد ود عيسى وغيره. (13)

وثمة بينة أخرى تدل على أن الإمام المهدي، قد راودته فكرة المهدية منذ زمان بعيد في الواقع، وقبل ان يلتقي بالخليفة عبد الله لأول مرة بالمسلمية في حوالي عام 1880م بنحو سنتين على الأقل كما سنرى، في مناسبة بناء قبة الشيخ القرشي ود الزين. وتلك البينة هي قول شيخه الأسبق الاستاذ محمد شريف ود نور الدائم في قصيدته الرائية، مشيراً إلى تاريخ إفضاء المهدي اليه ببلوغه رتبة المهدوية عن طريق ما يسمى بحساب الجُمّل :

لقد جاءني في عام زعٍّ بموضعٍ
على جبل السلطان في شاطئ البحرِ

والشاهد من تلك المنظومة هو قول الناظم الشيخ محمد شريف:

إلى الخمس والتسعين أدركه القضا
بما مضى في سابق العلم بالنشر
فقالَ أنا المهديُ فقلتُ له استقمْ
فهذا مقامٌ في الطريقِ لمن يدرِي .. الخ

فعام « زع « هو رمز للعام 1277هج، وهو يوافق العام 1861م، وذلك هو العام الذي التحق فيه المهدي لسلوك الطريق السماني على يد الشيخ محمد شريف نور الدائم . ذلك بأن حرف الزاي يقابله العدد 7 وحرف العين يقابله العدد 70، وبالتالي يكون التاريخ المقصود هو عام 1277هج وهو يوافق سنة 1861 ميلادية. ثم إنه صرح بأن تاريخ إفضاء تلميذه محمد أحمد له بمهديته، قد كان في عام 1295ه، الموافق لسنة 1878م. وهو كما نرى، تاريخ يسبق تاريخ مقابلته الاولى للخليفة عبد الله بعامين على الأقل، لأن اقتناع محمد أحمد نفسه بأنه قد صار المهدي، لا بد أنه سابق حكماً ومنطقاً لتاريخ إفضائه بهذا السر لشيخه السابق محمد شريف. ولكن جميع ذلك لا ينفي البتة، إقرارنا بالدور الكبير الذي لعبته حركة الشيخ عثمان دان فوديو في تهيئة المناخ الفكري والعقدي، وخصوصاً الترويج الفكري، والاستنفار الشعبي لنصرة المهدي الذي تنبأ بظهوره في أرض النيل، وحث اتباعه على الهجرة اليها من أجل الجهاد تحت رايته، والوقوف إلى جانبه .

التعريف بقبيلة كنته وأصلها ومواطن انتشارها الجغرافي في الغرب الأفريقي :

قبيلة « كنتة « هي قبيلة عربية مغاربية صحراوية، تنتشر في نطاق جغرافي واسع داخل الصحراء الأفريقية الكبرى، شاملة أجزاء من موريتانيا، والنيجر، وشمال مالي وجنوب الجزائر. بل توغلت منها بضعة جيوب بعيدا، فوصلت حتى إلى السنغال وغامبيا .ويتمسك أفراد هذه القبيلة بالقول بالانتماء إلى الصحابي

عقبة بن نافع الفهري، الفاتح المسلم العظيم الذي نشر لواء الدعوة الإسلامية في أراض واسعة من بلاد الشمال الإفريقي والمغرب العربي، وما جاورهما من بلدان في الصحراء الأفريقية .ويبدو أن وجود قبيلة كنتة البشري، وإشعاعها الثقافي والروحي على الاقل، قد تجاوز مواطن سكنى أفرادها التقليدية، إلى مناطق اخرى نائية عنها إلى الجنوب والجنوب الغربي. وآية ذلك أن بطل رواية « الجذور « للكاتب الأمريكي من أصول إفريقية « أليكس هيلي «، اسمه « كونتا كونتي «، وإذ ذاك، فليس بمستبعد ان يكون ذلك الاسم، يعكس صدى لذلك الصيت الطائر الذي كان لقبيلة « كنتة «، وأدوارها المشهودة في نشر الإسلام وتعاليمه وعلومه في تلك الأصقاع .

ذلك بأن السياق التاريخي الذي تدور فيه أحداث تلك الرواية، هو سياق القرن الثامن عشر الميلادي، وهو عصر اشتداد وطأة حملات النخاسين الأوروبيين لاصطياد الزنوج الأفارقة، وشحنهم عنوة كرقيق على متن السفن العابرة للمحيط الأطلسي، لبيعهم في دول وأقاليم الأمريكتين المختلفة. وهو لعمري ذات القرن الذي ازدهر فيه نشاط الشيخ مختار الكنتي. أما البلاد التي أتى منها كوننا كونتي المذكور، وهو الجد الأعلى للمؤلف أليكس هيلي نفسه في الواقع، فهي جمهورية غامبيا الحالية التي تحيط بها السنغال من جميع الجهات، ولها ساحل ضيق للغاية، وإطلالة صغيرة فقط على المحيط الأطلسي .وتشير المصادر إلى أن الموطن الأصلي لقبيلة كنتة هو منطقة « توات « بجنوب الجزائر، ومنها انداحت هذه القبيلة مهاجرة، فانتشرت في البلدان التي ذكرت آنفاً، واتخذتها مواطن لها من بعد .وفي كل البلاد التي حلت بها قبيلة كنتة واستوطنتها، تبوأت هذه القبيلة موضع الصدارة والريادة اجتماعياً واقتصادياً وسياسيا وثقافيا وعلمياً، حيث خرج منها القادة، ومسيرو القوافل التجارية، والدعاة، والعلماء، والمتصوفة، ولعل من أشهرهم على الإطلاق الشيخ مختار الكنتي 1730 - 1811م، أبرز شيوخ الطريقة القادرية في غموم وسط وغرب افريقيا في القرن الثامن عشر الميلادي .ورث الشيخ مختار الكنتي إرثاً علميا وروحياً باذخاً، ومكانة اجتماعية مرموقة داخل عامة بلاد السودان الغربي والصحراء الأفريقية، عن سلسلة من أسلاف أماجد له من قبيلة كنتة، كان من أبرزهم الشيخ عمر بن احمد البكاي الذي عاش في بحر القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين. وفي معرض التعريف بهذا الشيخ كتب الدكتور معتصم الحاج عوض الكريم ما يلي :

« أبرز زعيم للقبيلة الشيخ عمر بن أحمد البكاي الكنتي المولود في 1460م بالصحراء، وقد خلف والده في الزعامة الروحية لقبيلة كنتة، والتقى بالشيخ المغيلي التلمساني، شيخ الطريقة القادرية وناشرها بين أفراد القبائل الإفريقية الصحراوية والسودانية (السودانية بالمعنى الواسع والشرح من الباحث)، وسافر معه إلى المشرق، حيث أدّى فريضة الحج، قبل أن يرجع الشيخ عمر ت 960 هج / 1553م بعد ذلك إلى الصحراء وبلاد السودان، صار الشيخ عمر أحمد البكاي مقدم الطريقة القادرية في المنطقة بعد وفاة شيخه المغيلي سنة 1553م ». [(14)] وهنا نود أن نلفت الانتباه إلى هفوة قد وقع فيها هذا الباحث ربما سهواً، وهي أنه قد نص على ان تاريخ وفاة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني قد كانت في عام 1553م، في الوقت الذي تجمع سائر المصادر ذات الصلة إلى أنها قد حدثت في عام 1503م .

نبذة عن الشيخ مختار الكنتي وتأثيره الاجتماعي والروحي والسياسي عموما :

جاء في نسبه، أنه هو المختار بن أحمد بن أبي بكر بن محمد بن حبيب الله بن الوافي بن الشيخ سيدي عمر بن الشيخ سيدي احمد البكاي بن سيدي محمد الكنتي الذي يتصل نسبه بالصحابي عقبة بن

نافع الفهري. واما والدته فهي للاّ مباركة بنت سيدي عبد القادر المدعو باد بن بدو اللمتوني الصنهاجي .

ولد الشيخ المختار الكنتي سنة 1142 هج / 1730م بإحدى قرى واحة أزواد « كثيب أغال « بصحراء شرق موريتانيا أو شمال غربي مالي، وتوفي سنة 1226 هج / 1811م .وكانت منطقة أزواد، مركز رباط صوفي قديم، عرفت فيه الطريقة القادرية نشاطاً مكثفاً منذ القرن التاسع الهجري، بقيادة الشيخ احمد البكاي تلميذ الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المتوفى عام 1503م. والشيخ احمد البكاي هو جد الشيخ مختار الكنتي، وجد قبيلة كنتة بفرعيها كنتة الحجر وكنتة أزواد. وهذا دليل على امتداد توارث هذا البيت للزعامة الروحية تالداً عن تالد .وقد جاء أيضاً في معرض الحديث عن جذور الشيخ مختار الكنتي بمقال مبذول بالشبكة العنكبوتية، أن جده الشيخ أبا بكر هو مؤسس قصر المبروك بأزواد بشمال مالي، وأنه كان قد خرج أصلاً من « قصر الجديد « بتوات الحزائر حيث موطنهم الأصلي، في حوالي سنة 1718م، هو وأبناء أخيه الشيخ سيدي المختار بن محمد بن عمر بن الوافي، متجهاً إلى إقليم أزواد لنشر الدعوة الإسلامية[15]

كما جاء في سياق التعريف بالشيخ مختار الكنتي، وطرف من سيرته وتراثه، وحضوره المرموق في بلاد شنقيط وما اتصل بها من البلدان المجاورة، في مقال بعنوان: « الشيخ سيدي المختار الكنتي شيخ مشايخ موريتانيا وتمبكتو « نشر الكترونياً بموقع « بوابة أفريقيا الإخبارية « بتاريخ 14 اكتوبر 2014م، ما نصه مختصرا :

« شمل إشعاع الشيخ سيدي المختار الكنتي جميع بلاد الصحراء والسودان الغربي، وجذب الكثير من العلماء والفقهاء، ولعب دور المصلح الاجتماعي والداعية والمستشار والحكم في النزاعات، خاصة بين الطوارق الملثمين وبين السكان والقوافل التجارية الصحراوية المارة بالمنطقة. ويعطي كتاب « كنتة الشرقيون « لبول مارتي، 17 نماذج كثيرة من تلك الأدوار والنزاعات التي فضها الشيخ سيدي المختار ... كما كانت له مراسلات مع القبائل الموريتانية التي كانت تنتجع إلى الغرب من تمبكتو، وراسل زعماء الطوارق، وأولاد علوش، وأولاد امبارك، وأولاد محمد أزناكي وايدوعيش.. كما راسل السلطان محمد بن مولاي عبد الله بن مولاي إسماعيل، إلى جانب صلاته القوية بإمارة « بورنو « الإسلامية و « إمارة هوسا وماسينا »... وكان محمد البكر امير بورنو والمقاطعات المجاورة، يتراسل مع الشيخ ويبعث له الهدايا، وقد وضع نفسه تحت ادارته الروحية، وكذلك وضع أمراء الفلاّن وزعماؤهم لا سيما عثمان دان فوديو وأخاه الوزير عبد الله وابنه الوزير محمد بلو .. «[16]

حفظ المختار الكنتي القرآن الكريم في طفولته، ودرس سائر العلوم النقلية والعقلية ومهر فيها وتبحّر، على يد أستاذه الشيخ علي ولد النجيب، الذي سلكه في سلك الطريقة القادرية أيضاً، عبر سلسلة إسناد توصله بالشيخ محمد عيد الكريم المغيلي التلمساني (ت 1503م)، الذي هو نفسه شيخ جده الأعلى الشيخ أحمد البكاي كما تقدم آنفا. وبعد ذلك أسس الشيخ المختار الكنتي زاوية « قصر الحِلّة «في حوالي عام 1754م للعبادة والذكر، وتدريس العلم والفقه، وتلقين الأحزاب والأوراد الصوفية. وذاع صيته، وشاع ذكره، فأمّهُ الطلاب والمريدون والعلماء من مختلف الأصقاع من بلدان شمال إفريقيا، وبلاد السودان الأوسط وخصوصاً الغربي، بل وصلت أخبار علمه وفضله وكراماته حتى إلى مصر وبلاد السودان الشرقي .ومن آيات الشهرة والصيت الحسن الذي كان يتمتع به الشيخ المختار الكنتي في زمانه، حتى داخل بعض البلدان في المشرق الإسلامي مثل مصر على سبيل المثال، بما عرفت بها من مكانة مرموقة كمركز إشعاع علمي وثقافي

ومعرفي ، وازدهار حضاري وعمراني وتجاري معتبر، ما توصل اليه هذا الباحث حدساً وبقرائن الاحوال ايضاً، ان العلامة الشريف محمد مرتضى الزبيدي الفقيه والمحدث واللغوي الشهير مؤلف معجم « تاج العروس من جواهر القاموس »، الذي ولد ببلدة بلغرام بالهند في عام 1732م، وتوفي ودفن بالقاهرة في عام 1791م، بعد حياة علمية عامرة وخصبة، من المرجح أنه قد كان يعرف الشيخ مختار الكنتي ويراسله، ومن المؤكد أن بينهما تلاميذ مشتركين أخذوا عن كليهما.

أما علاقة المختار الكنتي بمحمد مرتضى الزبيدي، فتحسب أنه يدل عليها ضمناً قول الزبيدي نفسه في معرض ترجمته التالي نصها، لتلميذه « محمد بن عبد الله الكُنتاوي المغربي»:

»عبد الله بن محمد الكنتاوي المغربي، الشيخ الصالح المتعبّد. أخذ ببلاده عن المختار بن أبي بكر نزيل أدوات ولازمه واعتنى به وانتفع به. ورد إلينا حاجّاً في سنة 1194 هج مع الركب التواتي، وتوجه إلى الحرمين، وحضر على الشيخ صالح الفوتي شيئاً من دروسه، وعاد مع الركب المصري، فسمع مني في 26 صفر 1195 هج من لفظي الاولية والشعر، وحديث إنما الأعمال بالنيات.. ثم صار يلازمني في أكثر الأوقات، وذكر لي عن شيخه صاحب أزوات أخباراً عجيبة، سنذكر بعضها في ترجمته، وأخذ له مني كتاباً بعد أن بلّغ سلامه لي، وكتبت له إجازة حافلة، وأجازني في بعض الفوائد، وتوجّه إلى بلاده بارك الله فيه «. [18]

من مظاهر الحضور الروحي للشيخ مختار الكنتي في السودان الشرقي :

لم يكن أهل سودان وادي النيل عموماً، بمعزل عن أخبار صلاح الشيخ مختار الكنتي وورعه وعلمه وتقواه، وسعيه الدؤوب في الدعوة إلى الله، وعمله المخلص من أجل تسوية الخصومات والإصلاح بين الناس. هذا، على الرغم من ندرة وجود سلاسل إسناد فقهيه أو صوفية صريحة داخل السودان، تمر عبر هذا الشيخ الصوفي قادري الطريقة، ذائع الصيت في عصره، علما بأن الطريقة القادرية تعد من أقدم الطرق الصوفية، وأوسعها انتشارا في السودان .ولعل ما جاء في الفقرة التي تتحدث عن الإشعاع الروحي والسياسي والاجتماعي للشيخ مختار الكنتي في بلاد شنقيط وما جاورها من ديار وممالك بالصحراء الأفريقية، وجنوباً منها في حزام الساحل الأفريقي، والتي استشهدنا بها اقتباساً من ذلك المقال المذكور آنفاً بعنوان: « الشيخ سيدي مختار الكنتي شيخ مشايخ موريتانيا وتمبكتو »، يفسر ضعف، أو على الاقل عدم بروز الحضور الإسنادي للشيخ الكنتي في السودان الشرقي على نحو مشهور. ذلك بأن تلك الفقرة لم تشر إلى أية دولة من دول سودان وادي النيل الإسلامية القديمة، ولا حتى سلطنة دارفور الملاصقة جغرافياً لسلطنات بلاد السودان الأوسط، فتثبت فيها مثلاً، أنه قد كان للشيخ الكنتي تواصل أو مراسلات مع سلاطينها .

بيد أننا نعتقد أن السند المختاري الكنتي، لا بد انه قد وصل إلى ارض السودان وانتشر فيه حكما، وخصوصا بعد هجرة طوائف من أحفاد واتباع ومريدي الشيخ عثمان دان فوديو 1754 - 1817م إلى سودان وادي النيل، استجابة لدعوته لهم قبل وفاته بوجوب الهجرة إلى ارض النيل من اجل نصرة المهدي الذي تنبأ بظهوره هناك، تلك الهجرة التي تحققت بالفعل في مطلع القرن العشرين على اثر قضاء قوات الاحتلال البريطاني على الخلافة الصكتية التي كان قد أسسها الشيخ المجاهد عثمان دان فوديو في عام 1804م والمعروف هو أن الشيخ مختار الكنتي ، قد كان أحد شيوخ سلسلة سند الشيخ عثمان دان فوديو في الطريق القادري .

وتأسيساً على ذلك، فانه يغدو من المتصور عقلاً، أن يكون من بين اولئك المهاجرين من سلطنة

صوكتو إلى السودان، من كانوا محتفظين بسلاسل إسناد توصلهم بالشيخ المختار الكنتي وان غابت عنا أسماؤهم وسيرهم .

على أن من مظاهر أثر الإشعاع الروحي للشيخ مختار الكنتي في أرض السودان على سبيل المثال، ما أورده الدكتور يحي محمد إبراهيم في كتابه « مدرسة احمد بن ادريس المغربي في السودان «، نقلاً عن كتاب « الوسيلة إلى المطلوب « للشيخ محمد الطاهر المجذوب، في مناقب الشيخ محمد المجذوب بن قمر الدين 1796 - 1832م، وهو ما نصه :

«ومن هؤلاء أحمد بن ادريس الذي قال فيما روى إبراهيم الرشيد : « لو يعلم الناس ما في المجذوب لتركوا جميع الصالحين، وأتوا إلى بابه لما له من الكرامة والمنزلة عند الله «... وقال عنه الشيخ مختار الكنتي: إن الله جمع في المجذوب خصائص لم يجمعها في غيره من الأولياء، وأنه أوتي من الهبات ما بلغ به من الكمال منتهاه. وأضاف أنه « ما زاغ عن الشريعة في حياته كلها، ولا جرّه الباطل إلى أن يفعل أو يقول في حال غيبته ما يخالف ظاهر الشرع ». [19] وسواء ثبت هذا القول المنسوب إلى المختار الكنتي في حق محمد المجذوب بن قمر الدين وصحّ، أو لم يثبت ويصح تاريخياً، خصوصا نظراً لأنه لما توفي الشيخ المختار الكنتي في عام 1811م، كان الشيخ المجذوب صبياً في نحو الخامسة عشرة سنة فقط من عمره. ومع ذلك فإن دلالة هذا الشاهد، تكمن في قيمته المعنوية والرمزية في حد ذاتها، حيث انها تدل ضمناً على تأكيد التواصل الروحي الثابت قطعاً، ولو على مستوى الخواطر والأشواق والكرامات الصوفية عابرة الحدود، بين المسلمين في سودان وادي النيل، وإخوانهم في سائر الفضاء الإسلامي، الممتد من لدن سواحل البحر الأحمر شرقاً، وصولاً إلى سواحل المحيط الأطلسي غرباً، عبر الصحراء الكبرى، وبلادي السودان الأوسط والغربي على التوالي .

الشيخ زين العابدين الكنتي: أبرز مظاهر الحضور الكنتي الملموس في السودان :

قدم إلى سودان وادي النيل، منذ حوالي أربعينيات القرن التاسع عشر على أقل تقدير، أي في بحر النصف الاول من عهد الحكم التركي للبلاد، حفيدٌ مباشر للشيخ مختار الكنتي، يسمى الشيخ زين العابدين بن الشيخ حبيب الله بن الشيخ مختار الكنتي .

أما افتراضنا أن الشيخ زين العابدين الكنتي قد وصل إلى أرض السودان، وحل بمدينة بربر في أربعينيات القرن التاسع عشر تخميناً، لأن هنالك رسالة وصلت إليه من بعض أقاربه ببلاده الأصلية بمنطقة أزواد بالصحراء الأفريقية. والشاهد هو أن تلك الرسالة مؤرخة بسنة 1265 هـ التي توافق سنة 1848م.[20]

حل الشيخ زين العابدين الكنتي بمدينة بربر، غالباً عند قفوله من أداء مناسك الحاج في طريق عودته لبلاده، وأقام بها بقية حياته، إلى أن وافته المنية بها في عام 1283ه/1866م، ووري جثمانه الثرى بإحدى مقابرها، وضربت على قبره قبة ظاهرة، كانت ما تزال قائمة حتى إلى بضعة عقود خلت، إلا أن بناءها قد تضعضع وتهدم، حتى اندثرت في نهاية المطاف، غالبا بسبب الظروف المناخية والفيضانات، وربما بسبب الإهمال أيضا . وقد شاهد تلك القبة في حوالي عام 1909م، رحالة فارسي زار السودان وساح فيه في ذلك التاريخ، اسمه: محمد مهري كركوكي، وأثبت ذلك في كتاب له بعنوان: « رحلة مصر والسودان « ، جاء فيه فيما يتعلق بالشيخ زين العابدين الكنتي ما نصه هذا :

«وفي بربر قبة تُزار للشيخ زين العابدين المنتسب إلى بني أمية. قيل إنه جاءها من شنقيط ببلاد المغرب، وتوفي سنة 1283 هجرية، وكان على الطريقة الجيلانية الكنتية ». [21]

لا تسعفنا ما بين أيدنا من مصادر - مع الأسف - بشيء فيما يتعلق بظروف وملابسات وصول الشيخ زين العابدين الكنتي إلى السودان، كما لا توقفنا على تاريخ وصوله إلى مدينة بربر على وجه الدقة والتحديد، فضلا عن أية معلومات محددة، حول تفاصيل نشاطه الدعوي والتعليمي والصوفي والاجتماعي بتلك المدينة والمنطقة المجاورة لها، ولا عن حياته الاجتماعية والأسرية، وعما إذا كان قد قدم بزوجته ، ام أنه تزوج ببربر وخلف بها ذرية من صلبه أم لا، كما لا توجد نصوص خطية تشير صراحة إلى أشهر تلاميذه ومريديه، ولا إلى اشخاص بأعيانهم في منطقة بربر أو غيرها بالسودان، يندرجون في سلسلة سند هذا الشيخ في الطريقة القادرية ، عن طريق جده الشيخ المختار الكنتي الكبير، وذلك مثلاً على غرار التوثيق الجيد، المتواتر شفاهة والمكتوب أيضاً، الذي حظي به أبناء وتلاميذ علم صوفي شنقيطي آخر معاصر له تقريباً، هو الشريف محمد المختار بن عبد الرحمن الشنقيطي الشهير بولد العالية 1820 – 1882م، دفين جزيرة « أم حراحر « بالقرب من شندي.

على أنه في سياق بعض المداخلات والردود اللافتة للانتباه حقاً، على بضعة استفسارات وجهها كاتب هذه السطور إلى صديق له من أبناء بربر، عما عسى أن يكون متوفراً لديه من معلومات حول شخصية الشيخ زين العابدين الكنتي دفين بربر، وخصوصاً حياته الأسرية، وعما إذا كان قد خلّف ذرية في بربر أم لا، ومن هم تلاميذه وحواريوه الذين درسوا عليه العلم، أو سلكوا على يده الطريقة القادرية المختارية الكنتية؟ ، وقام ذلك الصديق بدوره بإحالة تلك التساؤلات عبر تطبيق واتساب إلى بعض « قروبات « أبناء مدينة بربر، استوقفت الباحث في الواقع، هذه المداخلة المتينة والمثيرة للانتباه حقا، بغض النظر من حظها من الصحة والدقة في جميع تفاصيلها:

«الشيخ زين العابدين مشهور. نشر الطريقة الكنتية للشيخ مختار الكنتي بالمغرب، وأخذها منه أهل الدِكّة تحديدا. وخلف ذرية، اعتقد الوهاهيب بالدكة، والمباركاب بالقدواب .. وجزء من الشوافعة من آل البكّاي. ومن تلاميذه كذلك آل الشكلي » أ.ه [22]

من الواضح ان صاحب المداخلة المقتبسة أعلاه للتو، على دراية حسنة بسيرة الشيخ زين العابدين الكنتي وببعض ملابسات إقامته في بربر، وبالمجموعات التي اتصل بها وارتبطت به في تلك المدينة. ومن المحتمل أن يكون « آل البكاي « المذكورون ببربر، إما من ذرية الشيخ زين العابدين الكنتي من صلبه، أو أن يكونوا على الأقل من بين أقرب مريديه اليه، بدليل أن أحد أسلافهم، قد سُمي أحمد البكاي تيمناً بالشيخ البكاي الكنتي غالباً، وذلك بقرينة لقبهم « البكاي «، وهو لعمري لقب نادر في السودان، بينما هو لقب الجد الأعلى لعشيرة الشيخ مختار الكنتي .وعلى ذكر الأسماء والكنى والألقاب، وهي بكل تأكيد معطيات لها دلالاتها التاريخية والثقافية والاجتماعية غير المنكورة، فان من الملاحظ بالفعل وجود الاسم «زين العابدين« نفسه بصورة ملحوظة داخل مدينة بربر، واذ ذاك، فإننا لا نستبعد أن تمثل هذه التسمية، صدى لإرث الشيخ زين العابدين الكنتي الذي خلفه في تلك المدينة .ومن آيات سداد هذه المداخلة أيضا، نص صاحبها على أن آل الشكلي كانوا من تلاميذ الشيخ زين العابدين الكنتي أيضا. ومما يعضد ذلك استناداً إلى المصادر الخطية

ذات الصلة، أن أحد نساخ بعض الوثائق التي خلفها الشيخ زين العابدين الكنتي في بربر، كان يحمل لقب الشكلي بالفعل .

فقد علق ناسخ القطعة رقم (10) من مجموعة الرسائل الأثرية المتبادلة بين الشيخ زين العابدين الكنتي، وبعض أقاربه بإقليم أزواد بصحراء موريتانيا ومالي، التي جمعها واعتنى بتحقيقها ودراستها وثائقيا، الدكتور معتصم الحاج عوض الكريم، وهو مخطوط جواب من الشيخ أحمد البكاي إلى الشيخ زين العابدين، علق ذلك الناسخ في أسفل ذلك النص الذي نسخه من الأصل في عام 1327هـ / 1908م بما يلي بخط يده: « أ ه وبالله التوفيق على يد كاتبه أحمد البكاي بن محمد الوقيع أحمد محمد الشكلي « [23]

واستناداً إلى ذلك، يغدو من الراجح بل شبه المؤكد، أن أسرة الشكلي البربراوية، قد كانت تربطها علاقة خاصة بالشيخ زين العابدين الكنتي، وأنها ربما كانت المشرفة والقيمة على تراثه الروحي والمعرفي والعلمي بعد وفاته. وقد تجلت الصلة الحميمة بينهم وبين التراث المختاري الكنتي عموماً، في أن أحد أسلافهم كان يسمى « أحمد البكاي « كما رأينا آنفا .

خاتمة :

مما تقدم، تتضح لنا أهمية مدينة بربر ودورها التاريخي، كملتقى طرق قوافل كثيرة كانت تحط بها، قادمة إليها من مختلف المناطق من داخل السودان وخارجه، أو منطلقة منها إلى مختلف البلدان والمناطق بالداخل والخارج كذلك. وقد كانت أبرز تلك القوافل وأجدرها بالملاحظة والتنويه، هي قوافل الحجاج الأفارقة الذي كانوا يعبرون أرض سودان وادي النيل، مروراً بعدد من أبرز مدنها ومراكزها الحضرية الشهيرة آنئذ مثل: بربر، وكوبى، والفاشر، والأبيض، والمسلمية، والحلفاية، وسنار، وشندي، ودنقلا، وسواكن وغيرها. والراجح وفقا لذلك السياق، أن الشيخ زين العابدين الكنتي، قد كان على المرجح أحد أولئك المسافرين الذين سلكوا طريق الحج عبر أرض السودان، ولسبب ما، طاب له المقام في ربوعه، واتخذه موطنا له، حتى وافته المنية، ودفن في ثراه بمدينة بربر .ولا شك أن قصة الشيخ زين العابدين الكنتي وإقامته بمدينة بربر لنحو عقدين من الزمان، ثم وفاته بها ، تمثل في حد ذاتها فصلاً باذخ الثراء، في سفر ضخم، يعكس دور السودان الشرقي بوصفه مقصدا للرحلة العلمية، ومهاجراً محبذاً لنشر العلوم الدينية والفقه والتصوف بصفة عامة، على غرار زيارة السيد محمد عثمان الميرغني الختم الكبير 1793 -1853م من الحجاز إلى السودان في حوالي عام 1816م ، وما تركته من آثار كبيرة في السودان على مختلف الأصعدة، على سبيل المثال .

كما تجسد زيارة الشيخ زين العابدين الكنتي إلى السودان وإقامته فيه بكل تأكيد، قوة العلاقة الروحية والاجتماعية بين السودان والفضاء الأفريقي الصحراوي والمغاربي بصفة عامة، بل تمثل انعكاسا ملموسا لحضور تراث الشيخ مختار الكنتي بالتحديد، ممثلا في دور حفيده المباشر الشيخ زين العابدين بن الشيخ حبيب الله بن الشيخ مختار الكنتي خاصة .

إن هذه الواقعة التي وجدت حظها من الالتفات إليها مؤخرا لحسن الحظ، من قبل نفر من الباحثين الوطنيين، مثل الدكتور عوض الكريم وأضرابه، وخصوصا بعض الباحثين بجامعة وادي النيل، تمثل في الواقع، غيضاً من فيض فقط ،من قدر هائل من القصص والوقائع المماثلة التي كان مسرحها مختلف حواضر السودان كما يجوز لنا أن نفترض ، والتي لم تتجاوز حتى الآن نطاق الروايات الشفاهية، وهي وقائع

ذات صلة وثيقة بجوانب مضيئة وجديرة بالدراسة والتوثيق والنشر، في سياق تاريخ السودان الثقافي والاجتماعي، وخصوصاً في إطار تاريخ التواصل الثقافي والروحي والاجتماعي بين السودان ومحيطه العربي والإفريقي والإسلامي بصفة عامة، ولم يجتهد الباحثون المعنيون الاجتهاد اللازم والكافي بعد في تقديرنا، في العكوف على التنقيب فيها ودراستها، وقد آن لهم أفراداً ومؤسسات، أن يفعلوا ذلك بكل تأكيد .

هوامش وإحالات مرجعية:

(1) معتصم الحاج عوض الكريم، «مدينة بربر السودانية والروابط الثقافية للرحلة الحجازية:

دراسة وثائقية لرسائل السادة الكنتية»، مقال، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا، جامعة أدرار، الجزائر، العدد الحادي عشر، مارس 2017م، ص 167.

(2) انظر ترجمته في كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان تأليف محمد النور ولد ضيف الله، تحقيق يوسف فضل حسن، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، 1985م، ص 205.

(3) كتاب الطبقات لود ضيف الله، المصدر أعلاه، ص 222.

(4) يوسف فضل حسن، ملامح من العلاقات الثقافية بين المغرب والسودان، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، 2005م، ص 56 – 58. وأفادني صديقي الخليفة مجاهد أحمد النور الزاكي، عن ترجمتيْ الشيخ أحمد اليمني وشيخه دفع الله بن محمد أبي إدريس معاً، في كتاب سلوة الأنفاس المذكور للكتاني.

(5) يوسف فضل حسن، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي 1450 – 1821م، دار سوداتك المحدودة للنشر، الخرطوم، الطبعة الخامسة، 2012م، ص 139.

(6) كتاب الطبقات لمحمد النور بن ضيف الله، مرجع سبق ذكره، ص 41.

(7) الطبقات، المرجع أعلاه، ص 133.

(8) يحي محمد إبراهيم، مدرسة أحمد بن إدريس المغربي وأثرها في السودان، دار الجيل، بيروت، ص 344 – 375.

(9) عن سند الشيخ حمد المجذوب في الطريقة الشاذلية الناصرية الدرعية، انظر ترجمة هذا الشيخ في الطبقات، الطبعة المشار اليها أعلاه ص 188، وانظر أيضا كتاب: أحمد الدردير الحضيري: المسك والريحان فيما احتواه من بعض أعلام فزان، الشركة العامة للورق والطباعة، الخُمس، ليبيا، 1996م، ص 61.

(10) خالد محمد فرح، تاريخ التواصل والرحلات والإجازات العلمية في سودان وادي النيل في القرن 12هـ/18م: الشريف مرتضى الزبيدي وتلاميذه أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة الزعيم الأزهري، السودان، 2020م، ص 104.

(11) من إفادة شفهية مباشرة من صديقي الأستاذ إبراهيم الدلال الشنقيطي قبل بضعة أعوام.

(12) خالد محمد فرح، تاريخ التواصل، مرجع سبقت الإشارة إليه، ص 76.

(13) حول فكرة المهدية عند الامام محمد أحمد المهدي، وما قيل عن تأثره بأفكار الشيخ عثمان دان فوديو، يمكن الرجوع الى مصنفات مثل: الحركة الفكرية في المهدية لمحمد إبراهيم أبو سليم، والصراع بين المهدي والعلماء لعبد الله علي إبراهيم، ثم كتابات البروفيسور يوسف فضل حسن، وخصوصاً كتابات الدكتور فتحي حسن المصري، والبروفيسور محمد أحمد الحاج، والبروفيسور الأمين أبو منقة وغيرهم، فيما يتعلق بصلة المهدي بأفكار الشيخ عثمان بن فودة.

(14) معتصم الحاج عوض الكريم، « مدينة بربر السودانية والروابط الثقافية للرحلة الحجازية « مرجع سبقت الإشارة إليه، ص 169.

(15) من مقال عن سيرة الشيخ مختار الكنتي بموسوعة ويكبيديا الالكترونية www.wikipedia.org، مستخدم أبو عامر الكنتي – ويكبيديا.

(16) من مقال بعنوان: « الشيخ سيدي المختار الكنتي شيخ مشايخ موريتانيا وتمبكتو «، نشر بموقع « بوابة افريقيا الإخبارية « الالكتروني، بتاريخ 17/10/2014م.

(17) بول مارتي Paul Marty 1882 – 1938م، فرنسي الجنسية، ضابط ومترجم وموظف كبير بالإدارة الاستعمارية الفرنسية في إفريقيا، كان مسؤولاً عن الشؤون الإسلامية، وعن الإدارة الأهلية وشؤون القبائل والأعراق بمستعمرات غرب إفريقيا الفرنسية. كان مجيداً للغة العربية، وله عدة مؤلفات عن الإسلام في غرب افريقيا، وما أشهرها كتاب « كنتة الشرقيون « المذكور الذي صدر في عام 1920م.

(18) خالد محمد فرح، « تاريخ التواصل والرحلات والإجازات العلمية «، بحث ماجستير، سبقت الإشارة إليه، ص 291.

(19) يحي محمد إبراهيم، مدرسة أحمد بن إدريس المغربي وأثرها في السودان، مرجع سبق الإشارة إليه، ص 362.

(20) معتصم عوض الكريم، مدينة بربر السودانية، مرجع سابق، ص 193.

(21) محمد مهري كركوكي، رحلة مصر والسودان، مطبعة الهلال بالفجالة، مصر، 1914م، ص 313.

(22) إفادة وصلت للباحث عن طريق زميله وصديقه السفير عبد الباسط بدوي السنوسي، وهو ينتمي إلى واحدة من الأسر العريقة بمدينة بربر.

(23) معتصم الحاج عوض الكريم، مرجع سابق، ص 197 – 198.

الرياضة العربية الأصيلة في المملكة العربية السعودية (الفروسية والهجن أنموذجاً)

د. أمل مطر العصيمي

باحثة - المملكة العربية السعودية

المستخلص:

تهدف الدراسة للتعرف على الرياضة العربية الأصيلة في المملكة العربية السعودية بالتركز على رياضتي الفروسية والهجن، حيث تميزت المملكة العربية السعودية وعبر تاريخها الطويل بالعديد من أنواع الرياضية العربية الأصلية، والمتتبع لتاريخ المملكة يجد أنها اهتمت برياضة الفروسية والهجن بصورة خاصة ومرد ذلك طبيعة إنسان المملكة المحب لمثل هذه الانواع من الرياضة، تنبع أهمية الدراسة من كونها تسعى للتعرف على رياضة الفروسية والهجن في المملكة العربية السعودية من خلال تتبع تطور هذه الرياضة من الناحية التاريخية اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول لنتائج والتي من أهمها: ممارسة إنسان الجزيرة العربية بصورة عاملة والمملكة العربية لسعودية على وجه الخصوص لرياضة الفروسية والهجن منذ فجر التاريخ، اهتمام المملكة العربية السعودية بهذه الانواع من الرياضة وتوفير أدوات تطورها وريادتها، انشاء مراكز خاصة لتربية وتدريب الخيول والهجن مما يدل على العانية بهذه الرياضة.

الكلمات المفتاحية: الرياضة العربية ، الأصلية، المملكة العربية السعودية، الفروسية، الهجن.

Authentic Arab sports in the kingdom of Saudi Arabia (Equestrian and camel riding as amodel)

Dr. Amal Matar Al- Osaimi

Abstract:

The study aims to identify the authentic Arab sports in the Kingdom of Saudi Arabia by focusing on the equestrian and camel sports, as the Kingdom of Saudi Arabia has been distinguished throughout its long history by many types of original Arab sports, and anyone who traces the history of the Kingdom will find that it was interested in equestrian and camel sports in particular and this is due to its natureFor people in the Kingdom who love such types of sports, the importance of the study stems from the fact that it seeks to learn about equestrian and camel sports in the Kingdom of Saudi Arabia by tracking the development of this sport from a historical perspective. The study followed the historical, descriptive, and analytical approach in order to reach results,

the most important of which are: the practice of Insan Al-JazeeraArabic in general and the Kingdom of Saudi Arabia in particular for equestrian and camel sports since the dawn of history. The Kingdom of Saudi Arabia's interest in these types of sports and providing tools for their development and leadership, establishing special centers for raising and training horses and camels, which indicates interest in this sport.

Keywords: Arab sports, original, Saudi Arabia, equestrian, camel

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وخليله وصفوته من خلقه نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبدالله، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهديه إلى يوم الدين. وبعد:

لقد استأنس الانسان العربي القديم الخيل والجمل في الجزيرة العربية قبل الاف السنوات مما يدل على ذلك ،العثور على العديد من الرسومات المنقوشة على الصخور وكذلك المجسمات المنحوتة الاثرية ، وتعاقب الاهتمام بالخيل عبر العصور الاسلامية حيث كانت تستخدم في المعارك والفتوحات والترحال من مكان لآخر طلباً للماء والكلأ ،وللعلم والعمل .

ارتبطت الخيول لعربية بالأصالة منذ القدم، وأول من ركب الخيول قبل الإسلام من العرب، وهو سيدنا إسماعيل بن إبراهيم الخليل

كرّم الإسلام الخيل أيما تكريم، ونص على أهميتها البالغة، بوصفها رمزاً للمنعة والقوة، والوسيلة العظمى لنشر الرسالة السماوية في الآفاق، حتى إن الله سبحانه وتعالى أقسم بها في محكم تنزيله حين قال:]وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا[[1]

ووردت العديد من الاحاديث النبوية عن الخيل وفضلها وقد خُصت الخيل المعدة للجهاد بالعناية الفائقة، والرعاية والتكريم، كما خُص الذين يعتنون بها بمزيد الأجر. وقد فرض الرسول ـ ﷺسهمين في الغنيمة للفرس وسهماً واحداً لفارسه، بينما جعل للمقاتلين من المشاة سهماً واحداً. وهو مثال على المعنى العام لإعداد القوة ومُضاعفاتها لقوله تعالى:]وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ[[2] ، ولقول الرسول ـ ﷺ] الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ[[3] وكذلك اهتم العرب بالابل ، وعلى الرغم مما اشتُهرت به الإبل من قدرة التكيف مع قسوة الصحراء، وتحمل الجوع والعطش، إلا أنها فشلت في الحرب أمام الخيل، ولم تستطع منافستها في سرعة الحركة، والإقبال على العدو، والثبات في خضم المعارك وصليل السيوف، الذي يشكل عاملاً أساسياً في سرعة تهيج الإبل وفرارها, حيث استخدمها العرب قي القوافل التجارية التي تجوب انحاء الجزيرة العربية ،فمن جنوبها الى شمالها في رحلاتهم وقد ذكرت تلك الرحلات في القران الكريم، قال تعالى : ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴾[4] والإسلام ينظر إلى المسابقة على الخيل والإبل في أصلها نظرة الرضى والتحريض؛ لأنها وسيلة إلى نشر القوة والفتوة والرياضة والجندية الماهرة، وفي سُنة الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ما يفيد أن هذه

المسابقة كانت معروفة عند الصدر الأول، فعن أنس بن مالك قال: كانت ناقة الرسول ـ ﷺ ـ تُسمى الغضباء، فكانت لا تُسبق (لسرعتها)، فجاء أعرابيٌّ على قَعود له فسابقها فسبقها، فاشتد ذلك على المسلمين، فلمَّا رأى الرسول ـ ﷺ ـ ما في وجوههم قالوا: يا رسول الله سُبقت العضباء. فقال ﷺ: «إن حقٌّ على الله أن لا يرفع شيئًا من الدنيا إلا وضعه». [5] وعن ابن عمر أن الرسول سابق بين الخيل التي أُضْمرت (معنى اضمرت في فتح الباري6/71)(أي تعلف الخيل حتى تَسْمُن ثم تقوى ثم يقلل علفها بقدر القوت وتدخل بيتاً وتغشى بالجلال حتى تحمي فتعرق ،فإذا جف عرقها خف لحمها ،وقويت على الجري) من "الخفياء"، وكان غايتها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد زريق [6]وعن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال: "لا سَبْقَ إلا في نَصْلٍ أو حافرٍ أو خُفٍّ أونصل»[7] والنصل هو حديد الرمح والسيف والسهم، والحافر للخيل والحمير، والخفُّ للإبل والفِيَلة، وقد فهم الفقهاء من هذا الحديث جواز إعطاء السابق جُعلاً أو مُكافأة، وقالوا إن المعنى أنه لا يحلُّ أخْذُ المال بالمسابقة، إلا في نصل أو ذي حافر أو خف، وهي السهام والخيل والإبل، وألحقوا بها ما كان بمعناها. وجاء التصريح بإعطاء الجُعْلِ في حديث آخر لابن عمر قال: سبَّقَ (بتشديد الباء) النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين الخيل، وأعطى السابق.[8] **ومما يبين أهمية هذه الرياضة العربية الاصيلة الا وهي سباقات الفروسية والهجن , وقد عنيت بها الدول العربية عبر العصور الى وقتنا الحاضر ، والجدير بالذكران الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه ركب الفرس و الابل في معاركه لاسترداد و توحيد البلاد .**

ومن منطلق أهمية الخيل والابل في الإسلام ، فقد اعتنت حكومة المملكة العربية السعودية بترويضها وتدريبها والعناية بها .

رياضة سباق الفروسية بالمملكة العربية السعودية :

يشهد سباق الخيل في السعودية تطوراً مذهلاً على مر العصور، وتُعَدُّ جزءًا لا يتجزأ من التراث والثقافة العربية. ومع مرور الوقت، ازدهرت هذه الرياضة وأصبحت تجذب اهتماماً واسع النطاق. وللخيل حضور مميز في تاريخ السعودية، الحاضرة منذ نشأت الدولة السعودية الأولى فعلى صهواتها استطاع أئمة الدولة السعودية الأولى توحيد معظم أرجاء الجزيرة العربية، وكان لاهتمامهم بمرابط الخيل والخيل العربية الأصيلة دور في تكاثرها وانتشارها في كل أنحاء المملكة ، وامتد هذا الاهتمام للدولة السعودية الثانية حيث أورد ابن بشرفي كتابه «سهيل فيما جاء في ذكر الخيل «ما يدل على ولع الإمام فيصل بن تركي بالخيول وتربيتها والعناية بها، حيث قال: «وملك من الخيل العتاق العربيات ما لم يملكه ملك من الملوك من جميع أنواعها الغالية والأصائل العتاق العالية من الصقلاويات والدهم، والعبيات والجازيات والشوافات وغيرها من العراب المسميات عنده...» [9]،ووصولاً للدولة السعودية الثالثة التي قامت على يد الملك عبد العزيز طيب الله ثراه وحتى يومنا هذا.

الملك عبد العزيز – المصدر صحيفة الجزيرة.

لقد اتخذ الملك عبدالعزيز- طيب الله ثراه - الخيل أداة فَعّالة وحاسمة في كسب كثيراً من معاركه وحروبه ، وتُحاط الخيول الأصيلة بعناية ورعاية كبيرتين ، لذا بدأ نادي الفروسية بالرياض في عهده بإقامة سباقات للخيل في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة الرياض، وكان ميدان السباق ينطلق من آخر طريق صلاح الدين الأيوبي إلى نقطة النهاية أمام ربوة مرتفعة كان يجلس عليها الملك عبدالعزيز ويشاهد السباق، وهي الموقع الحالي لمبنى النادي الرياضي التابع لنادي الفروسية بحي الملز، كان هذا السباق يقام بين أبناء جلالته، وعلى خيل عربية أصيلة يملكها جلالته وبعض من أصحاب السمو الأمراء من أبنائه الذين أصبحوا يهتمون باقتناء الخيل الخاصة بهم ويشاركون بها فى السباقات منذ ذلك الحين[10].

أحد الخيول العربية السعودية الأصيلة مع خياله – المصدر المملكة اليوم

كما اعتنى الملك عبدالعزيز - رحمه الله - بالخيل واهتم بشؤونها، إذ جاء في كتاب «أصول الخيل العربية» لحمد الجاسر ما نصه:» ففي عهد الملك عبدالعزيز اتجهت عنايته إلى رعاية الخيل، والاهتمام بشؤونها، قال الشيخ يوسف ياسين: ولما رأى ذلك (يعني كثرة ما يقتل من عتاق الخيل في الحروب) وخاف على أنساب الخيل أن تضيع، جمع الخيول الأصيلة، وجعل لكل فريق منها مكانًا خاصًا وخدمًا مخصوصين وشدد في أوامره بالمحافظة عليها والعناية بشأنها...». وفي عهد الملك سعود بن عبدالعزيز تم إنشاء (دكة) على الربوة المرتفعة المشار إليها وأصبحت مكان يجتمع فيه المتسابقين من ملاك الخيل ويشاهدون السباقات، وعندما تقرر نقل الوزارات من مكة المكرمة إلى الرياض تم اختيار الجهة الشمالية من هذا الموقع كمنطقة سكنية راقية، سميت باسم الملز وأخذ الاسم من (ملز الخيل) التي كانت تقام في المنطقة، وبعد ذلك تم اختيار مساحة من الأرض تكون منها ميدان سباق الخيل، ووضعت إسطبلات الخيل في الجهة الشرقية من هذا الموقع.

سعى الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود تقريباً عام 1383هـ في دعوة محبي الفروسية والمهتمين بالخيل عندما لاحظ اندثار هذه الرياضة، وضعف الاهتمام بالخيل؛ وعدم وجود التنظيم المناسب لممارستها؛ وأرسل لدعوة هذه الفئة من الناس حتى تبلورت الفكرة لإنشاء كيان يضم كل محبي الفروسية وسباقات الخيل وتولى حينها الأمير سلمان بن عبد العزيز آل سعود أمير منطقة الرياض آنذاك التنسيق في تكوين هذا التجمع؛ وفي عام 1965م أكتمل هذا الجهد بقيام نادي للفروسية رسمياً بموجب قرار من وزارة العمل والشئون الاجتماعية؛ وصدر الأمر السامي الكريم من الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود حينها بتكليف الأمير عبدالله بن عبدالعزيز برئاسة هذا النادي، بعد ذلك تم تسوير ميدان سباق الخيل المذكور، وأقيم أول سباق رسمي للخيل بهذا الموقع، وتولى إدارة النادي عبد الله بن عبد المحسن البسام مدة 22 عام من عام 1386هـ إلى عام 1408هـ[11] وتُحاط الخيول الأصيلة بعناية ورعاية كبيرتين من قبل المسئولين في المملكة، ويرجع ذلك إلى الحب المتأصّل للحصان العربي لدى أهل المملكة. ولهذا أنشئت مراكز للعناية بالخيول العربية في شتى أنحاء المملكة. وتحرص تلك المراكز حرصاً فائقاً على ما لديها من نسل الخيول العربية الأصيلة، التي نشأت في الجزيرة العربية. فتسجل أسماءها في سِجِلّات نسب دقيقة منظمة، بإشراف خبرات عالمية، وتعمل على تكاثرها بانتخاب أنواع ممتازة منها. ويمكن القول إن تلك الخيول ما زالت تحتفظ بدمها العربي الأصيل. ويعتبر مركز «ديراب» من أهم هذه المراكز.

مركز ديراب لتربية الخيول العربية(مركز الملك عبدالعزيز للخيل العربية الأصيلة الآن):

أُسندت مهمة العناية بالخيول العربية، في المملكة العربية السعودية إلى وزارة الزراعة والمياه في سنة 1381هـ فاختارت الوزارة مكاناً على بعد 30 كيلومتراً إلى الجنوب الغربي من مدينة الرياض ليكون مقراً لتربية الخيول، وهو مركز ديراب. وقد أقيم هذا المركز بهدف تجميع الخيول الأصيلة في مكان واحد، وتوفير ما تحتاج إليه من رعاية صِّحية، وخدمات أخرى، بإشراف خبرات مختصة في هذا المجال، بما يضمن عدم اختلاط أنسابها بأي سلالات غير أصيلة. وتمثلت نواة الخيول الأصيلة في مركز ديراب في مجموعة من الصّفوة النقية من خيول الملك عبد العزيز آل سعود، التي أهداها إليه بعض زعماء القبائل العربية. وتوجد بهذا المركز خمسة أنواع من السلالات، هي: الكِحِيلانية، الحَمْدانية، الصَّقلاوية، الصِّويتيات، والعبيانية. ويُمنع تصدير إناث هذه السلالات إلى خارج المملكة العربية السعودية

أهم إنجازات هذا المركز ما يلي:

1. وضع سياسة مدروسة من قبل خبرات عالمية لتربية الخيول، وزيادة عددها بانتخاب الطلائق الممتازة منها.
2. بناء الإسطبلات على مواصفات أساسية، وفقاً لأرقى النظم الصحية المتبعة عالمياً.
3. فتح سِجِلّات التربية وفقاً لأفضل النظم وتسجيل الخيل فيها.
4. إصدار الجزء الأول من سجل نسب الخيل، وقد وافقت عليه المنظمة العالمية للحصان العربي، ومقرها لندن. ويضم 913 رأساً يتبع بعضها لأصحاب السمو الملكي الأمراء، وبعضها لمربيي الخيول العربية في المملكة العربية السعودية
5. مُشاركة المملكة العربية السعودية في الندوات الإقليمية، والعالمية، التي تبحث في تحسين الوسائل المتبعة، والتوصيات الضرورية للحفاظ على نقاء الدم العربي الأصيل للخيول العربية. وتعتبر المملكة اليوم من أبرز الأعضاء ذوي الفاعلية في المنظمة العالمية للحصان العربي.

ولا يقتصر الاهتمام بالحصان العربي على مركز ديراب، بل يشاركه في هذا الاهتمام عدة مراكز، من أهمهما مركز الجنادرية؛ وهو مشروع لتربية الخيل تابع لصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز، وفيه مركز يُعنى بتوثيق الجياد التابعة له. وتُرصد له جوائز ومكافآت كبيرة تحصل عليها جياد السِّباق والمشرفون على تربيتها. ومثلها في ذلك نادي الفروسية وسباق الخيل الذي تشجع فيه الدولة الاهتمام بالخيل، برصد الجوائز القيمة للمتنافسين والخيل الفائزة.

كما يُعد سلاح الفرسان بالحرس الوطني، من أهم المراكز التي تُعنى بتدريب الخيول على القيام بالعروض الرياضية والعسكرية. يشاركه في ذلك مشروع الخيول العربية، وهو يتبع أيضاً للحرس الوطني، ويضم هذا المشروع سلالات نقية من أجود الخيول العربية. هذا إضافة إلى العديد من أندية ركوب الخيل في مدن المملكة الأخرى، مثل الخرج، والقصيم والمنطقة الشرقية، ومكة المكرمة ولا سيما مجلس الفروسية الأهلي في جدة[12].

وكان الملك فيصل - رحمه الله - مغرماً بالفروسية من صغره، وفي عهده أمر سنة 1385هـ بإنشاء نادٍ للسباق باسم «نادي الفروسية». - واس نادي الفروسية

واستمرت تلك العناية في عهد الملك خالد - رحمه الله - حيث كان من هواة السباق على الخيل، ويشارك بخيله في المسابقات التي ينظمها نادي الفروسية.

الملك خالد – المصدر مركز جمال بن حويرب للدراسات

ميدان الملك خالد للفروسية الميدان الثاني لساباقات الخيول في المملكة العربية السعودية.، يقع الميدان بالحوية في مدبنة الطائف ،وتنطلق من الميدان أولى سباقات الموسم، ويستكمل الموسم في ميدان الملك عبد العزيز للفروسية بالجنادرية في العاصمة الرياض. يُعتبر ميدان الملك خالد للفروسية بالطائف ميدانًا لسباقات المصيف. جُدِّدَ الميدان وجددت منشآته في عهد الملك عبد الله بن عبد العزيز، وغير اسمه من ميدان الحوية إلى ميدان الملك خالد للفروسية بالطائف.وكما أولى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - رحمه الله - الخيول العربية اهتمامًا ورعاية كبيرة، وخصص لها جائزة لسباق الخيول الأصيلة النجدية، ورعى -رحمه الله - حفلات السباق، بحسب ما أورده الجاسر في كتابه «أصول الخيل العربية الحديثة».

الملك فهد بن عبدالعزيز – المصدر ويكيبيديا

وترجم خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز - رحمه الله - اهتمامه بالفروسية، ليس بممارسته هذه الرياضة الأصيلة ومعرفة أصولها فحسب، بل من خلال رئاسته نادي الفروسية وبتوجيهه بإنشاء مقر للنادي، وإنشاء ميدان لسباق الخيل في الملز، وإنشاء منشآت جديدة للنادي مع ميدان للسباق في الجنادرية.[13].

الملك عبد الله بن عبد االعزيز على صهوة جواده – المصدر صحيفة الجزيرة السعودية

وقال مدير عام مركز الملك عبدالعزيز للخيل العربية الأصيلة عبدالعزيز المقبل: «إن هذا الاهتمام والرعاية بالخيل العربية الأصيلة الذي دأب عليه أئمة وملوك هذه البلاد، برز جليًا في هذا العهد الزاهر لخادم الحرمين الشريفين الملكِ سلمان بنِ عبدِالعزيز آل سعود، وسمو ولي عهده الأمين - حفظهما الله - حيث شهدت رياضة الفروسية عمومًا تطورات متلاحقة تجسّد دعم واهتمام القيادة الرشيدة - أيدها الله - بدءًا بصدور قرار تنظيم «هيئة الفروسية»، في سبيل خدمة هذه الرياضة العريقة، وبما يحقق التطلعات وينهضُ بالفروسية السعودية ويضعُها في مكانتها اللائقة؛ مرورًا بصدور موافقة مجلس الوزراء على تنظيم نادي سباقات الخيل، ووصولاً إلى دعم القيادة الرشيدة لمختلف البطولات، والرعاية الملكية لها، مثل بطولة جمال الخيل العربية الأصيلة التي تقام بتنظيم وإشراف مركز الملك عبدالعزيز للخيل العربية الأصيلة. والى يومنا الحاضر تُعقد العديد من السباقات المشهورة في المملكة العربية السعودية. من بينها "كأس الملك عبدالعزيز للخيول العربية الأصيلة" و"كأس الملك سلمان للخيول العربية الأصيلة" و"السعودية كبيرة" وغيرها. تجذب هذه السباقات النخبة من عشاق الخيل والمتسابقين الدوليين، الذين يتنافسون على الجوائز القيمة.[14].

ففي شعبان 1445 هـ/ فبراير 2024 م عقد سباق «كأس السعودية»، تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - وشرف صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد رئيس مجلس الوزراء حضور حفل سباق «كأس السعودية»، وذلك بميدان الملك عبدالعزيز للفروسية في الرياض.[15].

الملك سلمان بن عبد العزيز – المصدر ويكيبيديا

وهناك قوانين بالمملكة تعتبر المراهنة على سباق الخيل عملية غير قانونية وممنوعة. يُنظِّم النظام القانوني السعودي بشكل صارم ودقيق مسألة القمار والمراهنة، ويُعتبر ممارستها جريمة تخضع لعقوبات جنائية ،ويحظر القانون السعودي التصرف في المراهنات بأشكالها المختلفة، سواء كانت مراهنات رياضية، ألعاب حظ، سباقات خيل، أو أي نشاط آخر مرتبط بالمقامرة، وتوجد أحكام صارمة تطبق على المخالفين لقوانين المراهنة في السعودية، ويمكن أن تشمل هذه العقوبات السجن والغرامات المالية. لذلك من الضروري للمشاركين التحلي بالوعي بالتشريعات والالتزام بالقوانين في المملكة العربية السعودية.

يعتبر سباق الخيل قطاعاً مهماً في الاقتصاد السعودي. يشهد السباق تدفق استثمارات ضخمة، حيث تُبنى مرافق حديثة ومنشآت لاستضافة هذه الفعاليات. كما يساهم السباق في تعزيز قطاع الفنادق والضيافة والنقل، حيث يحجز العديد من المشاركين والجماهير الفنادق والرحلات الجوية والتنقلات الأخرى ،يعتبر سباق الخيل أحد الأنشطة الترفيهية والترويجية التي تجذب الزوار وتسهم في تعزيز السياحة والاقتصاد المحلي. يتم تنظيم العديد من السباقات الرسمية والبطولات الكبرى في مختلف مناطق المملكة، مما يسهم في تعزيز صورة السعودية كوجهة مهمة لمحبي سباقات الخيل.

مع تطور الإعلام والتكنولوجيا، ازداد الاهتمام بسباق الخيل في السعودية، حيث يتابع الملايين من الأشخاص السباقات عبر التلفزيون والإنترنت، مما يسهم في نمو شعبية هذه الرياضة. بالإضافة إلى ذلك، أصبحت منصات التواصل الاجتماعي مكانًا لمشاركة اللحظات المميزة والتفاعل بين المشجعين والمتسابقين،وتعمل الحكومة السعودية على دعم هذه الرياضة من خلال تنظيم مسابقات وفعاليات رياضية تجمع بين المشاركة والتنافس. [16]

ومثال ذك استغلال فعاليات يوم التأسيس في مدينة مكة المكرمة في حي حراء الثقافي بمشاركة الفرسان والتشجيع على تجربة ركوب الخيل ،وإظهار جماليات الخيل العربية الأصيلة ، وكذلك الاهتمام بالهجن وعرض الهجانة لها، مما يعزز لدى أبناء هذا الوطن اتصالهم بالإرث التاريخي والاصالة العربية المجيدة .

رياضة سباق الهجن بالمملكة العربية السعودية :

تسمى الابل المعينة في السباقات الرياضية بالهجن ومفردها «مطية» والجمع «الجيش»، وكان اهتمام المملكة العربية السعودية بالابل منذ عهد الملك عبدالعزيز- طيب الله ثراه - حيث يمتلك سلالات من الإبل المشهورة ، وكانت تعدّ للمهمات السريعة، أي أن تلك الإبل لها خاصية السرعة وقوة التحمل وطول الباع في قطع المسافات، وكان لدى الملك عبد العزيز ما يُسمى (جيش) وهي إبل للمهمات التي تحتاج للسرعة وطول المسافة، وقد عرفت الناقة (مصيّحة) بأنها ناقة للمهمات السريعة والعاجلة في عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله -، وتُسمى بلهجة النجديين (ناقة النبّ) أي الخبر المهم السريع، وربما أن (النب) جاءت من النبأ المهم العاجل، وتعني كلمة (نبّ) بلهجة النجديين أخبر أو استدعى بسرعة، وعُرف غير الناقة مصيّحة عند الملك سلالات عريقة أخرى.

وروى حفيد المسؤول عن إبل «المؤسس» فيصل بن شبلان، تعلقه -رحمه الله- بهذا التراث العريق قائلاً: حلال الملك عبدالعزيز تسمى «ريمه» فهي قرابة ثلاثة آلاف ناقة ومعروفة لدى الناس بهذا الاسم، بدلاً من أن يقولوا حلال الملك عبدالعزيز، يقولون ريمه نزلت في الصمان أول الوادي أو الدهنا أو نزلت في الشمال، وهذا يدل على اسمها ومحبتها.

وأضاف: «ريمات جمع ريمه، وهي سلالة من الإبل الأصيلة التي يمتلكها الملك عبدالعزيز، وسميت بذلك نسبة إلى الناقة الأم، التي هي من نسلها».

وتابع: نزل الملك عبدالعزيز في كمعة الفاو في أول طلعة الصمان وهي مكان على طريق الرياض- الشرقية؛ حيث ربع فيها لمدة شهر وكان له فيه «ذود»؛ حيث أطلق العرب على مجموعات الإبل مسميات

مختلفة تبين أعدادها من القلة إلى الكثرة ومنها الذود ويتكون من 3 إلى 10 متون وهي خاصة بالملك، ومحبب عنده اسمها العلي وهي من العلو، وفيها ناقة يحبها اسمها الدويلع (كناية عن الدلع)، حين يناديها الملك -رحمه الله- باسمها تأتي إليه.

وأضاف يقول:

رد الدويلع والعلي خل الإمام يشوفها
عبدالعزيز الفيصلي مقدم جميع صفوفها
يوم المعارك تصطلي صلف الهبوب تلوفها
سيفه على الخصم يغلي وردا العدا بشفوفها [17].

قد جاء في وكالة الانباء السعودية نقلاً عن المشرف العام على ميادين الهجن بالجوف ان أول سباق للهجن بالمملكة كان بالمملكة العربية السعودية كان في منطقة الجوف عام 1383هـ[18].

ومن السباقات التي كان سباق الهجن احد فعالياتها في مدينة بريدة في 24/5/1389هـ واتصف انه من انجح السباقات [19]. وقد امتلك الملك خالد رحمه الله السلالات النادرة من الابل ، ومن السباقات التي أقيمت في عهده سباق الهجن النهائي بالرياض عام 1980م ، حضر السباق الملك خالد وضيفه الشيخ زايد رحمهما الله، وأما اشهر هذه السباقات الرسمية في المملكة العربية السعودية فهو السباق الذب، انطلاقته الأولى في الجنادرية بالرياض 1393هـ بتوجيه من الملك فيصل رحمه الله ، وكان بتنظيم من رئاسة الحرس الوطني وإشرافها بالتعاون مع نادي الفروسية واستمر هذا السباق بعد ذلك ثم حظي باهتمام كبير وتشريف ورعاية من الملك فهد وولي عهده آنذاك الملك عبدالله رحمهما الله ، وصار يقام مصاحب للمهرجان الوطني للتراث والثقافة ، ولم يغب بعد ذلك وهناك العديد من السباقات التي تقام في مناطق للمملكة العربية السعودية، وهي سباقات سنوية منها سباق الهجن بالطائف ويقام في الصيف لاعتدال درجات الحرارة بالمنطقة ،وسباق الهجن في تبوك ويقام غالباً في شهلا أكتوبر ، وسباق الامير محمد بن سعود الكبير للهجن ويقام في شهر ستمبر ويشمل جميع مناطق المملكة . ومما تجدر الإشارة اليه ان السباقات التي تنظم محلياً في المدن والمراكز كانت تقام في جميه ميادين المملكة بشكل شبه مستمر(20) ان رياضة سباق الهجن أي سباق الجمال يمثل رياضة شعبية ، ورياضة الأجداد التي تثير الحماس والتنافس بين شباب الأبناء في العصر الحديث، وتتميز المملكة بوجود العديد من سباقات الهجن حيث تقام هذه السباقات في العاصمة الرياض وجدة ونجران والأحساء والطائف والنعيرية وعدد من المدن الأخرى.

ترعى قيادة المملكة العربية السعودية رياضة الإبل ،وتولي اهتماماً خاصاً لقطاع الإبل ، لا يعتبر سباق الهجن في المملكة العربية السعودية تراثًا ثقافيًا أو تراثيًا فحسب ، بل هناك أيضًا جانب تجاري واقتصادي لهذه الرياضة القديمة. يساهم في رفع معدلات التشغيل في العديد من القطاعات الاقتصادية ، بما في ذلك قطاع الإسكان والخدمات والنقل ، وبالتالي يساهم في رفع الناتج المحلي ؛ ولم يعد له تأثير محدود على المالكين والفرق الفنية المرتبطة به . ويميز الإبل التي تشارك في سباق الهجن أنها أصيلة السلالة من النسل العربي الأصيل، وتعرف باسم "النوق الأصيل" التي لها دلالات وخصائص الأصالة ، ولها خصائص خاصة تجعلها مؤهلة للجري السريع.

تتسابق الهجن في هذه الرياضة بسرعة تصل إلى 64 كم/س في مضامير مخصصة لهذا السباق. تشبه هذه الرياضة إلى حد كبير سباق الخيل، إلا أن الاختلاف بين سباق الهجن وسباق الخيول هو الركبي الالي الذي يوضع على الجمل أو الهجن بينما في الخيول يركبه فارس قد يخسر الكثير من وزنه مقابل الحفاظ على لياقته لكي يتحملة الحصان في السباق بنما في سباقات الهجن يستخدم الرجل الالي الذي يصل وزنه 2 أو 3 كيلو جرامات فقط. او يكونن الركب من صغار السن لخفة وزنه و المدربين مثل هذه السباقات.

يتم سباق الهجن وفق قواعد وشروط محددة ومعروفة للمشاركين في السباق، وللمتابعين له؛ وتشمل هذه القواعد مواصفات ميادين السباق، وصفات الهجن المشاركة في السباق، وإجراءات تنظيم السباق.

مواصفات ميادين سباق الهجن:

تتباين ميادين السباق من بلد إلى آخر، من ناحية الشكل، فقد تكون على شكل مضمار مستقيم أو ميدان بيضيّ الشكل أو على شكل دائرة. وعادة ما تكون ميادين السباق مجهزة بمنصة رئيسية للمشاهدين، تمكّنهم من متابعة السباق في مراحله المختلفة. ويتضمن الميدان بعض التجهيزات الفنية المساعدة لضبط ومتابعة وتحكيم السباق. فتوجد مثلاً، أجهزة نقل تلفازية موزعة على أماكن متفرقة من المِنصة، تساعد في متابعة السباق في مراحله البعيدة عن المنصة. وتستقبل هذه الأجهزة إرسالها من أجهزة تصوير مثبَّته على سيارات نقل خاصة مجهزة بشكل يمكنها من متابعة السباق منذ البداية، وخلال مراحله المختلفة وحتى النهاية. كما توجد أجهزة تصوير متطوِّرة ودقيقة مثبتة عند خط النهاية لتصوير الهجن عند وصولها خط النهاية. وتستخدم للمساعدة في تحديد الجمل الفائز عند وصول أكثر من جمل واحد إلى خط النهاية في وقت واحد. ويتم السباق لمسافات مختلفة لا تتعدى ـ عادة ـ دورة واحدة حول الميدان البيضي أو الدائري. وهي تتراوح ما بين 8 و10 كم، وقد تصل إلى 22 كم.

صفات الهجن المشاركة في السباق:

تتميز الإبل التي تشارك في سباق الهجن بأنها أصيلة، من نسل السلالات العربية المؤصلة، وهي ما تعرف بأبناء أو بنات النوق الأصايل؛ حيث تتصف بصفات خاصة تؤهلها للجري السريع، إضافة إلى صفاتها العامة، التي تشترك فيها مع بقية الإبل الأخرى. فهي تتصف بأنها ذات سنام واحد ورقبة طويلة، وأكتاف وأرجل قوية. ويصل وزن الواحدة منها من 500 إلى 600 كجم، إضافة إلى ذلك تتميّز إبل السباق بنحافة الجسم والرشاقة وخفة الحركة وسرعة الجري والقدرة على التحمل والاستجابة للتدريب.

إجراءات تنظيم سباق الهجن:

تشمل إجراءات سباق الهجن تحديد نوع الهجن المشاركة وعمرها وفئاتها وفترات السباق. تشارك كل من الجمال والنوق عادة في أشواط مستقلة، وقد يكون هناك بعض الأشواط المختلطة التي تسمح بمشاركة كل منهما في الشوط نفسه. ويجب أن يكون عمر الهجن المشاركة في كل شوط من أشواط السباق متساويًا، لتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص؛ ويرتبط بتحقيق هذا المبدأ أيضًا، وضع الإبل في فئات متجانسة من حيث المستوى، أي عدم وضع الهجن المعروفة بقدرتها العالية في فئة واحدة مع التي لا تُعرَف قدرتها. إلا أن هناك بعض الأشواط المفتوحة التي يسمح فيها بالمشاركة لجميع من يرغب في المشاركة، لمزيد من التنافس واكتساب خبرة السباق.

أعمار الهجن ومسمياتها:

يُطلق على الهجن أسماء خاصة، وفقًا لأعمارها، فتدعى:

- عند ولادتها وحتى عمر سنة واحدة المفرورة أو المفردة أو الفطيمه.
- السنة الثانية تصبح الحجة أو الحقة.
- السنة الثالثة فهي المضربة أو اللقية.
- السنة الرابعة تدعى البزعة أو الجذاع.
- السنة الخامسة تدعى الثنايا.
- السنة السادسة تدعى الحولة.
- السنة السابعة تدعى السديس.

ويطلق على الذكور عموماً منذ ولادتها حتى عمر خمس سنوات القعدان. فإذا تجاوزت خمس سنوات فهي الزمول. ويطلق على الإناث منذ ولادتها حتى عمر خمس سنوات البكار. فإذا تجاوزت خمس سنوات فهي الحول. ويسمى شوط السباق باسم الهجن المشاركة فيه، فشوط الثنايا البكار أو القعدان تشارك فيه الإناث والذكور التي يبلغ عمرها 5 سنوات، وتشارك الزمول ـ أي الذكور التي يزيد عمرها على خمس سنوات ـ في أشواط الزمول، وهكذا بالنسبة لبقية الأشواط.

تدريب الهجن:

يتم تدريب الهجن على أربع مراحل، تهدف المراحل الثلاث الأولى إلى ترويض الهجن وتعويدها الانصياع للأوامر، ويقوم بهذه المراحل المضمر وهو الشخص الذي يقوم بترويض الهجن. وتهدف المرحلة الرابعة إلى تدريب الهجن على الجري السريع، ويقوم بها المطي، وهو الشخص الذي يقوم بتدريب الهجن على السرعة. وفيما يلي وصف لهذه المراحل.

المرحلة الأولى :

تبدأ هذه المرحلة وهي أولى مراحل الترويض، عندما تكون الهجن مضربة أو لقية، أي تكون في عمر ثلاث سنوات. ويتم في هذه المرحلة ربط رأس الجمل بحبل يربط طرفه الآخر في جذع شجرة، ويقوم الجمل بمحاولات للتخلص من الحبل، معتمدًا على قوة جسمه، ولكنه يرضخ في النهاية بعد فشله في التخلص من الحبل.

المرحلة الثانية:

يوضع في هذه المرحلة الشدَّاد، وهو الخشب الذي يثبت على ظهر الجمل في المسافة بين رقبته وسَنامه، ويثبت المحوى وهو مصنوع من ليف النخيل على المركب.وهي المسافة بين سنام الجمل وذيله بوساطة حبل يسمى المحقبة، ويثبت الشدّاد من الجهتين؛ اليمنى، واليسرى بوساطة البطان، وهو حبل من الصوف يربط على بطن الجمل. ويربط بالشداد حبل آخر يسمى الزوار نسبة إلى زور الجمل، لأنه يأتي من أمام زور الجمل.

المرحلة الثالثة:

وهي مرحلة ركوب الجمل الذي يكون مقلوصًا أي مربوطًا في جمل آخر، سبق ترويضه على الركوب. ويجلس المضمِّر على الجمل المُراد ترويضه، ويعلمه أولاً صد العصا، أي الانصياع إلى اتجاهات العصا التي

يستعملها المضمر. ثم يبدأ بعد ذلك في تدريب الجمل على الجري البطيء من خلال ربطه أيضًا بجمل آخر مدرب.

المرحلة الرابعة:

هي مرحلة تدريب الهجن على الجري السريع، ويسمح للجمل خلالها بشرب كمية أقل من الماء، ويتم إطعامه بالبرسيم والحليب الطازج. ويبدأ التدريب بالجري لمسافة كيلومترين، وتزداد تدريجيًا حتى تصل إلى عشرة كيلومترات. ويتم التدريب في البداية بالقلص، ثم بدون قلص، وبعدها تدخل الهجن في مسابقات تمهيدية، يتم فيها اختيار أفضل الهجن الفائزة؛ لتدخل في السباقات الفعلية.

راكب الهجن:

يُسمّى راكب الهجن في السباق الركبي، وهو الذي يقود الهجن أثناء السباق. ويكون الركبي غالباً فتىً صغيراً يتراوح عمره ما بين 12 و15 سنة، ذا وزن خفيف؛ حتى لايكون ثقيلاً على الهجن أثناء السباق. ولابد أن يكون الركبي مُدربًا على ركوب الهجن في السباقات، ولديه خبرة بكيفية التعامل معها أثناء الجري، ويكون كذلك قادرًا على تنفيذ تعليمات المدرب تجاه الهجن ، والراكب الالي من أبرز التقنيات الحديثة المستخدمة في سباق الهجن ، بهدف تطوير الرياضة وتقليل الحوادث والمخاطر الجسدية التي قد تصيب ركاب الهجن ، وهو جهاز مزود ببطارية ، مغطاة بالقماش ، مصمم على شكل متسابق بشري ، ويتميز بخفة وزنه ومثبت في مؤخرة الركوب بواسطة مشدات ، ويقوم بنفس الشيء الأدوار كراكب بشري ، ويتم التحكم فيها عن طريق جهاز تحكم عن بعد لاسلكي

سرعة الهجن:

تتحرك الإبل بسرعات مختلفة، تبدأ بطيئة وتزداد تدريجيًا؛ لتصل إلى أقصى سرعة. وتتمثّل هذ السرعات في المشي وهو أبطأ سرعة للهجن. فإذا زادت سرعة المشي قليلاً سمي خبيبًا وهو يمثّل السرعة الثانية للهجن. أما الصفيف فهو أسرع من الخبيب. وترتاح الهجن للصفيف؛ فهو لا يرهقها، وتستطيع أن تستمر فيه مدة طويلة؛ تقطع خلالها مسافات طويلة، ويجيء بعد ذلك الدلي، وهو يمثل السرعة الأقل من القصوى للهجن. وعادة ما تبدأ الهجن السباق بهذه السرعة وتتدرج منها إلى السرعة القصوى، غير أن بعض الهجن تلجأ إلى الدلي عندما تتعب من الجري بالسرعة القصوى. ويسمى الجري بأقصى سرعة الركض والذي تبدو فيه الهجن وكأنها تقفز قفزًا. ولا تستطيع الهجن الاستمرار في الركض طوال فترة السباق، ولكنها عادة تراوح بينه وبين الدلي.

أسماء الهجن في السباق:

جرت العادة على أن يطلق على الهجن المشاركة في السباق أسماء؛ للتعرف عليها. ومن هذه الأسماء: الطيارة، البرقية، البدّالة، الشايبة، ظبية، الخوار، المسك، بنت ظبيان، ملوح، الخمري، الغزيل، كروز، بنت صوغان، بنت مصيحان، بنت الورى.(21).

يلاحظ أن المملكة العربية السعودية وعبر تاريخها الممتد هتمت بالخيول بصورة واضحة وافردت لها مساحة كبيرة للاحتفاء بها في يوم التأسيس مما يدل على مكانتها عند حكام المملكة وأهلها.

وللحديث عن المرأة السعودية وحبها للخيول وللفروسية نجد أن هناك اهتمام واضح بهذه الرياضة من قبل السعوديات ، كما ظهرت عدد من الفارسات كان لهن حضور مميز في هذا المضمار.

الخاتمة:

يتضح مما سبق اهتمام المملكة لعربية وملوكها وأمرائها بالرياضات العربية الأصيلة والتي من أهمها رياضة الفروسية والهجن، وقد شجع الاهتمام بهذه الرياضة بناء المملكة للاهتمام بها ومتابعتها بحب وشغف.

النتائج:

من النتائج التي خرجت بها الدراسة:-

- اهتمام المملكة العربية السعودية برياضة الهجن والفروسية ورعايتها.
- تم تخصيص العام 2024م عام الإبل في المملكة كموروث ثقافي تحت عنوان: (سبق الهجن).

التوصيات:

من التوصيات التي خرجت بها لدراسة:-

- إعداد دراسات مفصلة عن الهجن والخيول وأنواعها في المملكة.
- إعداد موسوعة الهجن والخيول في المملكة بواسطة المختصين والخبراء والمهتمين في هذا المجال.

الملاحق

جانب من احدى سباقات الخيول بالرياض – المصدر نادى سباق الخيل.

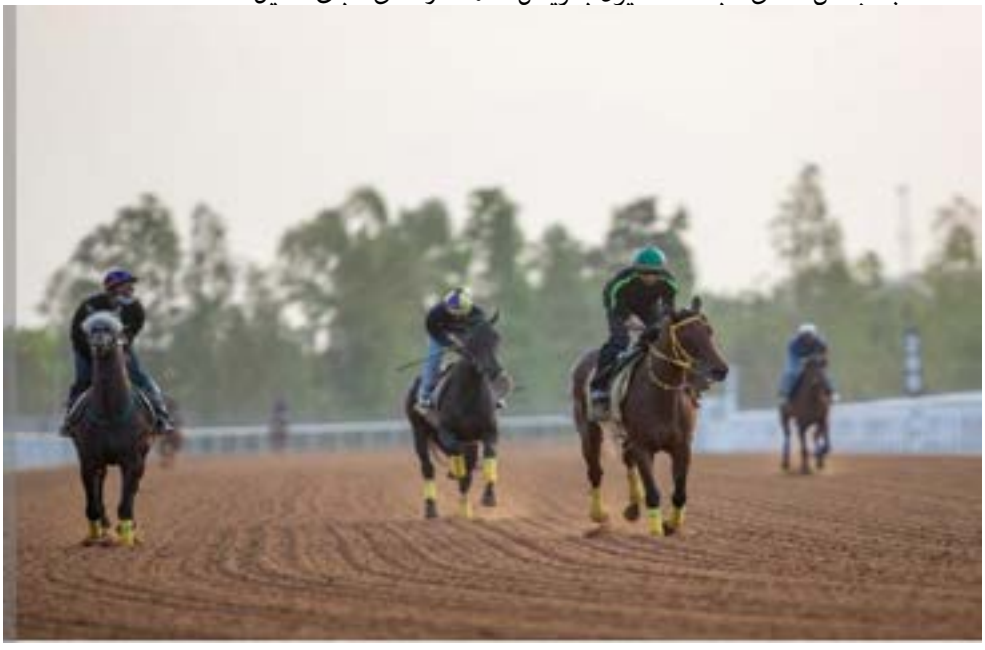

مضمار الفروسية ميدان الملك خالد

جانب من سباق الهجن في المملكة العربية السعودية – المصدر صحيفة سبق 2018م

الهوامش:

(1) سورة العاديات: 3-1،والعاديات هي الخيل التي تعدو في سبيل الله، والضبح هو الصوت الذي يُسمع من الفرس، يتردد في صدره، حين يعدو. والموريات قدحاً: أي اصطكاك حوافر الخيل بالصخور عند عَدْوها، فتقدح النار؛ والمغيرات صُبحاً أي التي تندفع مُغِيرةً عند الصباح، كما كان يفعل رسول الله ﷺ، يغير صباحاً، فإن سمع الآذان كفّ، وإلاّ أغار. وبين المفسّرين خلافٌ في العاديات: أهي الخيل أم الإبل؟.

(2) سورة الأنفال: 60.

(3) البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، 1423هـ/2022م، الحديث الرقم 2638.

(4) سورة قريش الآية 2-1.

(5) المصدر نفسه، صحيح البخاري / 2872.

(6) المصدر نفسه، صحيح البخاري 4/ 37.

(7) أبو دواد سليمان بن الأشعث، سنن أبي داوود، (تحقيق) محمد محي الدين، المكتبة العصرية ، بيروت، /2547)

(8) (ارواء الغليل ، الألباني / 1507، مسند أحمد/ 5656 ،والبيهقي /20263 باختلاف يسير)

(9) سلالات خيول وإبل المؤسس ، وَرّاق الجزيرة / أحد 07 شوال 1427 هـ 29 أكتوبر2006 م العدد 12449.

(10) (ويكيبيديا (الموسوعة الحرة).

(11) نادي سباقات الخيل.

(12) العناية بالخيول العربية في المملكة العربية السعودية ، مقاتل من الصحراء.

(13) نادي سباقات الخيل.

(14) موقع معلومات عن سباق الخيل في السعودية

(15) وكالة الأنباء السعودية.

(16) موقع معلومات عن سباق الخيل في السعودية 27/3/2023م.

(17) عمر السبيعي، مقال في صحيفة سبق 18/يونيو2023م.

(18) موقع وكالة الانباء السعودية بتاريخ 16/11/1443هـ

(19) إبراهيم عبيد آل عبدالمحسن، تذكرة أولي النهي والعرفات بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان، مكتبة الرشد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط1 ،1428هـ -2007 ،ص 111.

(20) خالد التركي، سباقات ومزاين الإبل ، مجلة العلوم والتقنية ، العدد70، ربيع الآخر 1425هـ.

(21) ويكيبيديا

الاضطرابات التي واجهت مالية مكة المكرمة في عهد السلطان مصطفى الثالث (1171 - 1188هـ / 1757 - 1774م)

أ.أحمد محمد محسن العامودي

باحث دكتوراه - قسم التاريخ - جامعة أم القرى
المملكة العربية السعودية

المستخلص :

تتناول هذه الدراسة الاضطرابات التي واجهت مالية مكة المكرمة في عهد السلطان مصطفى الثالث الهدف الرئيسي من الدراسة تسليط الضوء على أبرز الاضطرابات التي واجهت مالية مكة المكرمة في عهد السلطان مصطفى الثالث ، فمن المعلوم أن مكة المكرمة خاصة والحجاز عامة ، كانت من المناطق التي كانت الدولة العثمانية تخصص لهم سنوياً مجموعة من الأموال سواء النقدية أو العينية ، ولذلك كانت ترسل هذه الأموال ليستلمها شريف مكة بصفته المسؤول عن المنطقة والحاكم الشرعي لها ، وقد ساهمت مجموعة من الظروف شكلت أحد أبرز الاضطرابات التي واجهت مالية مكة المكرمة ، لذلك كان لابد لنا من القاء الضوء على هذه الاضطرابات لنتعرف على حجم الصعاب التي كانت تواجه مالية مكة المكرمة طوال فترة عهد السلطان مصطفى الثالث . أما عن أهمية الموضوع فتكمن أهميته في أنه يلقى الضوء على فترة من فترات التاريخ الحديث وخصوصاً في منطقة الحجاز تحديداً في مكة المكرمة ، فلقد كانت الدولة العثمانية في كل سنة ترسل مخصصات مالية ترسل من إسطنبول ترسل هالي مكة المكرمة برفة أمين الصرة ، تسجل فهيا أسماء الذين خصصت لهم هذه الأموال ، ومن المرجح أن المكانة الدينية التي اعتلتها مكة المكرمة بصفتها قبلة المسلمين ومهوى افئدتهم شكل عامل رئيسي في جذب اهتمام العثمانيين وغيرهم من الشعوب لهذا البلاد المباركة ، كما تكمن أهمية الموضوع ايضاً عن معرفة أنواع الصعوبات التي واجهت المالية ، فبعض هذه الصعوبات سياسية ، وبعضها اقتصادية ، مهما تنوعت هذه الصعوبات الا انها تشترك جميعاً في انها كانت من الاضطرابات التي واجهت مالية مكة المكرمة وقد قسمت الدراسة إلى أربعة مواضيع رئيسية وفقاً للتالي: الأوضاع السياسية في مكة المكرمة .الأوضاع السياسية في مصر. الأزمات الاقتصادية والمتمثلة في عدد من النقاط ابرزها :فساد رجال المالية. فيضان النيل .زيادة الأسعار. الاضطرابات الأمنية في طريق الحج .

الكلمات المفتاحية : الاضطرابات ، مالية ، مكة المكرمة ، السلطان مصطفى الثالث

The Financial Troubles of Makkah during the Reign of Sultan Mustafa III (1757-1774 AD / 1171-1188 AH)

Ahmed Muhammad Mohsen Al-Amoudi

Abstract:

This study addresses the disturbances faced by the finances of Makkah during the reign of Sultan Mustafa III. The main objective of the study is to shed light on the most prominent disturbances encountered by the finances of Makkah during the reign of Sultan Mustafa III.

It is known that Makkah, especially the Hejaz region in general, was allocated annually by the Ottoman state a set of funds, whether in cash or in kind. Therefore, these funds were sent to be received by the Sharif of Makkah in his capacity as the responsible authority for the region and its legitimate ruler. A variety of circumstances contributed to form one of the most prominent disturbances faced by the finances of Makkah, so it was necessary for us to shed light on these disturbances in order to understand the extent of the challenges and difficulties which were facing the finances of Makkah throughout the reign of Sultan Mustafa III.As for the importance of the topic, it lies in shedding light on a period of modern history, especially in the region of the Hejaz, specifically in Makkah. The Ottoman state used to send financial allocations annually from Istanbul to Makkah, accompanied by the caravan supervisor, recording the names of those designated to receive these funds. It is likely that the religious status held by Makkah as the qibla for Muslims and the desire of their hearts played a major role in attracting the attention of the Ottomans and other peoples to this blessed land. The importance of the topic also lies in understanding the types of difficulties faced by the finances. Some of these difficulties were political, while others were economic. Despite the diversity of these difficulties and challenges, they all share in being disturbances encountered by the finances of Makkah.The study was divided into four main topics as follows: Political Situation in Makkah. Political Situation in Egypt. Economic Crises, including several points such as: Corruption of finance . officials. Nile flooding.Price increase.Security disturbances along the pilgrimage route.

Keywords: disturbances, finances, Makkah, Sultan Mustafa III.

المقدمة :

تتناول هذه الدراسة الاضطرابات التي واجهت مالية مكة المكرمة في عهد السلطان مصطفى الثالث، حيث قسمت إلى عدة أقسام ، الأول منها تناول الأوضاع السياسية في مكة المكرمة ، فمن المعلوم لدينا أن الاشراف وقع بينهم العديد من الخلافات بشان منصب الامارة ، والذي بدوره أثر في الأوضاع الداخلية داخل البلاد أمنياً واقتصادياً ، حيث أثر في مخصصات مكة المكرمة المالية ، وذلك خلال مدة انشغال الأشراف في صراعاتهم بخصوص الشرافة، والثاني تناول الأوضاع السياسية في مصر ، فقد برزت سلطة المماليك بشكل واضح في ظل ضعف النفوذ العثماني والممثل في الولاة أمثال علي بك الكبير ، والذي ضرب لنا مثلاً في

التمرد والعصيان ضد سلطة الدولة العثمانية ، والثالث تناولت فيه الازمات الاقتصادية والتي تمثلت في فساد رجال المالية فلقد كان هناك عدد من الولاة والذين كانوا يعملون تحت إمرة العثمانيين ، يماطلون في دفع مستحقات بلاد الحرمين الشريفين ، ينكر بعضهم أخذ هذه المخصصات بل وصل بهم الأمر إلى حد التلاعب بأموال أهالي الحرمين الشريفين ، وهذا أثر في مخصصات مكة المكرمة خلال مدة الدراسة ، وكذلك فيضان النيل لعب دوراً بارزاً في طريق الحج فقد صاحب سوء الأحوال السياسية في مكة المكرمة أوفي مصر من بعض العربان والذين كانوا يشنون الغارات والهجمات على طريق قوافل الحج التي تأتي إلى مكة المكرمة خلال موسم الحج السنوي .

الأوضاع السياسية في مكة المكرمة:

شهدت مكة المكرمة خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي وبالأخص خلال مدة الدراسة صراعات ومشكلات كثيرة فيما بين الأشراف أنفسهم والذين كانوا على غير وفاق تام فيما بينهم. إذ كان هذا الصراع يحدث بسبب منصب الشرافة أي إمارة مكة المكرمة. فقد لعب هذا المنصب دوراً رئيساً في مسرح الأحداث السياسية فيما بين الأشراف. وهذا شيء طبيعي فالشريف كانت كل السلطات بيده إضافة إلى كمية المخصصات الضخمة التي كان يحصل عليها الشريف من المخصصات السنوية للعثمانيين على بلاد الحرمين الشريفين.

فمن المعلوم لدينا أن ترشيح الشريف لمنصب الشرافة لا يتم إلا بعد أن يتشاور الأشراف فيما بينهم ويخرجوا برأي واحد ليتم بعدها تنصيب الشريف الذي وقع عليه هذا الاختيار، ولكن في بعض الأحيان كانت تحدث هناك بعض الاعتراضات من قبل بعض الأشراف على اختيار شخص معين للشرافة فلا يختارون هذا الشريف مما قد يؤدي إلى وقوع مشاكل لا حصر لها داخل أسرة الأشراف بسبب عدم الاتفاق على رأي واحد لتنصيب أي شريف[1]. وشهدت مكة المكرمة خلال مدة الدراسة عدداً من التقلبات السياسية غير الصراع على شرافة مكة المكرمة، فمن ذلك ما جرى في أوائل شعبان لعام 1171هـ/12 أبريل 1758م حين أرسل والي مصر سعيد باشا بعض المجرمين المنفيين من مصر إلى مكة المكرمة، ولكن شريف مكة المكرمة أرسل إلى مقام السلطنة يطلب منها إجلاء هؤلاء المجرمين والذين بدأت تظهر مشاكلهم بمكة المكرمة فبدأوا في إحداث نوع من الشغب داخل مكة المكرمة والاستيلاء على المواد الغذائية الخاصة بالأهالي ويبدو أن الأوضاع السياسية إبان تلك الفترة قد وصلت ببعض المنفيين أو المجرمين في إحداث مشاكل بالمنطقة مستغلين انشغال الأشراف بالإمارة، لذلك طلب الشريف إبعادهم نهائياً عن مكة المكرمة وفعلاً تم إجابة طلب الشريف مساعد والذي كان وقتها شريف مكة المكرمة وتم إرسالهم إلى صعيد مصر[]. كان من عادة السلاطين العثمانيين في كل سنة أن يرسلوا للأشراف خلعة ثوب من السمور يرتديها الشريف مع موكب فاخر ورسمي يعد له مسبقاً الشريف في كل سنة وقد أوردت لنا بعض الوثائق عن موضوع الخلعة للشريف ومنها ما حدث في أواخر جمادى الآخر لعام 1172هـ/25 فبراير 1759م خطاب أرسله السلطان للشريف جاء فيه: « ... ولهذا أرسل إليكم سلطاننا خلعة ثوب سمور جالب للسرور من خواص الخلع الفاخرة والأكسية الزاهرة وقد عينا لإيصال الرسالة والخلعة إليكم، وعندما تصلكم بعون الله تعالى عليكم استقبالها بكمال مراسم التعظيم ..[2]»

من الوثيقة السابقة يظهر لنا أن العثمانيين كانوا يهتمون كثيراً بالأمور الرسمية مثل: تقليد الشريف

بالكسوة والبردة الخاصة به والتي كانت تأتي من إسطنبول، ويلحظ أيضاً أن العثمانيين في كثير من خطاباتهم لشريف مكة المكرمة ينوهون عليه بضرورة الاهتمام بهذه المراسم والإعداد الجيد لها والاحتفال بهذا الموكب المهيب. ومن مظاهر الخلاف بين الأشراف والتي أثرت على الأوضاع السياسية بمكة المكرمة سلباً ما حدث في عهد الشريف مساعد بن سعيد حينما أخذت له البيعة فمن المعتاد أن يتشاور الأشراف فيما بينهم ليختاروا أحدهم على شرافة مكة المكرمة، ولكن ما حدث مع هذا الشريف أن مجموعة من الأشراف ينتمون إلى آل بركات امتنعوا عن مبايعته بالشرافة لأنهم كانوا يرغبون في ابن أخية الشريف محمد، حاول الشريف مساعد تهدئة الأوضاع معهم ولكن ابن أخيه استغل هذا الظرف وقبل بمبايعة آل بركات له بالشرافة، فنتج عن هذا الأمر أن نشبت حرب بين الشريف مساعد بن سعيد والشريف محمد بن عبدالله حيث كانت فيها الغلبة للشريف مساعد بن سعيد [3].لفتت هذه الأوضاع السياسية السيئة بالمنطقة أنظار ولاة الحج إذ ازدادت مطامعهم بالحجاز، مستغلين تردي الوضع بالبلاد، فهذا مثلاً الأمير عبدالله باشا والي الشام وأمير الحج الشامي (1173هـ/1759م) يعقد اجتماعاً بمكة المكرمة يحضره عدد من الأشراف كان منهم الشريف مساعد بن سعيد وعدد من المسؤولين بالحرم المكي الشريف وأعيان مكة المكرمة ومشايخها ويقرر أمام الكل عزل الشريف مساعد عن منصب شرافة مكة المكرمة. وتعيين أخيه الشريف جعفر على شرافة مكة المكرمة. بالطبع هذا القرار كانت له تبعات سياسية سيئة إذ بدأ الناس يحسون بالظلم والفساد من هذا الوالي، كذلك أثر هذا الأمر في الأفق من خلال ما قام به العربان بالاتفاق فيما بينهم إذ أوقدت نار الفتنة وأغلق العربان عيون الماء وغيروا مجاريها إلى محلات أخرى. لذلك عمل الشريف مساعد على ترضية البدو بتطييب خاطرهم إما بالموعظة أو بالعطية من أجل سلامة الحجاج وقد تم ذلك في وثيقة مؤرخة في 25 جمادى الأولى لعام 1173هـ/13 يناير 1760م[4].

لم ينتهي عهد الشريف مساعد بن سعيد من المشاكل وذلك خلال مدة حكمه بمكة المكرمة، حيث جذبت هذه المشاكل بعض أمراء الحج ليتدخلوا في الشؤون الداخلية لمكة المكرمة، فهذا مثلاً أمير الحج المصري كشكش حسين بك، وأمير الحج الشامي عبدالله باشا، حيث تم الاتفاق فيما بينهم على تنصيب الشريف مبارك بن محمد بن عبدالله على شرافة مكة المكرمة دون علم الشريف مساعد، مستغلين بذلك الظروف السياسية الصعبة التي تمر بها الحجاز وبالأخص مكة المكرمة إبان حكم الشريف مساعد (1165-1184هـ/1751-1770م)، وقد وصلت أخبار هذا التنصيب للشريف مساعد فما لبث أن أعد حملة عسكرية توجه فيها ضد الشريف مبارك كانت نتيجتها انتصار الشريف مساعد بن سعيد [5]. وخلال متابعة السلطان حول أحوال الشريف مساعد بن سعيد أظهرت عددت من الحقائق أن الشريف مساعد أخذ يتحايل على الدولة العثمانية ولا يثبت على عهده، ولإثبات صحة هذا الكلام يمكن لنا أن نقتبس من إحدى هذه الوثائق ما يثبت كلامنا، فمن ذلك في 4 شوال لعام 1173هـ/16 مايو 1760م، معروض ورد من أحد مسؤولي السلطان حول التحري عن أحوال الشريف مساعد جاء فيه: «هذا معروض الداعي لكم ليكن معلوماً لسيدي صاحب العناية هذا ملخص الأخبار الواردة من معتمديكم المرسلين إلى مكة المكرمة وجدة، للبحث عن أحوال الشريف مساعد أمير مكة المكرمة الحالي والذي أُعيد إلى منصبه بأنه تبين من أطواره وأفعاله بأنه لا يثبت على عهده، ولا يعتمد على أقواله حيث أرسل الشريف مساعد من قبل رسولاً من عنده

إلى إسطنبول مع رسالة أوضح فيها بأنه مطيع ومنقاد للدولة العلية ولحضرة السلطان لطمأنة خاطر السلطان إلا أن أفعاله هنا تخالف ذلك، فقد أرسل أخيه الشريف أحمد إلى اليمن في أوائل جمادى الأولى، ولما رجع المذكور إلى مكة المكرمة في الثامن من شهر رجب تبين من أقوال الرجال القادمين من مكة المكرمة وجدة أنه أرسل الأموال الكثيرة مع أخيه أحمد إلى اليمن، حيث وزعها على مشايخ القبائل العربية، وكذلك وزع عليهم الخُلع من أجل قدومهم إلى مكة المكرمة في موسم الحج واستعدادهم للحرب.... إلخ»().

يتبين لنا من الوثيقة السابقة بأن الشريف مساعد بن سعيد كانت له صفة التحايل على الدولة العثمانية حيث كان يظهر الولاء والطاعة لهم بشكل ظاهري ولكن في الحقيقة غير ذلك وذلك من خلال الوثيقة السابقة والتي كشفت لنا عدم ثبوته على العهد والولاء للعثمانيين، وهذا ما جعل الدولة العثمانية تتقصى وبشكل مستمر عن أخباره لأن العثمانيين كان يهمهم أن يعيش المجتمع المكي آمن اقتصادياً وسياسياً. ومن المشاكل التي حدثت في عهد الشريف مساعد بن سعيد ما ظهر بينه وبين أخية الشريف أحمد بن سعيد() . حيث كانت محور المشكلة بين الأخوين أحد العبيد الذين كان يخدم أحد المسؤولين وكان يسمى بمحمد الشامي، حيث تعرض هذا العبد للتعذيب فما كان من هذا العبد إلا أن طلب العون من الشريف أحمد والذي بدوره أحال موضوعة للشريف مساعد، الذي أعرض عنه ولم يعط أمر هذا العبد أي اهتمام، فغضب الشريف أحمد من تصرف أخيه فتواجه معه في إحدى المعارك التي انتهت بينهما بالصلح لاحقاً [6].

كان هناك بعض الأشراف يعتدون على الحجاج في مكة المكرمة لذلك في 28 ربيع الأول لعام 1176هـ/16 أكتوبر 1762م ورد أمر من السلطان لشريف مكة المكرمة يطلب فيه من الشريف بنفي أي شريف أو إصدار العقاب المناسب لهم في حالة اعتدائهم [7]على الحجاج أو الاعتداء على عامة الناس وكان هؤلاء الأشراف يلجؤون لوالي الشام ليعفو عنهم مما يؤدي إلى زيادة طغيانهم وفسادهم لذلك كُتب لوالي الشام بعد السماع لهم[8].

لقد كثرت مشكلات الأشراف خلال العهد العثماني من حيث كثرة توافدهم للأستانة وجنيهم المال بطرق غير مشروعة مستغلين أنهم من سلالة آل البيت، أضف إلى ذلك أنهم خرجوا من مكة المكرمة إلى إسطنبول دون إذن مسبق من أمير مكة المكرمة مما أفقدهم الصفة الرسمية لزيارتهم إلى الآستانة، وهذا ما حدث في أوائل جمادى الآخره لعام 1179هـ/17 نوفمبر 1765م، حينما حضر مجموعة من أشراف مكة المكرمة عن طريق الشام ومصر من أجل طلب المال دون إذن من شريف مكة المكرمة الشريف مساعد بن سعيد. وقد كثر الأشراف المشكوك في أمرهم هل هم من الأشراف أم لا إذ كانوا يقومون بجني المال بطرق غير مشروعة، لذك أصدر السلطان أمراً للشريف مساعد منع أي شريف من الورود براً أو بحراً للأستانة دون إذن من الشريف[9]. ومن مظاهر الفتن أيضاً والتي ظلت مستمرة طيلة عهد الشريف مساعد بن سعيد ما وقع بينه وبين الشريف عبدالله بن الحسين[10]، التي كان سببها الرئيس منصب الشرافة حيث رغب بها الشريف عبدالله فتواجه مع الشريف مساعد في إحدى المواجهات العسكرية التي حسمت لصالح الشريف مساعد، فما كان من الشريف عبدالله بن الحسين إلا أن لجأ إلى مصر التي كان بها علي بك الكبير [11].

لجأ الشريف عبدالله إلى والي مصر وطلب منه المساعدة في استرداد منصب الشرافة، فأرسل السلطان

رسالة إلى شريف مكة المكرمة الشريف مساعد يشير إليه بعدم الامتثال أو الاستماع لمثل تلك الشائعات أو الأخذ بها: (وعليكم أن تهتموا بشؤون الحرمين الشريفين وشؤون الحجاج والزوار والتجار والعمل على راحتهم)، فكما نلاحظ هنا أن السلطان كان يريد تهدئة الأوضاع داخل البلاد حتى لا تقع فتنة داخل الحجاز وبالأخص بين الأشراف. وفي نفس الوقت لكي يمنع تدخل والي مصر علي بك الكبير في شؤون الحجاز الداخلية التي كان ورائها أحلام علي بك التوسعية لصالح إمارته بمصر إبان فترة الدراسة وقد كان هذا الخطاب في أوائل ربيع الآخر 1183هـ/6 أغسطس 1769م[12].

انتهى عهد الشريف مساعد بعد وفاته سنة 1184هـ/1770م إذ انتقلت الإمارة إلى أخيه الشريف أحمد بن سعيد (1195-1184هـ/1781-1770م) ذكر الجبرتي ما وقع بين الشريف أحمد بن سعيد والشريف عبدالله بن حسين من ذوي بركات إذ لجأ هذا الأخير إلى والي مصر علي بك الكبير[13] ليساعده في استرجاع حكمه بمكة المكرمة وبالطبع هذا الطلب كان الفرصة السانحة والتي كان ينتظرها هذا الوالي لتوسيع نفوذ حكمة وليس من أجل الأشراف فقط.

بعد هروب الشريف عبدالله لمصر لجأ إلى طلب المساعدة من واليها علي بك الكبير الذي وجدها فرصة ذهبية سنحت له، لكي يوسع نفوذه خارج مصر وعلى الفور استجاب هذا الوالي لطلب الشريف فأمر بتجهيز جيش كبير أرسل للحجاز عام 1183هـ/1769م تحت قيادة أحد قوادة يدعي محمد بك أبو الذهب، حيث كان لهذه الحملة هدفين: ظاهري وخفي، فالظاهري هو إعادة الشرعية لمكة المكرمة وذلك بتنصيب الشريف عبدالله على شرافتها، وأما الحقيقي فكان توسيع النفوذ المصري بالمنطقة والذي يترتب عليه تمويل تجارة مصر من الهند عبر ميناء جدة إلى السويس مباشرةً، وفعلاً تمكن أبو الذهب من دخول مكة المكرمة وتنصيب الشريف عبدالله عليها بعد هــروب الشريف أحمد بن سعيد منها بشكل مؤقت [14].

وبعد انتقال الإمارة للشريف أحمد بن سعيد أخذ يواجه الأطماع المصرية من قبل هذا الوالي على الحجاز لتوسيع نفوذه، وهذا ما أكدته العديد من المصادر حول رغبة علي بك الكبير من توسيع نفوذه خارج مصر وقد وجد المخرج لذلك وهو أحد الأشراف الذي استنجد به ليساعده على استعادة حكمه[15].

بعد دخول محمد أبو الذهب لمكة المكرمة حاول الشريف أحمد بن سعيد أن يقوم ببعض التدابير العسكرية حيث توجه للطائف لكي يحصل منها على دعم القبائل لتنضم معه في الجيش الذي سوف يواجه به أبو الذهب بمكة المكرمة، ولكن أبو الذهب بالحيلة أرسل مجموعة من جنودة يوهمون الشريف أحمد بن سعيد بأنهم من أتباعه بعدها علم أبو الذهب بمكان الشريف أحمد وتمـكن من هزيمته والعودة لمـصر وترك حسن بك شبكة[16] على ولاية جدة[17].

كانت عودة أبو الذهب لمصر فرصة سانحة للشريف أحمد بن سعيد لكي يستعيد حكمه الذي نهب منه من قبل أبو الذهب، حيث جمع الشريف أحمد قواته ودخل بهم مكة المكرمة ونودي له بالبيعة بين شوارعها، أما بالنسبة لوالي جدة حسين شبكة فطلب منه الشريف أحمد الاستسلام أو القتال فلم يستسلم، نتج عن ذلك أن قتل عدد من الأتراك وهرب بعدها الوالي حسين شبكة لمصر وقد لحق به الشـريف عبدالله بن الحسين ومنها إلى اسطنبول حيث توفي بها سنة 1203هـ/1788م [18].ويضيف أحمد دحلان بمكة المكرمة بعد دخول الشريف أحمد بن سعيد بجنوده لمكة المكرمة والذي يوضح لنا هنا مدى سوء الأحوال بمكة

المكرمة والتي كانت قد أصبحت ساحة معارك شكلت أحد العوائق أو الصعوبات التي واجهت مالية مكة المكرمة خلال مدة الدراسة أكمل دحلان قوله مشيراً لتلك الأحداث : «... لكن عسكر الشريف وجنوده لما دخلوا إلى جدة وملكوها في هذه الواقعة نهبوا أغلب دور أعيانها الكبار والحواصل التي فيها من أموال التجار وتركوا البندر خراباً بعد العمار، فنتج عن ذلك حصول غلاء بمكة المكرمة وجدة وبقية الأطراف واشتد الكرب على المسلمين لدرجة أن البادية في مدة الغلاء كانوا يأكلون الهرات ويشربون الدم واستمر الأمر هكذا إلى آخر السنة، ثم انحلت العقدة في سنة خمس وثمانين لما وردت الحبوب وازدحم الناس على شرائها لما نالهم من الجوع بمدة الغلاء حتى أنه أنفق إلى السوق خمسمائة إردب في يوم واحد وبيعت كلها، كما كثر بهذا العام قُطاع الطرق .... إلخ»().

من خلال ما أورده دحلان حول ما خلفه دخول الشريف أحمد بن سعيد لمكة المكرمة يبدو لنا أن دخول الشريف أحمد كان وراءه الرغبة في الانتقام من أشراف آل بركات الذين كانوا معارضين له منذ البداية إضافة إلى أن مكة المكرمة قد تأثرت اقتصادياً من دخول الشريف أحمد بن سعيد حيث ارتفعت الأسعار ودب الغلاء بين أرجاء مكة المكرمة، وقد انجلت آثار هذا الغلاء بين السكان وخصوصاً البادية، أيضاً من الآثار التي نتجت عن دخول الشريف أحمد بهذه الطريقة هو تهافت الناس على شراء جميع أنواع الحبوب نتيجة ما نالهم من الجوع والتعب لدرجة أن هذه الحبوب بيعت كلها في يوم واحد حيث بلغ مقدارها 500 إردب.

ولقد كثرت مشاكل الشريف أحمد بن سعيد ومنها تدخله في شؤون ولاية جدة، ويطلب رسوماً جمركية زائدة من التجار الذين كانوا يأتون إلى جدة مما أدى إلى إرهاق التجار، وعدم تحصيل أموال زائدة من التجار الذين يأتون إليها مما أدى إلى إرهاقهم، لذلك وإزاء هذا الوضع المتردي رفع والي جدة وقتها عمر باشا هذا المعروض إلى مقام السلطنة لبحث وتحري هذا الموضوع، وقد جاء رد السلطنة بأن أصدر السلطان أمره للشريف أحمد بن سعيد بالتعامل بشكل جيد مع الوزير عمر باشا وألا تُطلب رسوم زائدة من التجار وتجنيب تأخير مرتبات الأشراف وقد تم ذلك في أواخر ربيع الآخر لعام 1187هـ/18 يوليو 1773م[19]. وظل الشريف أحمد بن سعيد على شرافة مكة المكرمة إلى أن انتزعها منه ابن أخيه الشريف سرور بن مساعد 1186هـ/1773م[20]، وسبب ذلك أن الشريف أحمد بن سعيد أراد عزل الوزير يوسف قابل من وزارة جدة إذ كان هذا الوزير مقرباً من الشريف سرور، وحاولت الفرقة العسكرية التي أرسلها الشريف أحمد للقبض على الوزير المذكور لكن الشريف سرور منعهم من ذلك[21]. وبعدها جهز الشريف سرور كما أشار الفاسي جيشاً يوم السبت ثلاثة عشر من ذي القعدة سنة 1186هـ/1772م، وأدى ذلك إلى القتال بينهما في أكثر من خمس عشرة موقعة عسكرية حُسمت كلها لصالح الشريف سرور بن مساعد ونودي له بشوارع مكة المكرمة بمنصب الإمارة على مكة المكرمة[22].

من خلال استعراضنا السابق لصور الصراع المستمر بين الأشراف يتضح لنا هنا أن الأشراف كان همهم الأول والأخير الوصول إلى سدة الحكم أي منصب الشرافة ومن أجل هذا المنصب خاضوا العديد من الحروب والتي خلفت وراءها خسائر في الأرواح وكذلك في الأموال وقد كانت هذه الأوضاع السيئة بمكة المكرمة وقتها لها الأثر السلبي في مالية مكة المكرمة ولجوء التجار إلى التحايل على الناس، وأصبحت الدروب غير آمنة للحجاج المسافرين إلى مكة المكرمة. ولعلنا نستشهد ببعض الأمثلة التي تدل على انعدام الأمن في دروب

الحجاج المسافرين إلى مكة المكرمة والقادمين إما من مصر أو من الشام، حيث أرسل قضاة الحرمين الشريفين إلى شيخ الإسلام في 10 رجب لعام 1174هـ/14 فبراير 1761م عريضة بخصوص اعتداء قبيلة بني حرب على قوافل الحجيج، وكان رد شيخ الإسلام على هذه العريضة بقوله :»..... لا شك أن هؤلاء شر البرية .... مرتدون خارجون عن الإسلام فيجرى عليهم ما شُرع على المرتدين من أحكام .... إلخ»[23]. فكما نلاحظ كان هذا أحد الأمثلة التي أظهرت لنا الآثار السلبية للأوضاع السياسية بمكة المكرمة آنذاك.

الأوضاع السياسية في مصر:

لم تكن الأوضاع السياسية في مصر بأحسن منها في الحجاز. فكما كانت الأوضاع السياسية بمكة المكرمة سيئة فقد كانت مصر مثلها في السوء داخل البلاد أو خارجها، فمن الداخل سيطر أمراء المماليك على الحكم مما أفقد الباشا العثماني بمصر أهميته كحاكم ولاية وأعطى ذلك نفوذاً أكبر للمماليك كما حصل مع علي بك الكبير، ومن الخارج الروس الذين أخذوا يطرقون أبواب الخطر على حدود الدولة العثمانية فقد كان الروس يحلمون بالوصول للمياه الدافئة، حيث امتدت الحرب معهم ما بين عامي 1188-1182هـ/-1768 1774م لذلك نجدهم خلال حروبهم مع العثمانيين لجأوا لأكثر من طريقة لإسقاط الدولة العثمانية، فقد كان يحكم روسيا في تلك المدة الإمبراطورة كاترين الثانية والتي اعتلت عرش روسيا منذ عام 1761م، لعل أبرز هذه الطرق التي لجأ إليها الروس لإسقاط الدولة العثمانية كانت إثارةً بعض الولاة للثورة ضد الدولة العثمانية وقد وجد الروس ما يسعون من أجله من خلال الوالي علي بك الكبير والذي أعلن التمرد والانفصال عن الخلافة العثمانية مدعماً من روسيا وذلك عام 1183هـ/1769م [24].

لقد كانت النزاعات هي السمة الأكثر شيوعاً على أوضاع مصر الداخلية، بسبب الحرب التي خاضتها الدولة العثمانية مع الروس والتي كانت لها تداعيات سلبية على مصر، لعل أكبر دليل على ذلك بداية سيطرة المماليك على شؤون مصر الداخلية ومحاولة وصولهم إلى أعلى المناصب أبرزها منصب شيخ البلد[25] والذي زاد من قوة المماليك وسلطتهم بمصر فقد تمكن أحد هؤلاء المماليك من بسط سيطرته على شؤون البلاد وذلك بعد إعلان استقلاله بحكم مصر عن الدولة العثمانية، فبدأ علي بك الكبير يُذكر اسمه بخطب الجمعة وتضرب العملة باسمه وأخذ يقوي نفوذه مع بعض الزعماء أمثال الشيخ طاهر العمر والي عكا بالشام، وبدأ يفكر بالتوسع خارج مصر فنجده يرسل حملات إلى اليمن وجدة ومكة المكرمة وسوريا بقيادة أحد مماليكه وهو محمد بك أبو الذهب فانتصرت جيوشه حتى وصلت دمشق واستولت عليها[26]. ولقد شكل منصب شيخ البلد بمصر أحد المحاور الرئيسة والتي شكلت الأوضاع السياسية بالبلاد، فقد سعى لهذا المنصب العديد من الشخصيات نظراً لما يتمتع به شيخ البلد من صلاحيات تخوله لكي ينافس الوالي نفسه في شؤون المنطقة، ومن هؤلاء الولاة الذين سعوا للانفراد بهذا المنصب علي بك الكبير، الذي أخذ يتحين الفرص المناسبة له ليتقلد هذا المنصب ولكن مشيخة البلد كانت قد مرت بالعديد من القواد الذين تولوها منهم على سبيل المثال: رضوان كتخدا، وعبدالرحمن كخيا، وغيرهم وكما هو معهود عن علي بك الكبير في انتهاز الفرص حيث انحاز هذا الوالي إلى جانب الطرف الأقوى لكي يقوي نفوذه وسطوته ورغم كل العوائق التي واجهت علي بك الكبير من النفي بين مدن مصر المتعددة لكن علي بك وظف هذه الظروف لصالحه وجمع جنوده واستولى على الحكم بمصر[27]. ويضاف إلى ذلك ضعف سلطة الباشا العثماني فقد كان لها الدور الأكبر لاستبداد الأمراء

المماليك وأدى ذلك إلى تدهور الأنظمة الداخلية للبلاد بمصر، وعلى رأسها الزراعة والتي كانت تمثل مورداً اقتصادياً مهماً فعن طريقها تمول مصر بلاد الحرمين الشريفين بالغلات الزراعية على مختلف أنواعها، فقد تحكم الأمراء المماليك بالزراعة، وظهر ذلك جلياً من خلال التحكم ببعض الأنظمة مثل نظام الالتزام[28] إذ سخر المماليك مثل هذه الأنظمة لصالحهم. فقد كانوا يجمعون من الفلاحين عوائد الأراضي مقدماً ثم يجمعونها أضعافاً مضاعفة فكان ذلك مصدر دعم للأمراء المماليك بسبب احتكارهم لنظام الالتزام، وأدى ذلك بدوره لهروب العديد من الفلاحين من أراضيهم، وأصبح على الفلاح أن يدفع ضريبة للملتزم عندما يتنازل عن أراضي الأثر لغيره أو لأولاده، وأما في صعيد مصر فلقد كانت قبائل الهوارة هي المسيطرة على الوضع، ولكن في عهد علي بك الكبير تم تدمير قوة القبائل البدوية وتم توزيع أراضيهم على ملتزمين من القاهرة[29]. ويلحظ هنا أن علي بك الكبير أخذ يستغل فرصة انشغال الدولة العثمانية بحروبها مع الروس خلال القرن الثامن عشر الميلادي، فأخذ يتحالف مع الدول التي بينها وبين العثمانيين عداوة فمن ذلك استخدم مثلاً تاجراً إيطالياً اسمه "روستي" عقد له معاهدة سلمية مع البندقيين على أن يكونوا حلفاء، ثم عهد إلى رجل أرمني اسمه "يعقوب" أن يستطلع من الكونت "إلكسيس أورلوف" قائد القوات الروسية في البحرين (المتوسط والأسود) من عقد معاهدة دفاعية هجومية مع قيصرة الروس " كاترينا الثانية " فأجابه الكونت بالإيجاب[30].

من الواضح هنا أن علي بك الكبير كان عازماً على الانفراد بالسلطة وقد ظهر ذلك جلياً من خلال التحركات السرية التي قام بها هذا الوالي إذ وصل به الأمر للتحالف مع أشد أعداء العثمانيين الروس، ومن ثم انعكست هذه الحالة التي وصلت إليها البلاد بمصر فزادت الاضطرابات من الناحية السياسية والفتن الداخلية التي كان سببها الرئيسي استبداد الأمراء المماليك بسلطتهم بمصر على حساب العثمانيين والذين كانت لهم السيادة الاسمية فقط. وتأكيداً على حالة عدم الاستقرار السياسي الذي حل بمصر خلال القرن الثاني عشر الهجري /الثامن عشر الميلادي، فقط اضطربت الأحوال بمصر من الداخل، بالطبع هذا انعكس سلباً على مالية مكة المكرمة خلال مدة البحث. إذ لم تجد الإدارة المصرية ما ترسله لأهل الحجاز من أموال إلا بعد فرض ضرائب على بعض المدن المصرية مما نتج عنه تضرر العديد من سكانها بسبب هذا الأمر[31].

لقد ضرب لنا علي بك الكبير مثالاً للولاة الخارجين عن طاعة الدولة العثمانية، حيث استغل الظروف السياسية التي مرت بها الدولة العثمانية في صراعها مع الروس لبسط النفوذ والسيطرة على العالم الإسلامي، لكن يبدو أن هذه السيطرة والاستبداد لم تدم طويلاً في ظل وجود منافس قوي لعلي بك وهو أحد أشهر قواده محمد بك أبو الدهب، ففي عام 1187هـ/1773م وقعت معركة بين الاثنين وهي معركة الصالحية إذ نجد أن علي بك الكبير حاول الحصول على دعم بعض أمراء المناطق المجاورة له مثل أمير الشام ظاهر العمر في محاربة خصمه أبو الذهب وفعلاً تقابل الجيشان بالصالحية حيث وقع قتال عنيف نتج عنه انتصار أبو الدهب بالمعركة واصابة علي بك الكبير بالعديد من الجراح مات متأثراً بها[32].

الاضطرابات الاقتصادية:

أ - فساد رجال المالية:

شكلت الأزمات الاقتصادية إحدى الصعوبات التي واجهت مالية مكة المكرمة في تلك الحقبة إذ أثرت هذه الأزمات الاقتصادية في مخصصات الحرمين الشريفين وأدت إلى التقليل من كمية المخصصات

وكذلك التأخير في وصول هذه المخصصات عن وقتها إلى بلاد الحرمين الشريفين، لعل ذلك مرده كله لأسباب وهي فساد رجال المالية وفيضان النيل وزيادة الأسعار كل تلك الأسباب شكلت الأزمات الاقتصادية التي واجهت مالية مكة المكرمة في عهد السلطان مصطفى الثالث خلال مدة الدراسة وسوف نستعرضها خلال هذا المبحث.

تردت الأحوال المالية بمصر وانعكست سلبياً على مخصصات الحرمين الشريفين، إذ كانت تُرسل من مصر بشكل دائم كما هو معروف، فمنذ القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي كانت عملية جمع العوائد من الفلاحين تتم عن طريق وكلاء يسمون (الأمناء) يتحصلون على رواتب سنوية ثابتة من الخزانة الأميرية، ولقد كان هذا النظام فعالاً لأن العاملين عليه لم تكن لهم أي نوع من الأطماع مهما كانت كمية العوائد التي يجمعونها في تلك الفترة، لكن مع بداية القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر/ الميلادي بدأت سلطة الباشا العثماني تضعف بمصر مما أدى إلى سيطرة نفوذ الأمراء المماليك بمصر ومن ثم أدى إلى ظهور العديد من الأنظمة والتي سيرها المماليك لخدمة مصالحهم الشخصية والتي أدت بدورها إلى ضعف الاقتصاد بالبلاد، كما حدث في نظام الالتزام والذي وظفه الأمراء المماليك لصالحهم، وقد أثر ذلك بدوره في مخصصات الحرمين الشريفين خلال مدة مدة الدراسة[33].

كانت الدولة العثمانية تتابع ولاتها في الحجاز وبالأخص في جدة حيث كانت هذه الولاية تنفرد عن غيرها من الولايات بوجود ميناء جدة الذي كانت تحصل منه الدولة العثمانية على العديد من الأموال تخصصها لصالح أهالي مكة المكرمة، فعلى سبيل المثال كلفت الدولة العثمانية أحد موظفيها يدعى عثمان آغا المباشر[34] المسؤول المالي ليتابع تحصيل مجموعة من الأموال التي كانت في عهدة بعض الولاة من أمثال: والي جدة الوزير سعد الدين باشا، فقد أشارت إحدى هذه الوثائق حول موضوع التحصيل المالي لهذا الوزير حيث بلغت مدتها التحصيلية ما قدره ثمانية أشهر من المعاشات بلغت ما قدره 99.925 قرش أضيفت للمبلغ السابق مبالغ من محلول المتوفين بلا وارث أضيفت لهذه المعاشات ووزعت كالتالي : أولاً : تركة المتوفى السيد خليل رقم 10.000 قرش ، ثانياً : نائلي عبدالله باشا 8.000 قرش، وبعد جمع هذه المبالغ من محلول المتوفين ومبلغ المعاشات الأساسي بلغ المجموع ما قدره 117.925 قرش، رفع المباشر هذه الأموال إلى والي جدة ليتقيد ما جاء بها، وأرسل صورة من هذا الخطاب إلى الدولة العثمانية نزل منها المباشر مبلغ 8.000 قرش من عهدة هذا الوالي فأصبح المبلغ المطلوب منه قدره 109.925 قرش. بالطبع كان لهذه الأموال سعر معين سواء في سعر الصرف في مكة المكرمة أو في إسطنبول، فمكة المكرمة بلغت ما قدره 109.925 قرش، وسعر إسطنبول بلغ 70.995 قرش[35]، إذاً من الواضح لدينا هنا ومن خلال هذه الأموال بأن هناك متابعة دقيقة من قبل موظفي الدولة لتحصيل هذه الأموال في ذمة هؤلاء الولاة فهذه الأموال حق عام لأهالي مكة المكرمة خصصتها لهم الدولة العثمانية.

إذاً ومن خلال ما سبق يتضح لنا وبجلاء أن هناك أموال كثيرة كانت في ذمة ولاة جدة، حيث كانت هذه الأموال مخصصة لمعاشات أهالي مكة المكرمة وذلك خلال فترة الدراسة وصلت إلى 117.925 قرش، ويعتبر هذا المبلغ مرتفع وسوف يستفيد منه أهالي مكة المكرمة في معاشاتهم التي خصصتها لهم الدولة من خزينتها، بالطبع مثل هذه المبالغ الضخمة تأخر وصولها شكل أحد العوائق الاقتصادية التي واجهت مالية

مكة المكرمة. ومن صور الفساد من بعض الموظفين الذين كان يتم تعيينهم على بعض المرافق، فمثلاً أرادت الدولة العثمانية تطهير وتنظيف المجاري المائية لعين حُنين وعرفات بمكة المكرمة وعينت شاباً يدير مياه العيون، ولكن الذي حدث أن الشاب المسئول عن إدارة العين بدأ يتلاعب على هواه، فيصرف الماء على بساتين وأراضي هذا وذاك، لذلك جاءت التعليمات بطرد هذا الشاب لأن هذه المجاري المائية تعتبر من الأملاك الأميرية التي ينبغي أن تكون إدارته جيدة وبشكل أفضل، وعليه يجب تعيين مسؤول عن هذه المجاري باختيار أعيان وكبار الأهالي في مكة المكرمة، ثم يتم إعداد كشف بمفردات المصاريف اللازمة لتطهيرها وإرساله إلى إسطنبول ليتم تسجيله في دائرة الباش محاسبة، وكان ذلك في أوائل جمادى الأولى لعام 1172هـ/2 يناير 1759م[36].وثمة ظاهرة لدى بعض الولاة ألا وهي المماطلة في إرسال مخصصات الحرمين الشريفين إلى مستحقيها من الأهالي، فقد أفادت إحدى الوثائق العثمانية أن أهالي الحرمين الشريفين لم يتسلموا أموالهم لمدة تراوحت من سنة إلى سنتين، والسبب وراء ذلك يعود إلى تأخر الولاة في تسليم هذه الأموال إلى أمناء الصرة لكي يسلموها لأصحابها على الوجه المعتاد، لذلك نجد أن السلطان في أواسط جمادى الآخرة لعام 1175هـ/9 يناير 1762م وجه خطابه إلى والي الشام عثمان باشا وضح له فيه أن عامة الناس ببلاد الحرمين الشريفين يعيشون على هذه المخصصات وتأخيرها يسبب لهم التعب والشقاء ، لذلك نجد أن السلطان أوصى بضرورة تسليمها لأمناء الصرة لكي يعجلوا في توزيع الأموال لمستحقيها[37]. واستمر الولاة يؤخرون أموال أهالي الحرمين الشريفين ففي 15 من شهر رجب من السنة نفسها في 8 فبراير 1762م أرسل أهالي الحرمين الشريفين عريضة لمقام السلطنة يوضحون فيه لمقامه تأخير وصول مخصصاتهم المالية المعتادة لهم من الصرة السنوية، فقد وردت هذه الشكوى ضد ولاة الشام[38]، وهذا يؤكد لنا هنا أن هؤلاء الولاة سواءً أكانوا في الشام أو في مصر قد استغلوا الظروف التي مرت بها الدولة العثمانية فنجدهم يوظفون إيرادات الدولة لصالحهم دون الالتفات لعامة الناس من أهالي الحرمين الشريفين، إذ كانت المماطلة والتأخير في إيصال هذه الأموال خير دليل على فسادهم إدارياً. وقد كان يحدث أحياناً نوع من الاحتكاك بين الولاة أنفسهم في جدة محاولة منهم للتسابق والسيطرة على أموال الجمرك والذي يعد أحد أشهر مصادر دخل مالية مكة المكرمة وقتها، فعلى سبل المثال حدث في 28 ربيع الأول لعام 1176هـ/15 نوفمبر1762م حينما تودهت لهذا الميناء ثلاث سفن، تاهت سفينتان بالبحر وبقيت سفينة واحدة جاءت من إحدى مناطق الهند تسمى (سوارات) وقد قام والي جدة وقتها مصطفى باشا بأخذ محصول هذه السفينة ووزع رواتب أهالي الحرمين الشريفين لأربعة اشهر، وحينما عين الوالي الجديد على جدة علي باشا رغب في تحصيل جمرك السفينة فطلب من الدولة إصدار أمراً لمنع تدخل علي باشا في هذا الموضوع[39].

أيضاً من أوجه فساد رجال المالية والذي كان متفشياً بين الولاة فهذا الوالي علي بك الكبير والذي تم في عهده تخصيص مال من والي مصر أي الأموال التي تؤخذ من أهل الكتاب والتي بلغت 40.000 قرش خصصت لمصاريف عين ماء حُنين والتي تعتبر إحدى المصادر المهمة والتي تمد عن طريقها مكة المكرمة بالمياه، وسلمت بيد هذا الوالي من قبل الوالي السابق كتخذا محمد باشا، وقد كانت المشكلة تكمن في أن علي بك لم يصرف المبلغ في محله ولم يعط المبلغ إلى ممثل الدولة العثمانية الشريف عثمان أفندي لذلك وصلت أخبار هذا الوالي لمقام السلطان لينظر في شأنه وقد تم ذلك في 13 رمضان لعام 1178هـ/5 مارس 1765م[40].

تأخير أموال أهالي مكة المكرمة من قبل الوالي علي بك الكبير أوردتها إحدى الوثائق عن السنة نفسها التي ذكرت سابقاً إذ خصصت الدولة كما أشرنا سابقاً مبلغ 40.000 قرش لترميم عين حُنين والتابعة للمجاري المائية بمكة المكرمة وأنكر علي بك أخذ هذا المبلغ ولكن بعد النصح الذي قدم لعلي بك وتذكيره بقوة الدولة العثمانية أوضح أنه سوف يدفع المبلغ على أقساط حتى ينتهي المبلغ الذي عليه[41].ومن أوجه فساد رجال المالية أيضاً ما حدث من والي مصر حمزة باشا الذي أخذ يتلاعب بسعر صرف العملة لصالحه، فكما هو معروف أن مصر في كل سنة ترسل مخصصات الحرمين الشريفين مع أمناء الصرة بواسطة قافلة الحج المصرية، وقد وصلت الأخبار إلى مقام السلطنة أن هذا الوزير يأخذ زيادة عشرة بارات على كل قطعة ذهبية ظلماً على أصحاب الصرة، لذلك صدرت الأوامر من السلطنة بعدم التقصير والإهمال في هذه المصلحة الخيرية وكانت التعليمات واضحة من السلطنة تجلت في القبض بسعر الصرف الرائج في إسطنبول وتسليمه لأمير الحج المصري والذي يقوم بدوره بتسليمها إلى أمير مكة المكرمة وتصرف على مستحقيها مع عدم أخذ زيادة على سعر الصرف وقد تم هذا الأمر في أواخر رمضان لعام 1179هـ/1765م[42]. وفي 22 من شهر ذي الحجة لعام 1187هـ/5 مارس 1774م رفع مجموعة من أهالي مكة المكرمة ممثلين في خطباء ومجاورون ومؤذنين وحراس المسجد الحرام بكل طوائفهم معروضاً لمقام السلطنة بخصوص قيام الوالي على جدة عمر باشا بقطع علوفاتهم[43] المخصصة لهم من مصر والتي تأتي إلى هذا الميناء في كل سنة، وطلبوا من أمير مكة المكرمة وقتها الشريف سرور بن مساعد أن يساعده في استرجاع علوفاتهم من هذا الوالي، حيث حاول الشريف ردع هذا الوالي عما يقوم به بقطع المخصصات عن المحتاجين إليها من أهالي مكة المكرمة بالطبع أجابت الدولة العثمانية نداءهم وعُزل هذا الوالي وعين والي آخر بدلاً منه[44].

إذاً من خلال ما مر بنا من أوجه الفساد لرجال المالية يتضح لنا أن الفساد كان متفشياً في أنحاء البلاد ولم يكن له رادع قوي وقد كان هذا أمراً واقعياً بسبب انشغال الدولة العثمانية في حربها المستمرة مع أعدائها الروس بالخارج والمشكلات والفتن بداخلها خلال مدة الدراسة.

ب – فيضان النيل:

كان فيضان النيل أحد العوائق الاقتصادية التي واجهت التزامات مصر تجاة مكة المكرمة خلال فترة البحث ولكن لهذا النهر له مكانة عالية بين المصريين، فقد اتفق العديد من العلماء على أن نهر النيل يعتبر من أفضل الأنهار على الأرض نظراً لما ينتج عنه من منفعة عامة لكل المصريين وبالتحديد في محاصيلهم الزراعية[45].

من الواضح لدينا هنا أن لنهر النيل خصال جيدة من الناحية الاقتصادية كون هذا النهر يسهم وبشكل بارز في انتشار الزراعة بالمناطق المجاورة له والموجودة على ضفافه، ومن هنا تأتي أهميته فتنوع المحاصيل الزراعية سيؤدي إلى زيادة الغلال بمختلف أنواعها والمرسلة سنوياً إلى بلاد الحرمين الشريفين.

أشهر المصادر التي كتبت عن فيضان النيل والنتائج التي تترتب على فيضانه كان أحمد شلبي عبدالغني، فقد كانت هناك أسباب طبيعية تتعلق بكميات المياه بهذا النهر أشار إليها المصدر إذ قال : " لقد كانت مياه النيل في بعض السنوات لا تصل إلى منسوبها المعتاد والذي يُعرف عند المصريين بوفاء النيل، فينتج عن ذلك أن الأراضي الزراعية لا تسقى ويحدث جفاف في هذه الأراضي، ومن ثم يترتب عليه غلاء في الأسعار

بالخصوص الحبوب بجميع أنواعها، إذ نجد أن التجار كانوا يستغلون هذا الغلاء لصالحهم، فمثلاً في عهد علي باشا السلحدار (1013-1010هـ/1604-1601م) () حاول أن يبيع قمح العنبر الشريف إلى الإفرنج في الجلود على هيئة البهار، قام العسكر ضده، وقالوا كيف تبيع القمح للإفرنج بستين فضة، وكذلك القمح تم بيعه بستة وثلاثين نصف فضة، وتكررت هذه الظاهرة في عهد أحمد باشا (1027-1024هـ/1618-1615م) فبيع الإردب الحنطة بثمانية قروش والشعير بمائة وعشرين نصف فضة، وفي عامي (1107-1023هـ/-1614 1695م) اشتد الغلاء للأسعار لدرجة أن الناس باعوا أولادهم، وهجروا بلادهم نتيجة لهذا الغلاء إذ إن كشك محمد قد هدد الأمناء والكيالين والرؤساء الذين يتاجرون في الغلال، إن باعوا الغلال بأكثر من السعر المحدد لها، وكان إذا جاء الغلاء تغلوا الحنطة إلا في ثاني سنة"[46].

من الواضح لدينا هنا أن فيضان النيل في مصر يترك آثار اقتصادية سيئة على عامة البلاد، ولقد كان الضرر الذي يخلفه هذا الفيضان تتضرر به المساحات المزروعة التي كانت تعتمد بشكل رئيس على ري أراضيها من مياه هذا النهر مما ينتج عنه حدوث الغلاء بشكل واضح في البلاد خصوصاً بين تجار الحبوب بمصر الذين كانوا يوظفون هذا الغلاء لصالحهم بالتحكم بالأسعار التي تناسبهم. وأكمل أحمد شلبي عبدالغني قوله حول انخفاض مياه النيل : " لما اشتدت وطأة الأزمة على الفقراء اجتمعوا وطلعوا إلى الديوان يشكون ما حل بهم صاحوا ونادوا: متنا من الجوع وشدة الغلاء لكن لم يجدوا صدى لصيحاتهم، رجموا بالحجارة الديوان فطردهم الوالي، فنزلوا إلى الرميلة فنهبوا جميع الغلال وكسروا الحواصل ونهبوا ما كان فيها من قمح وفول وشعير. وكانت هذه الفعلة ابتداء الغلاء في جميع المأكولات، واستمرت الزيادة إلى أن بيع القمح بستمائة فضة للإردب والفول بخمسمائة فضة، والشعير بأربعمائة فضة، والرز بثمانمائة فضة. واللحم الضأن بخمسة أنصاف الرطل ... وصار الفقراء يتخطفون الخبز من الأسواق والعجين وهو رايح، وقد عجز الأمراء المماليك عن تسديد الأموال الأميرية المتبقية طرفهم، واستقبل الأهالي إسماعيل باشا[47] بالبكاء، سأل الأمير عن سبب هذه الحالة التي ألمت بالبلاد، وبناءً عليه أمر الأمير على إثر ذلك بتوزيع المعدمين على القادرين، وتذكر الكتابات المعاصرة أن هذه الضائقة استمرت حتى أوفى النيل ورويت الأرض وزرعت جميعها في العام التالي"[48].

ج – زيادة الأسعار:

مثلت زيادة الأسعار إحدى الأزمات الاقتصادية التي واجهت مالية مكة المكرمة في عهد السلطان مصطفى الثالث (1187-1171هـ/1773-1757م)، وقد ظهر ذلك من خلال التلاعب بالعملة بمصر في العهد العثماني، وبالتحديد منذ عهد علي باشا الصوفي حين تم خلط العملة بالنحاس إذ أمر هذا الباشا دار الضرب بأن تخلط المائة درهم ثلاثين درهماً نحاساً، فثقل الأمر، وأدى ذلك إلى نفور الناس وازدياد السرقة من اللصوص والمفسدين بالأراضي، ومن ثم أثر هذا في السوق المحلي إذ أدى إلى ارتباك الأسعار وكساد السلع، مما نتج عنه بعد ذلك توالي عمليات الغش للعملة، فنذكر منها ما حدث في عهد الوالي قرا محمد باشا إذ انتشر في القاهرة الفضة والنحاس، فصار النصف المختوم لا يوجد ولا يتعامل به، يأخذه اليهود ويقطعوه أربعة أنصاف، ويُصرف حتى إن الشريفي الحميد صار بمائة وخمسين، والبندقي بمائتين، والريال بسبعين، بالطبع تردي هذه الأموال دفع الأهالي بالتوجه لعلماء الأزهر وبلغوا بشكوى الناس، فتم رفع الشكوى

للديوان للنظر بشأنها ونتج عن ذلك أنهم بدأوا يقطعون فضة جديدة وتوزع على المصارف وينادى بإبطال المتصافي أصلاً وأن من معه هذه العملة يبدلها عند الديوان وزنها فضة من دار الضرب للعملة، لذلك نجد أن الدولة، من خلال ولاتها بمصر، بادروا بإيجاد حل لهذه المشكلة، فبدأت عمليات التفتيش بالأسواق وعلى رأس هذه العمليات آغا() مستحفظان لتفقد الدراهم وتحرير الأرطال والمناداة على الأسعار المقررة، فمن وجدوه يبيع على خلاف هذه الأسعار، تم معاقبته بشدة ربما أدت إلى الموت ().

من الطبيعي أن الغش بالعملة يؤدي إلى ضعف ما ترسله مصر من معونات إلى بلاد الحجاز عامةً ومكة المكرمة خاصة، فانخفاض قيمة العملة يؤدي إلى انتشار الغلاء بين الناس وبالتالي انخفاض واضح في مخصصات مكة المكرمة من أموال مصر التي كانت ترسل بشكل دائم[49].

اشارت إحدى الوثائق بالأرشيف العثماني إلى موضوع زيادة الأسعار، ففي أواخر رمضان لعام 1179هـ/10 مارس 1766م ورد لدى مسامع السلطان بأن هناك أحد ولاته على مصر يدعى حمزة باشا[50] يأخذ زيادة في أسعار مخصصات الحرمين الشريفين، وعلى الفور أرسل السلطان رسالة شديدة اللهجة إلى هذا الوالي: ((في كل سنة يتم إرسال الصرة بيد أمير الحج المصري، وقد بلغ مسامعنا أن ذلك يتم جبراً بزيادة عشرة بارة على كل قطعة ذهبية ظلماً على أصحاب الصرة، فتم إرسال الأمر الشريف بعد المشاورة مع ناظر الأوقاف الذي أوصى بعدم الظلم من أمير الحج في أثناء توزيع الصرة على أصحابها, إلخ...))[51].

من الوثيقة السابقة يتضح لنا وبجلاء مدى حرص العثمانيين على الدوام بعدم زيادة الأسعار أو التلاعب بها وقد دل على ذلك الخطابات المستمرة من قبل السلطنة العثمانية لولاتها على الأقطار العربية لأن هذا التلاعب سوف يؤثر بشكل سلبي على مخصصات مالية مكة المكرمة والمشار إليها خلال مدة البحث لذلك طالب العثمانيون ولاتهم بعدم أخذ أي مبلغ زائد عن سعر الصرف المنتشر وقتها حتى لا يقع الضرر على الناس.

الاضطرابات الأمنية في طريق الحج:

لقد كان للعربان دوراً بارزاً في أحداث الفتح العثماني لمصر 923هـ/1517م، نظراً لما يتمتع به هؤلاء العربان من قوة خصوصاً وقت القتال، فمثلاً نجدهم قد وقفوا لجانب السلطان المملوكي طومان باي ضد العثمانيين ونكلوا بالعديد منهم لذلك نجد أن العثمانيون حرصوا على استمالتهم لصالحهم اتقاء لشرهم فنجدهم يسندون لهم العديد من الوظائف لتشغلهم عن إثارة الشعب داخل مصر، وخلال مدة الدراسة كان للعربان دوراً سلبياً كونهم يشكلون أحد العوائق أمام مالية مكة المكرمة لاعتراضهم للعديد من قوافل الحج وقيامهم بأعمال السلب والنهب وأحياناً القتل إذا لزم ذلك [52].

كانت العلاقات بين مصر والحجاز طيبة، فقد كان المصريون يرون أن الحجاز بلاد الحرمين الشريفين، فأصبح هناك أشبه ما يكون برابط ديني روحاني يربطهم بالأماكن المقدسة، ولكن كانت هناك بعض القبائل البدوية في الطريق بين الحجاز ومصر كانت تثير المشكلات والقلاقل، وذلك بكثرة الاعتداءات على قوافل الحجيج على بلاد الحرمين الشريفين في تلك الحقبة، فعلى مدى التاريخ العثماني كانت هذه القبائل قادرة على السلب والنهب ولها قوة وخاصة كلما تقدم الركب المصري نحو الحجاز. العياشي حول عرب الحجاز قوله: " فأعراب الحجاز لا تنالهم الأحكام الشرعية من ناحية والي الحرمين الشريفين" وأكمل العياشي قوله:

" أن أكثرهم عرب جفاة ليس لهم دين ولا مذهب، جلهم لا يعرف صلاة ولا صوماً وقل أن تجد أحدهم يحس شيئاً من رسوم الشريعة الظاهرة من صلاة وصيام إلا القليل"، ويذكر أيضاً : " الدافع وراء تلك العمليات من العربان كانت أولاً بهدف قطع الطريق والحصول على أموال ومؤن وذخائر قافلة الحاج، ولما دفعوا للأعراب مالاً كثيراً نحو مائة ألف بعد ما انتهت من ركبهم، ويقول أيضاً: من دوافعهم الانتقام والثأر فمثلاً عند عسفان وجدنا الأعراب تهيأوا لمحاربة الأمير المصري لشأن بينهما وبعثوا إلينا لما نزلنا رسولاً وهم بالجبل"[53].

يظهر لنا هنا أن العربان بالحجاز كانوا وبشكل مستمر يقومون بإثارة المشاكل والفتن الداخلية بتعدياتهم المستمرة على قوافل الحج القادمة إما من مصر أو الشام، وكان هذا طبيعياً فهذه القبائل تجد في أعمال قطع الطريق الوسيلة الوحيدة لجني المال والحصول على السلاح والمؤن المختلفة من قوافل الحجيج وقتها.

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن الدولة العثمانية كانت تخصص بعض الأموال للفرق العسكرية التي كانت تحافظ على أمن الحجيج من اعتداءات البدو ومن ذلك راتب سردار مستحفظان والذي خصص له مبلغ 160 بارة[0]. ولقد كانت هناك كتائب تحافظ على أمن الحج أيضاً تسمى بـ (بلوكات محافظين حجاج) خصص لها 5.120 بارة[54]، ولقد كانت هناك فرق للعسكر تسمى بعسكر المتفرقة داخل مكة المكرمة لحماية الناس، خصص لهم 4.320 بارة، لعدد ثلاثة أفراد[55]. أما عن العربان الذي كانوا محور الحديث بهذا المبحث فكما نعلم فلقد كانوا يعيشون على ما تخصصه لهم الدولة العثمانية من مخصصات مالية لكي تتقي شرهم ولكي يحمي بذلك قوافل الحجاج من اعتداءاتهم المتكررة عليهم فمن ذلك أنه خصص لأصحاب درك بين النصرين 1.600 بارة وأصحاب عجرود وسطح العقبة 8.200 بارة وأصحاب درك اسطبل عنتر 2.000 بارة، وأصحاب درك منزل عقبة 5000 بارة[56]، ومن السردار جماعة التفكيجان والتي خصص لها 1.770 بارة[0]، وكذلك العسكر بداخل مكة المكرمة فقد كان هناك عسكر المعلى وقد خصص لها 4.860 بارة[0]. ولقد كانت الدولة العثمانية ترسل خطابات تشريفية إلى أمير مكة المكرمة بشكل سنوي يتضمن عدة أمور منها الاعتراف بشرافة شريف مكة المكرمة، والاهتمام بالحجاج بتوفير الخدمات لهم، وكذلك الخلع والكسوة الزاهرة من السمور الخديوية التي كانت ترسل لشريف مكة المكرمة، ومن ذلك ما جاء في أوائل رجب لعام 1175هـ/28 يناير 1762م والتي حثت الشريف على استقبال وفد الحج الشامي حيث جاء في نصها : " بعون الله هذا العام يتحرك والي الشام وأمير الحج الوزير عثمان باشا أدام الله جلاله إلى مكة المكرمة وهم في الطريق مع حجاج البيت العتيق ويعمل ليلاً ونهاراً على حفظ وحراسة حجاج المسلمين في مدائن صالح والتعاون لحماية الحجاج من تعديات البدو وأشقياء العربان وإظهار الهمة بالتعاون مع محافظ جدة الوزير علي باشا أدام الله جلاله ... إلخ"[57]. وقد تنوعت صور اعتداءات البدو على قوافل الحج نذكر منها ما حدث في 10 رجب لعام 1174هـ/14 فبراير 1761م حينما قام بعض العربان من قبيلة حرب الكائنين بالجديدة بوادي الصفراء إذ قامت هذه القبيلة بالإكثار من اعتداءاتها المستمرة على قوافل الحجيج مما جعل قضاة الحرمين الشريفين يحررون عريضة لشيخ الإسلام لينظر في شأنهم، ولقد كان رد شيخ الإسلام بشأنهم : " هذه فتوى في حق قبيلة بني حرب الذين ارتدوا عن الإسلام ويستحقون القتل وهذه الفتوى أرسلت إلى أمير مكة المكرمة وإلى المدينة

المنورة ... إلخ"[58].

كانت الدولة العثمانية حريصة على إرضاء العربان حتى لا يكثروا من اعتداءاتهم، لذلك صدر أمر سلطاني في 23 من ذي الحجة لعام 1177هـ/22 يونيو 1764م، برفقة هذا الأمر من السلطان مبلغ 50 ألف قرش من أموال طرابلس الشام مع أمين الصرة الهمايونية الحاج حسين آغا، إلى حضرة الشريف مساعد بن سعيد أمير مكة المكرمة وذلك لإنهاء المنازعات السابقة بين الحجاج المصريين وبين عربان حرب، وقد تم إخراج المبلغ المذكور من أموال قلعة الشام ديناً على أن يتم دفعها فيما بعد من أموال مقاطعات طرابلس الشام احتساباً على مصاريف عام 1176هـ/1762م[59].

ومن أوجه اهتمام الدولة العثمانية بتوفير الأمن والسلامة لمن يرد إلى أمير مكة المكرمة ما جاء في نص الوثيقة المؤرخة في أواسط صفر لعام 1187هـ/6 مايو 1773م: " في هذه الدفعة ورد إلى دار السعادة أمير مكة المكرمة السيد علي من السادة الكرام وفي رجعته صدر الأمر الشريف القاضي بمزيد العناية والاهتمام بالمحافظة عليه. فعندما يصل الموصى إليه إلى أي قضاء تحت إدارتكم ومعه هذا الأمر الشريف ليكن مباته في مكان آمن، ومحفوظ في أثناء الليل، ويسافر بالنهار بحراسة الرجال بقدر الكفاية، وفي تنقلاته من قضاء إلى آخر ... إلخ"[60].

لقد كانت الدولة العثمانية تشدد على شريف مكة المكرمة بضرورة توفير الأمن لمرتادي مكة المكرمة وقد ظهر ذلك جلياً من خلال إحدى الرسائل المعتاد إرسالها من السلطان لشريف مكة المكرمة، ومن ذلك ما حدث في 15 من شهر ربيع الأول لعام 1185هـ/27 يونيو 1771م، التي طلب فيها السلطان من الشريف توفير الأمن والأمان للحجاج والزوار والأهالي وحث المشايخ والعربان ورؤساء القبائل على الدخول في طاعة الدولة[61].

كانت مصر ترسل مجموعة من الجنود ليقوموا بحماية حجاج بيت الله الحرام داخل مكة المكرمة، ومنذ فترة من الزمن انقطع هؤلاء الجنود من مصر لهذا الغرض، فأصبح الأهالي والمجاورون يعانون من قلة الأمن، لذلك تقدم الأهالي لولاة مصر بضرورة تعيين مجموعة من الجنود كما كان بالسابق لحماية مكة المكرمة، لذلك جاء في نص الوثيقة المؤرخة في 30 ربيع الآخر لعام 1187هـ/19 يوليو 1773ممطالبة من السلطان للعناية بتوفير الأمن والراحة لأهل مكة المكرمة : "... وليكن في علمكم أن أمن وراحة الأهالي والمجاورين والزوار مطلب سلطاني، ولهذا عليكم السعي والاجتهاد في إخراج الجنود الجداوية المذكورين كل عام وإرسالهم ... إلخ"().

وفي أواسط رجب لعام 1187هـ/30 سبتمبر 1773م، كما أشرنا في السابق لخطاب التشريفات للشريف مساعد والذي برفقته العناية بتوفير الراحة والأمن للحجاج، أُرسل خطاب أمر التشريفات للشريف سرور بن مساعد من السلطان بعد مقدمات التهنئة والتي وجهها السلطان له، طالبه بضرورة حفظ وحراسة الحجاج المسلمين القادمين إلى مكة المكرمة من الأشقياء وقطاع الطرق ومن تعديات البدو وأشقياء العربان، وإظهار التعاون بينه وبين وزير جدة عمر باشا للسعي على خدمة الحجاج كما هو معتاد في كل سنة[62].

الخاتمة:

يتضح لنا من السابق ذكره خلال هذه الدراسة أن هناك اضطرابات قد صاحبت مالية مكة المكرمة خلال فترة عهد السلطان مصطفى الثالث خلال مدة الدراسة المشار اليها ، وقد كانت هذه الاضطرابات متنوعة ما بين السياسية والمتمثلة في أوضاع مكة المكرمة داخلياً فصراع الاشرف على منصب الشرافة شكل إحدى هذه الاضطرابات فكثرتها أدت إلى تأخر صرف هذه المخصصات ، وفي نفس الوقت انتقل هذا الصراع السياسي إلى مصر كونها المصدر الثاني من مصادر دخل مالية مكة المكرمة من خلال ارسالها ما يسمى بالخزينة الارسالية بعد الصرة المالية التي كانت تأتي من إسطنبول ، حيث كان الولاة المماليك في صراع مع الدولة العثمانية ، وهذا بدوره ايضاً شكل عائق ، ايضاً كان للعنصر الاقتصادي دور بارز في هذه الاضطرابات فالمسؤولين عن ارسال الأموال إلى مكة المكرمة وخصوصاً الولاة كان بينهم فساد واختلاس لهذه الأموال ، وكانت الوثائق قد وضحت لنا هذه الفساد ، كما كان فيضان النيل دوره ايضاً في حدوث هذا الاضطراب إذ أخر إرسال الأموال العينية المتمثلة في الحنطة من الأرز والشعير والذرة ، كما اسهم ذلك بدوره في زيادة الأسعار وحدوث المجاعات في بعض الأحيان ، ومن الاضطرابات التي نختم بها الأوضاع الأمنية في طريق الحج كانت تعديات العربان تشكل احد هذه العوائق ، نظراً لعدم وجود دخل لهذه العربان ، فكان لابد للدولة العثمانية من التدخل لوقف التعديات من قبلهم ، بتخصيص لهم مجموعة من الأموال لكي يأمن طريق الحج في المستقبل من تعدياتهم .

النتائج:

من أهم النتائج التي خصلت اليها الدراسة :

- التعرف على أبرز ملامح الاوضاع التي صاحبت فترة ارسال مالية مكة المكرمة خلال العهد العثماني .
- تحديد نوع الصعوبات التي واجهت مالية مكة المكرمة من سياسية أو اقتصادية أو امنية .
- التعرف على حجم المخصصات ونوعها التي أرسلة إلى مكة المكرمة سواء نقدية أو عينية .

التوصيات :

ولعنا نخرج بمجموعة من التوصيات من هذه الدراسة وهي كالتالي :

- تكثيف الدراسات حول تاريخ مكة المكرمة مصحوبة بالوثائق التي تبين ابرز الاحداث بها .
- التنقيب عن التاريخ المكي وخصوصاً بالقرن الثاني عشر الهجري المليء بالأحداث المهمة .
- تزويد الباحثين بسلسلة من الوثائق التي تبين حج هذه المخصصات من زيارة الأرشيف العثماني.

الهوامش:

(1) محمد علي بيومي، مرجع سبق ذكره، ص 439.

(2) الأرشيف العثماني، تصنيف علي أميري، رقم 1/3618، مؤرخة في أوائل شعبان 1171هـ/12 أبريل 1758م، بشأن إرسال الشريف مساعد المجرمين المنفيين إلى مصر بسبب الشغب الذي أثاروه بمكة المكرمة.

(3) دارة الملك عبدالعزيز ، تصنيف C.DAH ، رقم :10205 ، مؤرخة في أواخر جمادى الاخر 1172هـ/25 فبراير 1759م ، بشأن منح شريف مكة المكرمة الخلع والقوب من السلطان العثماني .

(4) الغازي عبدالله الحنفي المكي، **إفادة الأنام بذكر أخبار البلد الحرام**، تحقيق: عبدالملك بن دهيش، الطبعة الأولى، المجلد الثالث، 1430هـ/2000م، مكتبة الملك فهد الوطنية، ص 633.

(5) الأرشيف العثماني، تصنيف علي أميري، رقم 1/5231، مؤرخة في 25 جمادى الأولى لعام 1173هـ/13 يناير 1760م، بشأن تجاوزات والي الشام عبدالله باشا على أهالي الحجاز.

(6) دحلان أحمد زيني، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، الطبعة الأولى، 1397هـ/1977م، مكتبة الكليات، ص 197.

(7) دارة الملك عبدالعزيز، تصنيف C.DH، رقم 6288، مؤرخة في 4 شوال لعام 1173هـ/16 مايو 1760م، بشأن التحري عن أحوال الشريف مساعد بن سعيد في إدارة شؤون مكة المكرمة.

(8) أحمد بن سعيد: هو أحمد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي، تولى من عام (1195-1184هـ/1781-1770م)، مدة حكمة كانت سنتين، وقعت في عهده عدداً من الحوادث لعل أبرزها وصول الجردة المصرية والتي كانت بقيادة محمد بك أبو الذهب ووقع بينه وبين ابن أخيه الشريف سرور بن مساعد أكثر من 15 موقعة عسكرية انتهت بوضع الشريف أحمد بن سعيد بالسجن حتى توفي في عشرين من شهر ربيع الآخر سنة 1195هـ ينظر إلى تاريخ = أمراء مكة المكرمة، عارف عبدالغني، ص815، ويرجع أيضاً إلى أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني، إسماعيل حقي جارشلي، ص- ص 186-185م، ويرجع إلى تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام، عبدالفتاح راوه، ص 324، ويرجع إلى خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، أحمد دحلان، ص 215.

(9) عبدالفتاح راوه، تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام، 1407هـ/1986م، مكتبة المعارف، ص 319.

(10) دارة الملك عبدالعزيز، تصنيف C.EVK، رقم 629/31745 مؤرخة في 28 ربيع الأول لعام 1176هـ/16 أكتوبر 1762م، بشأن معاقبة الأشراف الذين يتعدون على الحجاج.

(11) الأرشيف العثماني، تصنيف جودت، رقم 1/6744، مؤرخة في أوائل جمادى الآخر 1179هـ/17 نوفمبر 1765م، بشأن منع بعض الأشراف من الورود للأستانة دون إذن من أمير مكة المكرمة.

(12) **عبدالله بن الحسين :** هو عبدالله بن حسين بن يحيى بن بركات وهو من ذوي بركات وذوي زيد حكم فقط ثلاثة أشهر من تاريخه (1884هـ/1770م)، ينظر: جارشلي، إسماعيل حقي، تاريخ أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني، ترجمة خليل مراد، ص 187.

(13) إسماعيل حقي جارشلي، مرجع سبق ذكره، ص 185.

(14) دارة الملك عبدالعزيز، تصنيف C.DAH، رقم 308/15400، مؤرخة في أوائل ربيع الآخر 1183هـ/6 أغسطس 1769م، بشأن النزاع بين الشريف مساعد بن سعيد والشريف عبدالله بن الحسن بشأن الإمارة.

(15) لي بك: أحد حكام مصر تولى من عام (1187-1183هـ/1773-1769م)، ولد في سنة 1728م ببلاد الأباظة في القوقاز، وأن والده كان أحد قساوسة الكنيسة اليونانية وأنه أُسر في إحدى الغابات وجيء به إلى الإسكندرية حيث بيع كمملوك لمديري جمركها في سنة 1743م، وقدماه هدية إلى إبراهيم بك جاويش الإنكشارية، وبدأت بعد ذلك مرحلة التعليم والتدريب مثله كمثل أي مملوك، تفوق على رفاقه في ركوب الخيل واللعب بالجريد وضرب السيف والطعن واستخدام الأسلحة النارية لدرجة أنهم أطلقوا عليه لقب جني علي وكانت مدة حكمة 5 سنوات، ينظر: يحيى، جلال، مصر الحديثة، ، ص 234.

(16) حسام عبدالمعطي، مرجع سبق ذكره، ص 37.

(17) عبدالرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج3، تحقيق حسن جوهر وعمر الدسوقي والسيد إبراهيم، الطبعة الأولى، 1964م، لجنة البيان للنشر، ص – ص: 6-5.

(18) **حسن بك شبكة:** (1188-1183هـ/1774-1769م)، كان أحد ولاة جدة وقعت في عهده عدد من الحوادث لعل أبرزها إرسال علي بك الكبير حملته على الحجاز سنة 1184هـ/1769م حيث عين من جهة مصر، حيث ذهب أبو الذهب لمصر بعد انتهاء الحملة المصرية على الحجاز وعينه بدلاً عنه على ولاية جدة، وقد حدثت من هذا الوالي بعض التدخلات في شؤون أمير مكة المكرمة وقتها الشريف أحمد بن سعيد مما جعل الشريف لرسل له جيشاً يزيد عن 4000 مقاتل يطلب منه الاستسلام أو القتال ولكنه رفض الاستسلام مما أدى إلى دخول قوات الشريف أحمد لجدة وقتلوا عدداً من الأتراك، وأما الوالي حسن شبكة فقد هرب من أحد أبواب جدة ومنها إلى مصر، وكانت مدة ولايته 5 سنوات. ينظر: الأنصاري، عبدالقدوس، موسوعة تاريخ مدينة جدة، ص- ص : 319، 320.

(19) عبدالله غازي المكي، مصدر سبق ذكره، ص - ص 648-647

(20) أحمد زيني دحلان، مصدر سبق ذكره، ص 205.

(21) أحمد زيني دحلان، مصدر سبق ذكره، ص 206.

(22) دارة الملك عبدالعزيز، تصنيف C.DH، رقم 75/3731، مؤرخة في أواخر ربيع الآخر لعام 1187هـ/18 يوليو 1773م، بشأن تجاوزات الشريف أحمد بن سعيد وتدخله في شؤون ولاية جدة.

(23) **الشريف سرور بن مساعد:** تولى من عام (1203-1186هـ/1788-1773م)، مدة حكمة 15 سنة ونصف أمضى الشريف سرور السنوات السبع التي أعقبت توليه الإمارة في صراع مع عمه الشريف أحمد بن سعيد في أكثر من 15 موقعة حُسمت لصالح الشريف سرور واستتب الأمن

بالبلاد في عهده طيلة فترة حكمة بمكة المكرمة، يرجع إلى **أمراء مكة المكرمة في العصر العثماني**، إسماعيل حقي جارشلي، ص 191، ويرجع إلى **تاريخ أمراء مكة المكرمة**، عارف عبدالغني، ص 815، ويرجع أيضاً إلى **تاريخ أمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام**، عبدالفتاح راوه، ص 326.

(24) عبدالفتاح راوه، مرجع سبق ذكره، ص 324.

(25) **الفاسي**، أبي الطيب تقي الدين، **شفا الغرام بأخبار البلد الحرام**، ج2، مكتبة النهضة للنشر، تحقيق أصوله وعلق حواشيه لجنة من كبار العلماء والأدباء، طبع بدار أجياد الكتب العربية، عيسى البابسي، 1956م ، ص - ص 310، 311.

(26) الأرشيف العثماني، تصنيف جودت عدلية، رقم 5721/1، مؤرخ في 10 رجب لعام 1174هـ/14 فبراير 1761م، بشأن اعتداءات قبيلة حرب على قوافل الحج.

(27) الهاشمي، عبدالمنعم، الخلافة العثمانية، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م، بيروت، ص 396.

(28) شيخ البلد: كان بمثابة وسيط أو ضابط اتصال بالتعبير الحديث بين الملتزم وأهل القرية ويبلغهم أوامر الملتزم ويعرض عليه طلباتهم وكان يقوم بالإشراف على الأراضي ويراقب تصرفات الأهالي واتجاهاتهم وتحركاتهم إذا فكروا في ترك الأرض التي يعملون في فلاحتها أو فكروا في الهجرة كليةً من القرية، وكان شيخ البلد يعين من أهل البلدة ويختار من بين العائلات العريقة الثرية وكان يعتبر رئيس الموظفين المحليين في القرية ويحل محل الملتزم في أثناء غيابه، ولذلك كان يطلق عليه لقب «قائمقام» = وكان يوفر الأمن للفلاحين الذين يزرعون الأرض في منطقة الالتزام. ينظر: الشناوي، عبدالعزيز محمد، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ص- ص : 131، 132.

(29) فرج فؤاد ، القاهرة، ، ج3، دار المعارف للنشر ،القاهرة، ص 489.

(30) **الالتزام:** فهو من الأنظمة التي طبقتها الدولة العثمانية في الأقاليم أو المناطق التي لم تخضع لنظام الاقطاع العسكري، والجدير بالذكر أن الدولة العثمانية لم تبتكر نظام الالتزام فقد وجدته معمولاً به في بعض الأقاليم التي خضعت لها سواءً في الأناضول أو البلقان أو في شمال العراق، ولما فشل نظام المقاطعات أو الأمانات في المقاطعات أو الأمانات في مصر وأسفر تطبيقه عن عيوب كثيرة، رأت الدولة العثمانية أن تستبدل بهذا النظام نظاماً آخر هو نظام الالتزام، وبمقتضى نظام الالتزام كانت الدولة تعهد بعد إجراءات معينة إلى شخص من ذوي النفوذ والثراء في العادة بجباية الضرائب المربوطة على الأراضي الزراعية والمقررة على الفلاحين في قرية أو أكثر من قرية لمدة زمنية محددة أول الأمر، وكان يطلق على هذا الشخص «الملتزم» وكان عليه قبل أن يباشر عمله كملتزم أن يدفع مبلغ من المال يعادل ضريبة سنة من الضرائب المقررة على المنطقة التي يمارس فيها اختصاصاته، وكانت هذه المنطقة تسمى (دائرة الالتزام). ينظر: الشناوي، عبدالعزيز محمد، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ص- ص : 125، 126.

(31) الجبرتي عبدالرحمن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج1، تحقيق عبدالعزيز جمال الدين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص 18.

(32) زيدان جُرجي، **مصر العثمانية**، هنداوي للنشر، القاهرة، 2012م، ص 125.

(33) محمد علي بيومي، مرجع سبق ذكره، ص ص 417-416.

(34) علي باشا مبارك، سلسلة الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة، ج13، مكتبة الأسرة، 2008م، ص ص 56-55.

(35) عبدالرحمن الجبرتي، مصدر سبق ذكره،ج1، ص – ص : 22-18.

(63) المباشر: كان بمثابة وكيل القائمقام ويباشر اختصاصاته وصلاحياته حين يسافر القائمقام إلى القاهرة لمقابلة الملتزم. وكان من اختصاصاته قيد كل ما يدفعه فلاحوا الالتزام بالتفصيل في سجل خاص به. ينظر: الشناوي، عبدالعزيز محمد، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ص 331.

(37) الأرشيف العثماني، تصنيف جودت، رقم 1/7761، بدون تاريخ، بشأن خلاصة الأقجات المحصلة في ذمة والي جدة الوزير سعد الدين باشا من مال جمرك جدة.

(38) دارة الملك عبدالعزيز، تصنيف C.EVK، رقم 24328، مؤرخة في أوائل جمادى الأولى 1172هـ/2 يناير 1759م، بشأن طرد الشاب الذي يدير عين حُنين وعرفات بمكة المكرمة.

(39) دارة الملك عبدالعزيز، تصنيف C.EVK، رقم 615/31020، مؤرخة في أواسط جمادى الآخر 1175هـ/9 يناير 1762م، بشأن دفاتر الصرة وتوزيعها على أهالي مكة المكرمة والمدينة المنورة..

(40) دارة الملك عبدالعزيز، تصنيف C.EVK، رقم 18/858 مؤرخة في 15 رجب 1175هـ/8 فبراير 1762م، بشأن تحصيل المستحقات الخاصة بالحرمين الشريفين من أموال وأوقاف حلب.

(41) الأرشيف العثماني، تصنيف جودت، رقم 1/31744، مؤرخة في 28 ربيع الأول 1176هـ/15 نوفمبر 1762م، بشأن خلاصة المادة من التحريرات الواردة من حضرة الشريف بيد سلاح دار.

(42) الأرشيف العثماني، تصنيف جودت رقم 1/6957، مؤرخة في 13 رمضان لعام 1178هـ/5 مارس 1765م، مصدر سبق ذكره.

(43) الأرشيف العثماني، تصنيف جودت بلدية، رقم 1/2229، مؤرخة في أواخر صفر 1178هـ/27 أغسطس 1764م، مصدر سبق ذكره؛ وثيقة رقم 2/67، تصنيف C.NF مؤرخة في 17 شوال 1178هـ/8 أبريل 1765م؛ وثيقة رقم 27065، تصنيف KC.EV، مؤرخة في أوائل ربيع الآخر 1186هـ/4 يوليو 1772م، مصدر سبق ذكره.

(44) الأرشيف العثماني، تصنيف علي أميري، رقم 1/8160، مؤرخة في أواخر رمضان لعام 1179هـ/10 مارس 1766م، مصدر سبق ذكره.

(45) **العلوفة:** كلمة عربية وهي المواد الغذائية اللازمة للإنسان والحيوان والراتب، وفي المحاسن اليوسفية: «فوقع العسكر على جمع عظيم قد خرجوا بطلب العلوفة فأغاروا عليهم ... إلخ»، وهي في الإدارة العثمانية الراتب للعسكريين والمدنيين وكانت العلوفة تحسب على أساس الأجر

اليومي، ويعطاها الإنكشارية مرة كل ثلاثة أشهر هجرية، وهي نظير المواجب، وفي الجبرتي: «فلما رأى طائفة العرب تطاول الأمر وعدم التوصل إلى القلعة وامتناع من فيها وضرب المدافع عليهم ليلاً ونهاراً أجمع رأيهم على أن يولوا كتخدا علي الينكيجرية ويجلسوه بباب الوالي بطائفه من العسكر وينادوا في الشوارع بأن كل من كانت له علوفة في وجاقات مستحفظان يأتي تحت البيرق بالبوابة، ومن لم يأت بعد ثلاثة أيام ينهب بيته ففعلوا ذلك. ينظر: سليمان، أحمد السعيد، تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، ص 152.

(46) الأرشيف العثماني، تصنيف جودت داخلية، وثيقة رقم 1/4680، مؤرخة في 22 ذي الحجة لعام 1187هـ/5 مارس 1774م، بشأن قطع والي جدة عمر باشا العلوفات عن أهالي مكة المكرمة.

(47) السيوطي الحافظ جلال الدين، **حسن المحاظرة في تاريخ مصر والقاهرة**، ج2، تحقيق محمد أبو الفضل، 1418هـ/1998م، دار الفكر العربي للنشر، ص 317.

(48) **علي باشا السلحدار:** أحد الوزراء اللذين قدموا إلى مصر في العاشر من شهر صفر سنة 1010هـ/1601م فاستمر والياً بها إلى السادس من شهر ربيع الثاني سنة 1013هـ/1604م، وكانت مدة ولايته سنتين وشهرين وعشرين يوماً، وكان شجاعاً سفاكاً لدماء المفسدين، وكان في زمن الغلاء العظيم وسبب ذلك قلة وفاء النيل بحيث أن أمين الحسبة أوقف مجموعة من الناس على الأفران يمنعون الناس من خطف = العجين، فكان علي باشا أخر من ولاة السلطان محمد بن مراد وكان أول من ولي على مصر في دولة السلطان أحمد. ينظر: الحنفي، أحمد شلبي عبدالغني، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر من الوزراء والباشات، ص - ص : 127، 128.

(49) أحمد شلبي عبدالغني، مصدر سبق ذكره، ص ص 10-9-.

(50) سماعيل باشا: من عام 1109-1107هـ/1697-1695م، قدم إلى مصر عن طريق البر منفصلاً عن تولية دمشق الشام عمرها الله بالذكر والتوحيد ما أن جلس عن الحكم حتى أن بدأ الناس بالبكاء فسأل عن هذا السبب فاتضح أنه من الغلاء بالأسعار والكرب الشديد حول إجراء العديد من الاصلاحات مثل تغيير بعض أسعار العملة بالبلاد محاولة منه لإصلاحات أحوال الناس بمصر. ينظر: الحنفي، أحمد شلبي عبدالغني، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر من الوزراء والباشات، ص – ص : 197، 198.

(51) أحمد شلبي عبدالغني، مصدر سبق ذكره، ص 11.

(52) لآغا: كلمة تركية من المصدر أغمق ومعناها الكبر وتقدم السن وقيل: أنها من الكلمة الفارسية (أقا) وجرى العرب على إضافة تاء إليها إذاً وقعت مضافاً تطلق في التركية على الرئيس والقائد وشيخ القبيلة وعلى الخادم الخص الذي يؤذن له بدخول غرف النساء، ينظر: سليان، أحمد السعيد، تأصيل ما رد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، ص 17.

(53) أحمد شلبي عبدالغني، مصدر سبق ذكره، ص ص 0-8.

(54) محمد علي بيومي، مرجع سبق ذكره، ص 426.

(55) **حمزة باشا:** « 1094-1091هـ/1683-1680م» هو أحد الوزراء الذين قدموا إلى مصر فأقام بها والياً إلى أن عزل فكانت مدة ولايته أربع سنوات. ينظر: الحنفي، أحمد شلبي عبدالغني، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر من الوزراء والباشات، ص ص 178-177.

(56) الأرشيف العثماني، تصنيف علي أميري، رقم 1/8160، مؤرخة في أواخر رمضان 1179هـ/10 مارس 1766م، مصدر سبق ذكره.

(57) عبدالمنعم إيمان، العربان ودورهم في المجتمع المصري في أوائل منتصف القرن التاسع عشر، 1997م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص - ص : 20-19.

(58) العياشي، ماء الموائد المعروف بالرحلة العياشية، ج2، طبع حجر بفاسي المؤدب، 1316هـ/1898م، ص 172.

(59) دار الوثائق القومية، الروزنامة، الديوان العالي، سجل الصرة الرومية، رقم 5587، سنة 1171هـ/1757م.

(60) دار الوثائق القومية، الروزنامة، الديوان العالي، سجل الصرة الرومية، رقم 5602، سنة 1173هـ/1759م.

(61) دار الوثائق القومية، الروزنامة، الديوان العالي، سجل الصرة الرومية، رقم 5323، سنة 1173هـ/1759م.

(62) دار الوثائق القومية، الروزنامة، الديوان العالي، سجل الصرة الرومية، رقم 5428، سنة 1176هـ/1762م.

(63) دار الوثائق القومية، الروزنامة، الديوان العالي، سجل الصرة الرومية رقم 5323، سنة 1184هـ/1770م.

(64) المصدر السابق.

(65) لأرشيف العثماني، تصنيف علي أميري، رقم 1/23955، مؤرخة في أوائل رجب لعام 1175هـ/28 يناير 1762م، بشأن قرار سلطاني للشريف مكة المكرمة باستقبال وفد الحج الشامي وحمايته من قطاع الطرق أثناء وصوله.

(66) الأرشيف العثماني، تصنيف جودت عدلية، رقم 1/5721، مؤرخة في 10 رجب 1174هـ/14 فبراير 1761م، مصدر سبق ذكره.

(67) دارة الملك عبدالعزيز، تصنيف C.EVK، 526272/520 مؤرخة في 23 ذي الحجة لعام 1177هـ/22 يونيو 1764م، بشأن صرف مبلغ 50 ألف قرش لسد الخلاف بين الحجاج المصريين وبين عربان حرب.

(68) الأرشيف العثماني، تصنيف علي أميري، رقم 2/6641، مؤرخة في أواسط صفر 1187هـ/6 مايو 1773م، بشأن توفير الحماية لحجاج الشام القادمين من مكة المكرمة.

(69) دارة الملك عبدالعزيز، تصنيف C.DAH، 410/9 مؤرخة في 15 ربيع الأول لعام 1185هـ/27 يونيو 1771م، بشأن حث شريف مكة المكرمة على توفير الراحة والسلامة أثناء تنقلات أتباع شريف مكة المكرمة.

(70) دارة الملك عبدالعزيز، تصنيف C.ZB، رقم 39/1923، مؤرخة في 30 ربيع الآخر لعام 1187هـ/19 يوليو 1773م، بشأن إرسال جنود مصريين لتوفير الأمن داخل مكة المكرمة.

أمهات الخلفاء العباسيين وأثرهن على ولاية العهد
(132 -334هـ/ 750- 945م)
(دراسة تاريخية)

أ. سعد بن عيسى حسين المزيني
طالب دكتوراه - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبدالعزيز - المملكة العربية السعودية

مستخلص:

في العصر العباسي لعبت أمهات الخلفاء العباسيين وتنافسن وشاركن في صنع القرار السياسي والتدخل لمصلحة ترشيح أحد أبنائها ودعمه لتولي منصب ولي العهد تمهيدا لتوليه خلافة الدولة، مما أوجد توترا ومشاحنات داخل البلاط، أفضى أحيانا إلى صدام مسلح بين مكونات المجتمع، فأزهقت الأنفس وأفرغت الخزينة، ومن هنا اكتسبت مشاركة أمهات الخلفاء في تسمية ولي العهد أهمية كبرى كإحدى القضايا التي أشغلت جانبا هاما من سياسة الدولة العباسية، فأحيانا كان يتولى العهد واحد أو اثنان وربما ثلاثة الأمر الذي يفتح الباب على مصراعيه للصراع بين المرشحين أيهم يظفر بالمنصب ويمنع غيره الإقصاء وربما القتل، كما تتمثل أهمية هذه الدراسة بأنها محاولة لفهم الأدوار السياسية لبعض أمهات الخلفاء العباسيين النابهات وآثارهن السياسية في الدولة وصنع القرار؛ وما تبع ذلك من نزاع بين المتنفذين من الساسة حول منصب ولي العهد وما ترتب عليه من آثار أدت إلى ضعف مؤسسة الخلافة وفقدان هيبة الدولة، ولقد اتبع الباحث المنهج التاريخي العلمي القائم على جمع المعلومات من مصادرها، ومن ثم تحليلها ومناقشتها وصياغتها وفق الأسلوب العلمي مراعيا التسلسل الزمني، والجواب على ما يقد يشكل أحيانا وفق منهج منضبط.

كلمات مفتاحية: الدولة العباسية، سياسة العباسيين، ولاية العهد، أمهات خلفاء بني العباس، سيدات البلاط العباسي

The Mothers of the Abbasid Caliphs and Their Influence on the Crown Prince (132-334AH/750-945AD)
(historical study)

A.SAAD ISSA HUSSAIN AL-MOZAINI

Abstract:

In the Abbasid era, the mothers of the caliphs played, competed, and participated in political decision-making and intervened in favor of nominating one of their sons and supporting him to assume the position of crown prince in preparation for his assuming the succession of the state, which created tension and quarrels within the court, which sometimes led to an armed clash between the components of society, destroying lives and emptying the treasury, and from here. The participation of the mothers of the caliphs in naming the crown prince gained great importance as one of the issues that occupied an important aspect

of the policy of the Abbasid state. Sometimes one or two or perhaps three assumed the reign, which opened the door wide to conflict between the candidates as to which of them would win the position and prevent others from being excluded and possibly killed, as represented by The importance of this study is that it is an attempt to understand the political roles of some of the brilliant mothers of the Abbasid caliphs and their political effects on the state and decision-making. The ensuing conflict between influential politicians over the position of the Crown Prince and its resulting effects led to the weakness of the institution of the Caliphate and the loss of the prestige of the state. The researcher followed the scientific historical method based on collecting information from its sources, then analyzing, discussing, and formulating it according to the scientific method, considering the chronology, and answering what is sometimes presented according to a disciplined approach.

Key Terms: The Abbasid State, Abbasid Policy, Crown Prince, Mothers of the Abbasid Caliphs, Abbasid Court Ladies.

مقدمة:

منذ فجر الإسلام وللمرأة دور مهم في الحياة العامة وحيز لابأس به على خلاف ما كان شائعا في العصر الجاهلي، فقد لمعت أسماء عديدة وإن كان على نطاق ضيق، لعل أبرزها في مجال الشعر جريا على ما كان سائدا في الشعر الجاهلي فقد ورد ذكر أعداد من النساء تناول الشعراء ذكرهن، أما على صعيد النثر الأدبي (تحديدا) فإن المصادر التاريخية لم تسعفنا إلا بحيز بسيط جدا من سير النساء جاء على شكل محاورات بين شخصيات عربية، أو تلك الوصايا التي يزود بها أحد الوالدين بناتهم في مناسبات شتى، لذلك كانت دائرة المؤلفات الخاصة بالجانب النسائي قاصرة عن الإحاطة بجميع قضايا المرأة وتفاصيل حياتها الخاصة، أو نقل ورصد وتدوين أخبارها، مما انعكس على وفرة المعلومات المتاحة والمعرفة بأحوال السيدات الفضليات والنساء اللواتي كان لهن آثر أو شاركن في صنع جانب من التاريخ ومشاركة الأحداث السياسية في تاريخنا العربي، وعموما في الدولة العباسية على وجه التحديد[1] انعكس هذا سلبا على وفرة المعلومات حول طائفة كبيرة من سيدات البلاط العباسي اللواتي عرفن، فبالرغم من شهرتهن إلا أن المعلومات التفصيلية تكاد تكون شحيحة إلى حد أنه لا يعلم عدد زوجات بعض الخلفاء (الخليفة أبي جعفر المنصور مثلا) أو أن تخفى طبيعة العلاقة بين سيدتين عظيمتين في البلاط العباسي وهما (الخيزران وزبيدة) أو عدم القطع حول صحة اسم السيدة زبيدة بالضبط، إلى غير ذلك، ولعل من أسباب نقص المعلومة حول نساء وحرم الخلفاء، هو ما وضعه بعض الخلفاء من قيود صارمة على الحريم وعدم اتصالهن بالمجتمع وتعرضهن للرجال حتى وإن كانوا خدما متى كانوا عربا! ففي تاريخ الرسل والملوك محادثة الخليفة المنصور مع أحد خصيان قصره فسأله قائلا: «ما جنسك؟ قال: عربي يا أمير المؤمنين، قال ومن أي العرب أنت؟ قال من خولان، سبيت من اليمن فأخذني

عدو لنا فجبني[2] فاسترققت فصرت إلى بعض بني أمية ثم صرت إليك، قال أما إنك نعم الغلام، ولكن لا يدخل قصري عربي ويخدم حرمي، اخرج عافاك الله»[3] بمثل هذا التفكير والممارسات من قبل الخلفاء أوجد تحديا كبيرا للباحثين في الوصول للمعلومة المطلوبة، وتحديا في التأكد من دقة المعلومة وانسجامها مع المعطيات التاريخية حيث تستعرض هذه الورقة البحثية موقف أمهات الخلفاء العباسيين في البلاط العباسي من منصب ولي العهد والأدوار التي لعبنها في ترشيح وإسقاط أولياء العهد وتداول السلطة والتحالفات والتجمعات فيما يشبه الأحزاب السياسية لتدعيم مواقف معينة أو صنع رأي عام تمهيدا للوصول إلى قرار سياسي حاسم.

مؤسس الدولة العباسية:

مؤسس الدولة الخليفة أبو العباس السفاح، كان للمرآة أثر وبصمة واضحة في حياته السياسية على وصوله لمنصب الخلافة، فلما اعتقل إبراهيم الإمام أوصى على خلاف المعتاد عربيا، أن يكون خليفته من بعده هو عبدالله ابن الحارثية[4]، (الأصغر سنا) وليس عبدالله ابن سلامة (الأكبر سنا) وبالطبع كان للمرأة يقصد بها (أم الخليفة) دور هام في تحديد خط سير الخلافة ومن سيرث قيادة الأسرة العباسية عقب أفول شمس الإمام، فالمعمول به في المجتمعات المترابطة أن انتقال السلطة للابن الأكبر ثم الأصغر ولكن في هذه الحالة كان انتقال السلطة بين الأخوة تبعا لحالة وهوية وأصل الأم، فالسفاح أمه حرة عربية فرجحت كفة ولدها، بينما أم المنصور سلامة أم ولد بربرية من الموالي، فقصرت مكانة المنصور بالرغم من تقدمه في العمر أن يتقدم على السفاح الأصغر منه سنا[5]، فتولى السفاح قيادة الأسرة العباسية وأقام الدولة.

أم سلمة بنت يعقوب المخزومي:

أولى الشخصيات النسائية التي لعبت دورا سياسيا في دولة الخلافة هي زوج الخليفة أبو العباس السفاح، أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبدالله المخزومية، هذه المرأة ذات شخصية فريدة يصفها ابن عساكر فيقول: «امرأة حازمة» لما تزوجها السفاح لم تكن بكرا بل كانت قد عصرتها الدنيا وخبرت أحوال الحياة، حيث تذكر المصادر أن أول أزواجها كان عبدالله بن الوليد بن المغيرة المخزومي[6]، ثم مات عنها، ثم تزوجها عبدالعزيز بن الوليد بن عبدالملك الأموي[7]، ومات عنها، وأخيرا تزوجها أبو العباس ولم يتزوج غيرها، ولم يتسر، ومات عنها[8] فهي بالتالي امرأة ليست كبقية النساء في قوة الشخصية والقدرة على إدارة أمور الحياة والتحكم في مجريات الأحداث، قال المسعودي: «وحظيت عنده! وحلف أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى، وغلبت عليه غلبة شديدة حتى ما كان يقطع أمرا إلا بمشورتها وبتأميرها حتى أفضت إليه الخلافة فلم يكن يدنو إلى النساء غيرها لا إلى حرة ولا إلى أمة»[9] ومع تلك الشخصية الفذة، ذات الحضور المتميز، حاولت أن تؤثر على القرار السياسي وتدعم ترشيح ابنها لمنصب ولي عهد والده، وأن يكون خليفة المسلمين القادم (كحال عامة الأمهات وحرصهن على نفع أبنائهن) وحاولت جهدها مع زوجها الخليفة ليتخذ قرارا بتولية ابنها العهد من بعده ودفعت بشدة بهذا الاتجاه، وحاولت بكل طريقة ممكنة للتأثير على زوجها في شأن ولاية العهد واستعانت بإخوتها لدعم موقف ابنها إلا أن الخليفة السفاح رفض المقترح وسجل موقفا فريدا من نوعه، حيث أعرض عن ذلك كله، وخالف رأي زوجته بالرغم من مكانتها مخافة لله من أن تضيع الأمة بتولية من لا يستحق المنصب، جاء عند البلاذري عن السفاح قوله: «ابني حدث فما عذري عند ربي، أخاف

أن يقصر عمر من اجعله قبله فتدركه الخلافة وهو صغير فيصير الأمر إليه قبل أن يستحقه»[10] وهذا الموقف يشرح ويفسر طبيعة العلاقة القائمة بين الخليفة أبو العباس السفاح وزوجه أم سلمة فبالرغم من قوة شخصيتها وتأثيرها الكبير على زوجها الخليفة ومدى تأثره بها، إلا أن ذلك لم يصل إلى شؤون الدولة واتخاذ قرارات يحابي فيها زوجته على حساب الدولة والأمة، فقد كانت العلاقة في حدودها الطبيعية المعتادة بين زوجين، ولم تتجاوز حدود منزل الزوجية، بالرغم من طلبها وإلحاحها المستمر إلا أنه لم يستمع إليها، فقدم مصلحة الأمة والدولة على ميله القلبي ورغبته كوالد بأن ينتقل الملك لابنه كغيره من الخلفاء ويبقى في نسله ويكون الخليفة من بعده ابنه من صلبه، وتلبية لرغبة والدته (زوجته المدللة) وأملها بأن يرث ابنها ملك البلاد والعباد ولو بعد حين قالت: «ولِّ غيره واجعله ثانيا»[11] وحقيقة أن هذه الفكرة راقت لغيره من ذوي الأفق الضيق والطمع الكبير من الملوك والخلفاء الذين جاؤوا من بعده فقدموا مصالحهم الشخصية ورغباتهم بتفضيل أبنائهم على مصلحة الدولة ومصير الدولة، إلا أن أبا العباس السفاح، لم يكن من أولئك على الإطلاق.

أم زوجة الخليفة من الرضاعة:

لايزال الحديث في مرحلة تأسيس الدولة تظهر شخصية متميزة كان لها أثر وتأثير كبير على سير الحياة السياسية وصنع القرار واختيار أولياء العهد ألا وهو الوزير خالد بن برمك[12]، وكذلك النابهين من ذريته من بعده، لقد اشتغلت أسرة البرامكة بخدمة أسرة الحكم العباسية، وعلى رأسهم خالد بن برمك وابنه يحيى وحفيديه الفضل وجعفر وغيرهم يحسنون الدخول على ذوي الجاه والسلطان ويتحينون الفرص، فقد دأب جدهم خالد بالتقرب إلى السفاح كما أنه قارب بين أسرته الخاصة وأسرة مؤسس الدولة عن طريق النساء فقد أرضعت زوجة يحيى البرمكي (ريطة التي تزوجها الخليفة المهدي لاحقا) طفلة أبي العباس السفاح مع ابنة يحيى (واسمها أم يحيى) فصار التقارب متكامل الأركان بين الرجال والنساء، مما مكن لخالد البرمكي أن يتولى للسفاح ديواني الجند والخراج، وبالفعل أثبت اقتدارا وقدم أعمالا جليلة حيث طور أعمال الدولة التسجيل واستبدل الأوراق المنفردة، بالدفاتر والسجلات المترابطة[13] لم يطل عهد السفاح كثيرا حيث فارق الدنيا ولما بعد يتكامل بناء الدولة ويستد ساعدها، ثم جاء عهد الخليفة الثاني وباني الدولة العباسية أبي جعفر المنصور.

أم موسى بنت منصور الحميري:

تولى الخليفة المنصور عقب أخيه السفاح فترة (22عاما) وقد تزوج الخليفة المنصور بعدد من النساء، كما اتخذ الكثير من السراري والإماء، وكان المنصور حاسما في شأن النساء غيورا على محارمه قلما تظهر امرأة من زوجاته للعلن، فلم يكن لهن حضور في الحياة العامة ولا مشاركات سياسية، هكذا كانت سياسته من خلال وصيته لابنه المهدى كما في المصادر[14] ومن الشخصيات النسائية وهي أولى زوجاته السيدة: أم موسى أروى بنت منصور الحميرية[15] لما تزوجها المنصور، اشترط عليه أبوها أن يكون الصداق على العرف القيرواني، وهو أن لا يتزوج عليها، ولا يتسرى، ولا يتخذ أم ولد ولا ينقلها إلا برضاها؛ فإن فعل ذلك بغير اذنها فهي طالق، أنجبت له ابنه الأول جعفر[16] وقد بقي الخليفة على عهده فلم يتزوج بامرأة أخرى أو يتخذ جارية حتى وفاتها سنة (146هـ) قال الطبري: « كان المنصور شرط لأم موسى الحميرية ألا يتزوج عليها ولا يتسرى وكتب عليه بذلك كتابا أكدته وأشهدت عليه شهودا، فعذب بها عشر سنين في

سلطانه، فكان يكتب إلى الفقيه بعد الفقيه من أهل الحجاز يستفتيه، ويُحمل إليه الفقيه من أهل الحجاز وأهل العراق فيعرض عليه الكتاب ليفتيه فيه برخصة، فكانت أم موسى إذا علمت مكانه بادرته فأرسلت إليه بمال جزيل فإذا عرض عليه أبو جعفر الكتاب لم يفته فيه برخصة حتى ماتت»[17] فقد كانت امرأة حازمة متمكنة لم تسمح للخليفة بأن يقترن بأية امرأة أخرى مهما كانت، وحجتها في ذلك الصداق الذي كتب وأشهد عليه، فمهما حاول الخليفة مع الفقهاء لكي يفتوه بالتزوج أو اتخاذ السراري أو التحلل من شرط مهر العقد القيرواني دون جدوى، وبالرغم من ذلك فلم ترصد المصادر التاريخية لها أي حضور سياسي أو مشاركة، بل كان يحرص على عدم مشاركتها في الحياة العامة وينصح بذلك كما جاء في وصيته لابنه المهدي حيث قال: «وإياك أن تدخل النساء في أمرك»[18]هكذا كان تصور الخليفة المنصور أنه يجب إبعاد المرأة عن سياسة الدولة والشأن العام، وبهذا أوصى ابنه وخليفته من بعده محمد المهدي، ولذلك لم نجد أية مشاركات للنساء في عصر الخليفة المنصور، فقد كان الخليفة المنصور شديد الغيرة في شأن «الحرم» ويقصد بها معنيين اثنين، أولهما الموضع أو الحيز والمكان الذي يقع فيه مساكن نساء الخليفة وجواريه، وهذا يشمل والدته (إن وجدت) وزوجاته، ومحظياته وجواريه، وذريته من بنين وبنات، والثاني أن يقصد به سكان تلك المكانة المحرمة على جميع الرجال إلا الخليفة، فتطلق الكلمة ويقصد بها المكان أو يقصد بها قاطنو المكان، ومما قاله الخليفة المنصور «إن الملوك تحمل كل شيء من أصحابها إلا ثلاثة: إفشاء السر، والتعرض للحرمة، والقدح في الملك»[19]

ريطة بنت أبي العباس السفاح:

فترة خلافة محمد المهدي كانت السيدة الأولى هي: ريطة بنت السفاح[20]، نقلت لنا المصادر أنها تسلمت مفاتيح خزائن الدولة من عمها الخليفة أبي جعفر المنصور لما عزم الحج في سفره الأخير وكان المهدي غائبا على رأس الجيش في الري، فاستلمت من عمها جميع مفاتيح الخزائن والمستودعات الظاهرة والخفية وتحملت مسؤوليتها حتى عاد زوجها فأدت المهمة وسلمت الأمانة ونقلت إليه وصايا وتوجيهات والده الخليفة وكيف يتصرف في تلك الخزائن، ومن ثم شهدت مع زوجها الخليفة المهدي فتح تلك الخزائن والمستودعات وكان بعضها يحوى جثثا ورفاتا لقتلى الطالبيين رجالا ونساء وأطفالا، قال الطبري: «لما عزم المنصور على الحج دعا ريطة بنت أبي العباس امرأة المهدي وكان المهدي بالري قبل شخوص أبي جعفر، فأوصاها بما أراد ودفع إلها مفاتيح الخزائن وتقدم إليها وأحلفها ووكد الإيمان ألا تفتح بعض تلك الخزائن ولا تُطلع عليها أحدا إلا المهدي»[21]ويبدو أن هذه السيدة كانت قانعة ليس لها تطلع أو تعلق بالشأن العام وأمور الدولة، فلم ترصد المصادر التاريخية أية مشاركات أو أعمال ذات بال لهذه السيدة، حتى أنها لم تعمل على وراثة أبنائها (علي وعبيدالله)[22] لمنصب ولاية العهد.

الخيزران بنت عطاء الجرشية:

السيدة الخيزران بنت عطاء الجرشية (ت:173هـ/789م) جارية المهدي تسرى بها بمشورة من والده[23] وهي امرأة موفورة العقل ذكية ألمعية بارعة جدا، قد أكسبتها قسوة الحياة حكمة وعلما ووعيا لا مثيل له، بمجرد دخولها بلاط الخلافة فقد أسرت لب الخليفة المنصور، عندما أسمعته ما يحب فاقتنع بأنها تليق بدار الخلافة فأوصى بها لابنه وولي عهده لتكون أما لأبنائه قال: (إنها تصلح للولد) فأنجبت للمهدي

أبنائه الخليفتين الهادي والرشيد، فأعتقها سنة (159هـ)[24] ثم تزوجها تأكيدا لحقها وإعلاما للناس بقدرها حيث بدأت رحلة السلطة، ولقد امتازت الخيزران بقوة الشخصية، وأنها مشاكسة، فربما استطالت على الخليفة المهدي فتمتد يديها عليه بتمزيق ثياب الخليفة وتعامله بالعنف عند غضبها[25] لقد امتازت الخيزران بقوة الشخصية مقابل لين جانب على درجة كبيرة من الخليفة المهدي مما مكن لها الوصول إلى مراكز القوى والتأثير على أجهزة الدولة، بل كانت هي الحاكمة الفعلية غير المتوجة لدولة الخلافة يؤازرها في هذا المسعى أسرة البرامكة على رأسها خالد (وكان ذكيا ألمعيا يوظف كل فرصة للوصول لمقصده مع كرم وحسن تعامل وذكاء فطري) ومن بعده ابنه يحيى الذي سار على خطي أبيه في توثيق عرى التواصل مع بيت الخلافة وأسرة الحكم، ففي بداية عهد الخليفة الرشيد تسلم يحيى البرمكي مقاليد السيادة على دولة الخلافة من الخليفة طواعية (ولا يستبعد أن يكون للخيزران أدوارا خفية لم ترصد) فإن كل أحد يستغرب موقف الخليفة الرشيد الذي استسلم تماما ومكن للثنائي (الخيزران من جهة وَ يحيى وأبنائه من جهة أخرى) شؤون دولة الخلافة طواعية، وأعطى والدته الشغوفة بالسلطة المحبة للأمر والنهي قيادة الدولة من قصر النساء، خلافا لأخيه الهادي الذي وقف ضد طموحها السلطوي ومانع قيامها بأدوار سياسية وتعرضها للشأن العام[26]، التقارب بين بيت الخلافة وأسرة البرامكة لم تعجب الوزير المورياني[27]، الذي سعي للوقيعة بين الخليفة والبرمكي فأوغر صدر الخليفة الذي بدوره أوقع بخالد فصرفه عن وظائفه وغرمه بمبلغ هائل قدره 3 ملايين درهم مع مهلة قصيرة لسدادها، حيث لم يكن معه منها سوى 700 ألف فأسعفه أصحابه وحلفاؤه ومن ضمنهم الخيزران التي رأت أنها ستفقد حليفا قويا فسارعت وأرسلت إليه مجموعة جواهر قيمتها 2.200 مليونين ومئتا ألف درهم تأكيدا على دعمها ومساندتها لهذه الأسرة[28] فقامت بين أسرة المهدي والبرامكة علاقة من نوع خاص انسحبت لتشمل الأبناء أيضا والأحفاد ومن نتائجها الرضاع الذي ربط بين الطفلين (هارون بن المهدي و الفضل بن يحيى) وكان الأخير قد ولد سابقا الرشيد بسبعة أيام إلا أن الخيزران حرصت على رضاعه بلبنها[29] لتوثيق الوشائج والصلات بين البيتين فقد كانت السيدة الخيزران منفردة وحيدة في دار الخلافة لانصير لها أو أعوان، وكان البرامكة قد سبقوها بزمن طويل في الدولة وترسخت أقدامهم، ومن هذه الأعمال التي زادت في قوة الوشائج لما أراد المهدي تحديدا أن يلحق معاونا لابنه وولي عهده وانتقاه من بين جميع من حضره من القادة وكبار الأنصار العباسيين الذين اصطفوا بين يديه على مقاماتهم (وكان يحيى البرمكي لأنه من الموالي) آخر الحاضرين مقاماً إلا أن الخليفة العباسي اختاره وقدمه على العباسيين وجميع الأعيان والقيادات ولا أظن هذا الاختيار إلا بتوصية جاءت من داخل الدار أوعزت بها الخيزران لصالح حليفها البرمكي[30] ويرى أحد الباحثين أن الهدف من غزو الروم سنة (163هـ) وإسناد القيادة لهارون الرشيد، كان من أجل تلميع اسم هارون والدعاية لشخصية وحصد بعض المكاسب السياسية في ذلك الوقت الذي لمع فيه نجم موسى الهادي وانجازاته، في حين لم يكن لهارون منجزات أو مكتسبات ترقى إلى مستوى المنافسة في سباق العرش لإثبات وجوده، ولا أدل على ذلك أنه لما مات الخليفة الهادي سنة (169هـ/785م) واجه هارون مشكلة السيطرة على قيادات وجنود الجيش ومطالبهم بالمزيد من الأموال (أموال البيعة) عند كل تنصيب خليفة، لولا تدارك يحيى البرمكي وانقاذه الموقف، بالسيطرة على الأوضاع داعماً ربيبة وابنه بالرضاع هارون الرشيد[31]، فكان يحيى بن خالد البرمكي أكبر وأهم الداعمين لهارون الرشيد في المحافظة على منصب ولي العهد ويمكن القول

بأنه هو من أوصل هارون لكرسي الخلافة، ومن الشخصيات التي كان لها بصمة واضحة في تاريخ الخلافة العباسية الفضل بن الربيع، ومن قبله والده من موالي العباسيين واختص الفضل بخدمة الهادي وأخلص له فلما صارت الدولة لهارون الرشيد لم تمكنه الخيزران من تولي المناصب بالرغم من كفاءته ومقدرته فكان لها موقف متشدد وأرادت قتل كل أحد لم يناصر الرشيد في صراع العرش مع أخيه الهادي[32] بيد أن الفضل تمكن بطريقة أو أخرى من الوصول لحاشية زوجة الخليفة أم جعفر زبيدة وأم الخليفة القادم للدولة العباسية.

أم جعفر زبيدة بنت جعفر:

توفت الخيزران والدة الهادي والرشيد، وأثناء دفنها في المقبرة، وكأن الخليفة أطلقت يده في الدولة فأخذ من البرامكة خاتم الديوان وأعطاه للفضل بن الربيع واعتذر إليه بعدم توليته وإهماله وأن ذلك بسبب ممانعة والدته (الخيزران) فعاد إلى خدمة بيت الخلافة في نفس يوم وفاة والدة الخليفة ونهض بالعديد من الأدوار[33] وأصبح لاحقا أحد أركان التحالف العربي المؤيد لابن الخليفة محمد الأمين في صراع العرش وأحد أنصاره الأقوياء، ولكن عقب موت الخيزران وتقدم الخليفة الرشيد في العمر ونضجه تطلع لاستعادة الدولة من أنصار الأمس، فدب صراع خفي بين الخليفة وحلفائه البرامكة، فقد عزم الخليفة على استعادة ماهو حقه الشرعي في قيادة الدولة، والبرامكة ولاسيما شبابهم متمسكون بما حققوه عبر سنوات من العمل المضني من مكانة ووجاهة في مجتمع الخلافة، ولعل أولى خطوات الخليفة في استعادة الدولة كانت تعيين وتمكين الفضل بن الربيع، على ديوان الخليفة وكان أحد الناقمين والمعارضين للبرامكة، ولا يستبعد وجود بصمة للسيدة زبيدة وراء هذا التعيين، دل على ذلك انسجام مواقفهما واتحادهما في الإطاحة بآل برمك، ثم توالت الأحداث حتى أوقع الخليفة بهم في النكبة الشهيرة سنة (187هـ/803م) وقد شعر الخليفة أن البرامكة تمادى فاستحوذوا على الأموال والسلطة والنفوذ والوجاهة، وهذا كله تحت نظر وسمع الخليفة وبإذنه، ساعدت والدته الخيزران في صناعة مجد البرامكة والخليفة قد سمح بذلك، وطويت صفحة أسرة البرامكة من تاريخ دولة الخلافة العباسية في ليلة واحدة فكانوا أثرا بعد عين، وفي نفس الحقبة الزمنية لمعت شخصية الفضل بن الربيع، ومكانته ومساهماته السياسية في دولة الخلافة والأدوار التي قامت بها في صراعات ولاية العرش، فمن المعروف تاريخيا أن وصول محمد الأمين لمنصب ولي العهد الأول بالرغم من صغر سنه كان استجابة لرغبة السيدة أم جعفر السيدة زبيدة زوج الخليفة الرشيد، وبتحريض مستمر من قبلها ودفعها لأخيها عيسى بن جعفر، للفضل بن يحيى البرمكي بأن يسعى في هذا السبيل باعتبار المكاسب المرجوة، فقام بإعلان محمد بن هارون وليا للعهد وأخذ البيعة له من القادة والجند وسماه الأمين وهو بعمر خمس سنين في خراسان، وأخذ له البيعة وفرق الأموال فلما بلغ الرشيد بيعة أهل المشرق كتب للآفاق، وبويع له من جميع الأمصار، وبالرغم من أن بيعته لم تعجب جماعة من بني العباس (وهم على الحق) لصغر سن ولي العهد[34] إلا أنها مضت وغدت أمرا واقعا لامحالة، ومضت إرادة السيدة زبيدة وبلغ ابنها الوحيد سدة الحكم وتغلبت على كل شيء حتى أن الخليفة لم يكن مقتنعا تماما بهذا الاختيار وكان يرى أن ابنه عبدالله (المأمون) أكثر ملائمة لمنصب ولي العهد، ولكنه رضخ لرغبة زوجته زبيدة وجانب الصواب وضعف عن اتخاذ القرار السديد أمام مطالبها الملحة وضغطها، كما أن الخليفة جانب الصواب مرة أخرى لما أقر ابنه عبدالله وليا ثانيا للعهد، وجانب الصواب لما جعل ابنه المؤتمن وليا ثالثا للعهد، وهو يكرر نفس الخطأ الذي وقع فيه مؤسس الدولة

السفاح حين عين اثنين ولاة للعهد من بعده، ثم تشظت الأمة وانقسمت، وذاقت الويلات وفقدت رجالا أكفاء وأموالا في غير محلها نتيجة لهذا الاختيار، وهو تاريخ غير بعيد أو خاف عن الخليفة الرشيد ولكنه غض الطرف عن ذلك كله، كما أضاف إلى خطأ تعدد ولاة العهد خطأ آخر، بأن مزق دولة الخلافة وقسم أقاليم الدولة بين أولياء عهده الثلاثة حيث ضم إلى كل واحد من أبنائه أنصارا وأعوانا[35] فأنشأ بيديه بهذا الفعل مجموعات سياسية متنافسة، سريعا ما تعادت ثم تحاربت، فالكل يسعى إلى مآربه ومصالحه من وجهة نظره، وبالرغم من إخفاق الخليفة في قراراته المتتالية في منصب ولاية العهد، إلا أنه كان هنالك مؤيدين للخليفة في قراراته، منهم الشاعر الراجز العماني[36] من الشخصيات التي سعت ودعمت تعدد أولياء العهد بما جر على الأمة الويلات والحرب الدامية، وكان من المفترض بالشاعر أن يلتزم أمانة الكلمة، ولكنه كان يدخل على الرشيد ليسمعه ما يحب سماعه، ويثني على اختيار الرشيد ويصف بصاحب الرأي السديد، وأنه أحسن بتولية العهد لأبنائه الواحد تلو الآخر، فيجزل له العطاء[37]، وبذلك تكاملت أسباب النزاع والحرب الأهلية، وأتيحت الفرصة أمام المتصيدين أن يجدوا لهم موطئ قدم في هذا الجو السياسي غير المستقر، توفي الخليفة الرشد وتولى ولي العهد الأول ابنه الأمين خلافة المسلمين، وتأزمت العلاقة بينه وبين أخيه وولي عهد المأمون، بصورة سيئة حتى نشبت الحرب بين الاثنين فالخليفة يريد خلع أخيه وولي عهده من المنصب، وتولية ابنه (موسى) وليا للعهد، والمصادر التاريخية نقلت أن والدة الخليفة السيدة أم جعفر زبيدة، ساهمت في تأزيم الأمور وتصعيدها بدلا من التوسط في حللت النزاع بين الأخوين، فقد ورد على لسانها لما قدم للسلام عليها علي بن ماهان، قائد جيش ابنها الخليفة الأمين لحرب أخيه ولي العهد المأمون، أنها قالت له: «يا علي إن أمير المؤمنين إن كان ولدي واليه انتهت شفقتي فإني على عبد الله منعطفة مشفقة لما يحدث عليه من مكروه وأذى وإنما ابني ملك نافس أخاه في سلطانه الكريم يأكل لحمه ويمقيه[38] غيره فاعرف لعبد الله حق ولادته وأخوته ولا تجبهه بالكلام فانك لست بنظيره ولا تقتسره اقتسار العبيد ولا توهنه بقيد ولا غل ولا تمنع عنه جارية ولا خادما ولا تعنف عليه في السير ولا تساوه في المسير ولا تركب قبله وخذ بركابه وان شتمك فاحتمل منه ثم دفعت إليه قيدا من فضة وقالت إن صار اليك فقيده بهاذ القيد فقال لها أفعل مثل ما أمرت»[39] لقد كان حري بهذه السيدة أن تسعى لنزع أسباب العداوة بين الأخوين، وأن تضغط على ابنها ليلتزم جانب الحق والعدل، ولكن كلماتها المحملة بمشاعر امرأة مشفقة ظاهرها الميل لجانب ابنها الأمين وترجو نجاحه في مسعاه، وإن كانت ترجو من قائد الجيش الترفق بالأسير (بظنها) إذا تأملنا كلماتها يمكن القول بأنها لم تكن مشاركة في تدبير أمر الحرب، أو توجيه القادة والمحاربين وسياسة الأمور إطلاقاً، ولكن يؤخذ عليها أنها كانت تميل كثيرا لجانب ابنها خلافا للحق، فقد أرادت تقوية جانبه وتسليحه وتزوده بالعدة والعتاد والرجال في حياة والده الرشيد، إلا أن الخليفة لم يجبها إلى شيء من ذلك[40] لقد استمر النزاع والصراع المسلح بين الأخوين مدة أربع سنين، مسفرا عن فراغ خزينة الدولة وتبديد نفائس الأموال، وقتل صناديد الرجال والسادة والعقلاء من كلا الجانبين، ثم قتل الخليفة محمد الأمين، وعقب مقتله أصبح عبدالله المأمون، خليفة الدولة العباسية وامتد حكمه عشرون عاماً (218-198هـ/813- 833م) وفي مرض موته عهد لأخيه المعتصم بولاية العهد متجاوزاً أخاه القاسم وابنه العباس[41]، الخليفة المعتصم رجل عسكري بالفطرة إلا أنه لم يكن منسجماً في محيط جيش الخلافة بل كان له عسكره الخاص وجنوده الذين اصطفاهم وكون

منهم فرقا قوامها الأتراك، وهذا يرجع لتأثير أصل والدته تركية الأصل، فاستكثر من العناصر التركية يقول ابن كثير «وقد استخدم المعتصم من الأتراك خلقاً عظيماً من المماليك الترك قريبا من عشرين ألف»[42] والمسعودي يختصر العدد إلى 4000 فيقول: «فكان يحب جمع الأتراك وشراءهم من أيدي مواليهم، فاجتمع له منهم أربعة آلاف، وألبسهم أنواع الديباج والمناطق المذهبة والحلي المذهبة تميزا لهم عن سائر الجند، لقد مال الخليفة منذ أيامه الأولى إقصاء قيادات الدولة السابقة وعدم إبقائهم في مراكزهم يقول اليعقوبي: «ونفذ إلى بغداد يوم السبت مستهل شهر رمضان وعلى جنده الديباج المذهب، وأقر عمال المأمون على أعمالهم ثلاثة أشهر، ثم استبدلهم»[43] لقد ميز بين قدامى قادة الجيش والأتراك المستحدثين حتى في النفقات في المهام العسكرية المتشابهة، لقد مضى المعتصم قدما في خطته القائمة على تشكيل قوات خاصة تدين له بالولاء المطلق من العناصر التركية معتمدا عليهم، ومقدما إياهم في مهامه الأتراك غدو الأكثر موثوقية لدى الخليفة يعتمد عليهم في قيادة الجيش، وأسند إليهم إدارة مرافق الدولة شيئا فشيئا، وتلاشى أثر الشخصيات الهاشمية والعربية وأهل خراسان الحلفاء القدامى، واستمرت عملية الإحلال خلال فترة حكم المعتصم فاستبدلت قيادات الدولة وتعاظم وجود الأتراك نتيجة لذلك فبلغت أعدادهم العشرون ألفاً، وهنالك من يبلغ بهم السبعين ألفا[44] حتى أضحت مفاصل الدولة بين أيديهم وتحكموا في المناصب والوظائف الحيوية الهامة، فأصبح قادة الرأي وصانعي القرار المتنفذين في الدولة العباسية يوم موت الخليفة هارون الواثق بن المعتصم (232هـ/847م) هم الأتراك، وفي عهد الخليفة الواثق بالله تمكن القادة الأتراك من إزاحة غيرهم وفرضوا هيمنة على مفاصل الدولة ومراكز القوى وانحاز إلى جوارهم عدد من رجالات الدولة الأقوياء، حتى أن الخليفة اضطر لمداهنتهم، فمنح أشناس لقب سلطان (وهو لقب مدني) أعطي هذا اللقب والمنصب مجاملة في حين أنه قائد عسكري فاستحق بذلك امتيازات تتجاوز وضعه العسكري وأسند إليه إدارة أعمال عدة نواحي من الدولة فنتج عن ذلك هيمنة العسكر على أقاليم الدولة، وكذلك الحال بالنسبة لـ إيتاخ، لقد قام الخليفة بعملية كبرى تم من خلالها استبدال القيادات السابقة وصناعة رجال دولة وقادة وعناصر جديدة يعتمد عليهم لتسيير شؤون البلاد، فتم له تغيير واجهة الدولة والقيادات السياسية والعسكرية بحسب اليعقوبي[45]، وبذل من أجل تلك الغاية مالا وجهودا وعملا دؤبا استمر لأعوام عديدة لجمع واصطناع الموالي الأتراك ليعتمد عليهم إلا أنه في نهاية المطاف لم يمكن راضيا عن نتيجة جهوده وثمرة عمله، تحاور يوماً مع رئيس شرطته وأحد ندمائه وقد كان محبطا تماما في نهاية المطاف لأنه جهوده لم تؤت أكلها[46]، لما تولي هارون الواثق بن المعتصم الخلافة عقب والده، تعاظم شأن ونفوذه القادة الأتراك وكان لهم سيطرة على مفاصل الدولة والمناصب الهامة، وكان الخليفة يتقي جانب الأتراك لقوتهم في الدولة، الذين اكتسبوا هيبة ومكانة على حساب الخليفة والأسرة العباسية والعرب والأبناء، تحقيقاً لسنة التدافع ومبدأ الإزاحة، مرض الواثق ثم توفي وتولى الخلافة بعده جعفر المتوكل خمسة عشر عاماً إلا شيئا يسيرا، خلال مدة حكمه قرر العهد لأبنائه الثلاثة سنة (235هـ/850م) بولاية العهد متعاقبين وجعل المنتصر أولا، ثم المعتز، وأخيراً المؤيد[47]، هكذا كان يرى في أول الأمر، ثم أراد إعادة النظر في ترتيب أبنائه في ولاية العهد وتقديم المعتز الأصغر سنا[48] قبل المنتصر، ويعتقد أن لوالدة المعتز دور وتأثير في إعادة ترتيب أولياء العهد، حيث كان المتوكل يهيم بجاريته قبيحة (أم المعتز) لجمالها الفائق، ولم ترض بجعل ابنها متأخرا في ترتيب ولاية العهد

وحاولت الضغط على الخليفة لتقديمه قبل إخوته، فبذلت جهودا حثيثة، وعملت على تأليب الخليفة على ولي عهده الأول وابنه الأكبر المنتصر، ومما يجدر إيراده في هذا الشأن أنه قبل مقتل المتوكل بيومين وقعت حادثة باعدت الشقة بين الخليفة وابنه المنتصر، ذكرها أحد أبناء محمد بن سليمان الهاشمي فقال حدثني بعض من كان في الستارة من النساء أن الخليفة التفت إلى الفتح فقال بَرِئْتُ من الله ومن قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لم تلطم المنتصر فقام الفتح ولطمه مرتين يمر يده على قفاه، ثم قال المتوكل لمن حضر اشهدوا جميعا أني قد خلعت المستعجل المنتصر ثم التفت إليه فقال سميتك المنتصر فسماك الناس لحمقك المنتظر ثم صرت الآن المستعجل فقال المنتصر يا أمير المؤمنين لو أمرت بضرب عنقي كان أسهل علي مما تفعله بي[49] ويعتقد الباحث أن العنصر النسائي الذي نقل وقائع هذه الحادثة من وراء الستارة في مجلس الخلافة ولم يحد اسمه[50] فإن الشكوك تتجه صوب قبيحة جارية الخليفة المتربعة على قلبه، المستفيدة بشدة في تأزم العلاقة بين الخليفة وابنه وولي عهده الأول، لذا فإنها متهمة بنقل مثل هذه الأخبار التي تضر علاقة الوالد بولده الأكبر، فمثل هذه الأحداث تصب في مصلحة ابنها (المعتز) أحد أولياء العهد وتعجل بوصوله للعرش قبل أخوته لحظوة والدته عند الخليفة، وهذا ما صرح به الذهبي بميل المتوكل لجانب المعتز بتأثير والدته فأورد رواية جاء فيها «قال علي بن الجهم: كان المتوكل مشغوفاً بقبيحة يعني أم ولده المعتز لا يصبر عنها، فوقفت له يوماً وقد كتبت على خديها بالمسك جعفراً؛ فتأملها ثم أنشد يقول :

وكاتبة في الخد بالمسك جعفرا بنفسي مخط المسك من حيث أثرا
لئن أودعت سطرا من المسك خدها لقد أودعت قلبي من الحب أسطرا

لقد بايع الخليفة المتوكل بولاية العهد ولده المنتصر، ثم أراد عزله وتولية أخيه المعتز بتأثير أمه، فطلب من المنتصر التنازل عن ولاية العهد، فأبى، فكان يحضر مجالس العامة، ويحط منزلته ويهدده، ويشتمه ويتوعده»[51] بمثل هذه التصرفات أورث الخليفة ابنه وولي عهده حزازة في صدره وافقت ميلًا للانتقام لدى الأتراك الذي كان سيصيب بعضهم المصادرات على عادة الخلفاء، فاجتمعت هذه المعطيات فنتج عن ذلك مؤامرة اغتيال الخليفة المتوكل وقتله على أيدي مواليه وحرسه الخاص بتدبير القادة الأتراك بتواطء ابنه البكر (أحد أولياء العهد) محمد المنتصر[52] سنة (247هـ/205م) فكانت مسألة ولاية العهد إحدى العوامل المؤثرة في اغتيال الخليفة المتوكل والإطاحة وقتله، وكانت السيدة قبيحة عامل مؤثر بشدة في مجريات الأحداث.

عقب وفاة (مقتل) الخليفة المنتصر استقرت الآراء على اختيار أحمد بن محمد المعتصم المستعين بالله[53]، خليفة للمسلمين ثم اعترض جماعة من الجيش يدعمهم عامة الناس على الاختيار ونادوا بولاية المعتز بن المتوكل بناءً على ولايته للعهد السابقة واستفحل القتل بين الفريقين فاستطاع أنصار المستعين بالله التغلب على المعترضين وقمعهم، وتمت بيعة المستعين بالله بقوة السلاح، وضمن صراعات ولاية العهد نقم الخليفة المعتز على أخيه وولي عهده المؤيد فقام بضربه وأجبره على الخلع من ولاية العهد وأخذ على ذلك كتاباً بخطه وحبسه ثم قتل في السجن معذبا في رجب سنة (252هـ/ 866م)[54] لم يلبث اختلف عامة الجيش مع القيادات التركية ناقمين عليهم تأخر الرواتب والمستحقات المالية وقد عجزت خزينة الدولة تحت وطأة نفقات القادة الطائلة عن الوفاء ببقية النفقات، فما كان من الخليفة إلا أن لجأ لوالدته لعلمه بمدخراتها

ولكنها رفضت أن تقدم له شيئاً، فوقع الخليفة في مأزق نقص الموارد ومطالبات الجند فقاموا باقتحام القصر وإذلاله وتعذيبه حتى خلع نفسه ثم سجن وقتل في الحبس سنة (255هـ/869م)[55] مثلما فعل هو بأخيه المؤيد من قبل، وإذا تجاوز البحث فترة خلافة محمد المهتدي بالله بن الواثق (256-255هـ/870-869م) وكذلك فترة الخليفة أحمد المعتمد بالله بن المتوكل (279-256هـ/892-870م) حيث لم يظهر أثر لأمهات الخلفاء في ميدان السياسة وصراعات ولاية العهد، فإن فترة خلافة أبي العباس أحمد المعتضد بن الموفق (289-279هـ/902-892م) تعتبر مرحلة تمهيدية لنشأة إحدى سيدات البلاط العباسي اللواتي جارية المعتضد (شغب[56]) التي اقتحمت الحياة السياسية ومارست السلطة فعليا طيلة خمسة وعشرين عاما، فعقب وفاة الخليفة المعتمد على الله سنة (279هـ/ 892م) تولى الخلافة أبا العباس أحمد المعتضد، فأعاد للخلافة هيبتها واستمر حكمه حتى سنة (289هـ/902م) وعند وفاته عهد لابنه علي بن المعتضد بالخلافة ولقب بالمكتفي بالله (295-289هـ/908-902م) وأمه أم ولد تركية الأصل واسمها جيجك، وقيل « حيحق»[57] ولم تدرك فترة حكم ابنها، ثم عهد بالخلافة عند مرض الموت لأخيه جعفر بن المعتضد، خليفة للمسلمين من بعده وهو في عمر صغير[58] عديم التجربة قليل الخبرة، كان لشخص الخليفة الضعيف وصغر سنه ونقص الخبرة والتجربة أثر سيء مما فتح الباب على مصراعيه للمتطلعين للنفوذ والسلطة أن يتخذوا خطوات نحو السيطرة على مفاصل الدولة ومقاليد الحكم، فظهر على مسرح الحياة العامة اسم والدة الخليفة جارية المعتضد شغب التي عرفت اختصارا باسم «السيدة».

السيدة شغب:

جارية الخليفة المعتضد وأم ولده، والدة الخليفة المقتدر، لم يكن لها أي دور سياسي أو ظهور اجتماعي زمن الخليفة المعتضد لقوة شخصيته وسيطرته على الدولة، أما في عهد ابنها الخليفة المقتدر أضحت السيدة شغب مسيطرة على دولة الخلافة بمعاونة جواريها وقهرماناتها، وغدت ملكة غير متوجة حتى إنها تحكمت في تعيين الوزراء وقادة الجيش والكتاب، وامتد نفوذها إلى جميع أرجاء الدولة، وتمكنت من حيازة الأملاك والضياع الشيء الكثير فصار لها ديواناً خاصاً يعمل فيه لأجلها كبار الكتاب منهم محمد عبد الحميد[59]، وكان دخلها السنوي ما مقداره مليون دينار[60] ووصف أحد المؤرخين دولة المقتدر فقال: كانت دولة المقتدر بالله، في مبادئها من الضعف والوهن واختلال التدبير، وفساد قواعد الملك، ما لا خفاء فيه، وسببه أنه تولى الخلافة في سن مبكرة، فتصرفت والدته وخالته و(قهرمانته) في الدولة[61] فبعد إحدى وعشرين سنة وشهرين ويومين، ثار الجيش وأجمع صغارهم وكبارهم على خلع الخليفة وأجبروه على كتابة الخلع بخط يده نفسه وحضره الشهود ونصبوا أخاه محمد بن المعتضد ولقبوه بالقاهر وبايعه الناس أميراً للمؤمنين، ثم احتاجوا للمال ونقص عندهم بشدة فلم ينتظم أمرهم وفسدت الترتيبات، ثم خلع القاهر وأعيد المقتدر للخلافة وجميع ذلك خلال يومين وبعضاً من الثالث[62] وكانت الثورة بسبب ضعفه وعجزه عن النهوض بأعباء الخلافة، وتدخلات والدته ومن معها من النساء في تصريف شؤون الدولة، بيد أن الخليفة لم يستوعب الدرس ولم يتعظ ولم يغير ساكناً فلقد استمرت الأمور على ما هي في التردي وأحوال الدولة في انحدار، والنساء يمارسن صلاحيات ليست لهن، والفساد يستشري في أركان الدولة والخليفة غافل لا يلتفت لمصالح البلاد، لقد انطبق هذا الوصف على الدولة العباسية طوال عهد الخليفة المقتدر لم يتغير منه شيئاً، ثم

أطاع الخليفة قالة السوء، وانصاع لرغبات المتآمرين، فنشبت لذلك فتنة وحرب بين أركان الدولة شارك فيها الخليفة بنفسه، تمكن في نهايتها الجيش أنصار القائد مؤنس من قتل الخليفة، وقطع رأسه وترك الجسد في العراء مجرداً من ثيابه وانتهى ملكه سنة (320هـ)[63] كان حكم الخليفة المقتدر من أطول فترات حكم بني العباس، بيد أنه من أسوئهم سيرة وإدارة للدولة فقد أهمل شؤون البلاد واشتغل بالتوافه واتاح المجال للنساء للتحكم في الدولة، قال ابن خلدون: «فاتسع الخرق وطمع أهل القاصية في الاستبداد وكان مهملا لأمور خلافته محكّما للنساء والخدم في دولته مبذرا لأمواله»[64] فلم يكن الخليفة محمود السيرة، جاء به النسب والمحسوبية لحكم وقيادة بلاد المسلمين في أوقات صعبة، فلم يكن جديرا في ذاته، ولا في قرارته، ولم يحسن اختيار الأعوان للنهوض بالأمة واجتياز المرحلة الحرجة، إن المتأمل لأحوال الدولة العباسية في هذه الحقبة ليعجب أشد العجب من طول بقاء الخليفة المقتدر في سدة الحكم هذه المدة على ما في دولته من اعوجاج وتحكم والدته وبقية النساء وسوء تدبير وسرف وتبذير، بمثل هذا الحكم القاسي وصف الطبري الدولة العباسية وقد عاصر هذه الحقبة جاء في الصلة: «قال الطبرى ولم ير الناس أعجب من أمر ابن المعتز والمقتدر، فإن الخاصة والعامة اجتمعت على الرضا بابن المعتز وتقديمه، وخلع المقتدر لصغر سنه، فكان أمر الله قدرا مقدورا، ولقد تحير الناس في أمر دوله المقتدر وطول أيامها على وهي أصلها وضعف ابتنائها ثم لم ير الناس ولم يسمعوا بمثل سيرته وأيامه وطول خلافته»[65] وفي ذلك دلالة على أن الأمر كله لله، بالكاد عبرت الأمة الإسلامية فترة حكم الخليفة المقتدر ولم تسقط بالكلية وتشرذم، فلقد كانت فترة عصيبة مظلمة، ثم تم اختيار أخا القتيل محمد بن المعتضد ولقب بالقاهر بالله، (322-320هـ/934-932م) وأمه أم ولد اسمها قبول توفيت قبل خلافته[66]، وصفه ابن كثير فقال: «وكانت فيه عجلة وجرأة وهوج وخرق شديد»[67] ووصفه الدوا داري بقوله: «وكان فيه هوج شديد الإقدام على سفك الدماء محباً لجمع المال قبيح السيرة والسياسة، صادر جماعة من أمهات أولاد المقتدر وأولاده، وضرب أم المقتدر وعلقها برجلها الواحدة في حبل»[68]، لقد استهل دولته بقطيعة الأرحام والإساءة لأقربائه وبني عمه فبحث عن أموالهم ونقب عن أحوالهم ونكل بهم ولم يبق على ذي رحم مطالباً الجميع بالمال، فلم تطل مدة حكمه حتى ضاق به خواص حاشيته وسعوا للإيقاع به وعزله ودبروا لذلك تخلى عنه كل أحد فهرب من الناقمين عليه من الجيش وبعض من حاشيته الذين طاردوه ثم اعتقلوه، وخلعوه ثم سملت عيناه حتى سالت على خديه[69] ثم أخرج من السجن محمد بن المقتدر الراضي بالله (329-322هـ/940-934م) هو ووالدته ظلوم التي أدركت خلافته[70] ولكنها ابتعدت عن الشأن العام ولم تتطلع للعمل السياسي ولم تنقل المصادر عنها شيء من هذا القبيل، تولي الخلافة الراضي بالله بمشورة ورأي من الأتراك والموالي، حيث تولت طائفتي الساجية والحجرية البيعة له والناس تبعا لهم[71] لقد جاء للخلافة بانقلاب عسكري وإن لم يكن ضمن العسكر، ولم يرشح لمقدرته وكفاءته وصفاته القيادية، إنه صنيعة العسكر وعبر التاريخ لم تنجح حكومات العسكر في قيادة الدول والوصول بها إلى بر الأمان، إلا أن يشاء الله، كما أن أنظمة الحكم الوراثية غالبا ما تنتج أشخاصا غير أكفاء يصلون للعرش ثم لاينهضون بالمسؤولية ويفسدون في الأرض ولا يصلحون، ويسيؤون لذوي القرابة والمحيطين بهم، ولا يفرقون بين عدو أو صديق، يضعون ثقتهم في غير محلها، والخليفة القاهر خير مثال، الذي بدأ دولته بالتنكيل بأسرة أخيه الخليفة السابق المقتدر، ولم يرحم كبر سن السيدة شغب والدة أخيه الخليفة المقتدر، والتي هي

أمه من الرضاعة، قد عطفت عليه واحتضنته صغيرا فعذبها بشدة وعلقها منكوسة على كبر سنها وتردي حالتها الصحية، وما أصابها من فاجعة بقتل ابنها والتنكيل به، فلم تطل بها الحياة فماتت متأثرة[72] ثم ثنى بالقبض على ابن أخيه أبي أحمد بن المكتفي، وسجنه بين حائطين فمات خنقا[73] ونكل وعذب وسجن وصادر رجال دولته، فذبح بعضهم كما تذبح الشياه، فلما كانت القيادة على هذا القدر من سوء التدبير وفساد الرأي؛ فكان ذلك أدعى بذهاب السلطان وأفول نجم الدولة وقد ظهرت أعراض الانحدار والمرض على الدولة العباسية في زمن الضعف والفوضى السياسية، ثم تولى الخلافة محمد بن المقتدر الراضي بالله، وفي سنة (329هـ) مرض الخليفة الراضي واشتد مرضه جدا وأراد الوصية لابنه بولاية العهد والخلافة من بعده فكتب يستأذن أمير الأمراء فلم يرد عليه بشيء حتى توفاه الله تعالى ولم يعقد لابنه، (وهذه من عجائب الزمان أن الخليفة يستأذن مولاه في تصرفاته) إن الضعف إذا أصاب البلاد فلا تسل عن العجائب والفتن، ومن تلك العجائب أن دولة الخلافة الإسلامية عجزت عن تأمين طريق الحج (أشهر شعائر الإسلام الجماعية) وحماية السبل إلى البقاع المقدسة، فتسلط القرامطة وفرضوا المكس على الحجيج سنة (327هـ) عن كل جمل خمس دنانير ومن المحمل سبعة دنانير، وحج الناس تدفع جزية للقرامطة فلا يتعرضوا لهم.

عقب وفاة الخليفة محمد الراضي بالله اجتمع أصحاب الدواوين والقضاة والعدول والفقهاء والعلويين والعباسيين ووجوه البلد، بطلب من أمير الأمراء بجكم، يرأسهم كاتبه أبو عبدالله الكوفي[74]، واختاروا للخلافة أخو الخليفة المتوفى أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر المقتدر، ولقب بالمتقى لله، (333-329هـ/944-940م) الذي لم يقبل البيعة حتى تنازل عن الخلافة عمه الخليفة المخلوع محمد القاهر، (حيث لم يزل على قيد الحياة) فلما تنازل عنها قبل المنصب وتمت البيعة[75]، وقد كان اجتماعا صوريا وشكليا، حيث فرضت إرادة أمير الأمراء على المجتمعين ينفذها كاتبه، فانقادوا طائعين وتم الاختيار على هذا الأساس، جاء في تفاصيل أحداث اختيار الخليفة عند غير واحد من المؤرخين: أن أباعبدالله ينفرد بالمجتمعين في إحدى الحجرات في جو من الحرس والرهبة ثم يلقي لهم بما يريد أن يسمعه منهم ليقررهم، فيتوهمون بأنه شيء قد تقرر وورد فيه أمر بجكم فيقولون: كلاما يوافق رأي الكاتب وبذلك قضي الأمر، وتم اختيار إبراهيم بن المقتدر خليفة للمسلمين، وتمت مبايعته ولقب بالمتقي لله[76] فتولى منصب الخلافة وكانت الدته على قيد الحياة وهي أم ولد رومية واسمها «خلوب»[77] ولم يكن لها ظهور أو تعاطي للشأن العام أو سياسة الدولة، أما أعظم تحديات الحكم في عهد الخليفة إبراهيم المتقي، فكانت ضخامة الفوضى السياسية الحاصلة، ترافق ذلك مع ضعف مؤهلات وإمكانيات الخليفة نفسه على الرغم من صلاحه واستقامته الذاتية، كما أن منصب أمير الأمراء الذي استحدثه أخيه الخليفة الراضي، لقد شكل هذا المنصب ضغطا على تحركات الخليفة وحريته المالية، حيث ازدادت شهية أمير الأمراء في زيادة موارده فتقلد أمرة بغداد وخراسان[78] فكان المتحكم في الدولة تماما والخليفة يأتمر بأمره ويداريه مخافة مكانته وسطوته، لقد فقدت دولة الخلافة في حقبة أمير الأمراء السلطة من أيدي الخلفاء حيث الأمر والنهي بيد أمير الأمراء المتغلب، حتى أن هذا المنصب الذي استحدث لمعالجة إشكالات سياسية طارئة، أصبح يشكل عبءً ونوعا من الاضطراب وعدم الاستقرار في دولة الخلافة حين تنافس كبار القادة لأجله فقد شهد عهد الخليفة المتقي لله تعاقب خمسة أشخاص كلهم تسمى بأمير الأمراء أولهم بجكم المكاني، الذي قتل في رجب سنة (329هـ)[79] تبعه القائد الديلمي كورتكين[80] الذي

ظل أميرا للأمراء بضعة أشهر ثم عودة محمد بن رائق، للمنصب عقب تغلبه على كورتكين في شوال سنة (329هـ) وفي مستهل شعبان سنة (330هـ) تمكن الحسن بن عبدالله بن حمدان، من قتل ابن رائق، فخلع عليه المتقي لله وأصبح أميرا للأمراء حتى شوال من نفس العام حيث تغلب عليه القائد توزون الديلمي[81]، وتولى منصب أمير الأمراء[82] وهكذا في ظل الأوضاع السياسية غير مستقرة، انعكس ذلك سلبيا على دولة الخلافة، ونتيجة لهذا التناحر السياسي فقدت الدولة منعتها في التصدي للأعداء ففي آواخر سنة (330هـ) غزى البيزنطيون بلاد المسلمين حتى وصلوا قريبا من حلب فدمروا وقتلوا وأسروا قريبا من 15 ألف إنسان[83]، في حين أن القيادات العسكرية تتنافس على المناصب الحكومية والإقطاع وجني الأموال والله المستعان، لقد كان المشهد العام والوضع السياسي محتقن بشدة فجميع القوى السياسية تكيد لبعضها البعض دون أدنى اعتبار للمصلحة العامة للأمة الإسلامية وحماية الأمة وبلاد المسلمين التي تتآكل تدريجيا، فالأتراك يسيطرون على المشهد العام وهم في منافسة حادة من جيرانهم الديلم ومن ضمنهم بني بويه، والحمدانيون يريدون الظفر بنصيب من الغنيمة ومنافسة غيرهم للسيطرة على عاصمة الخلافة وكسب منصب أمير الأمراء، والبريديون بنفس الطموح يشاركون اللعبة السياسية ويتنافسون مع غيرهم منافسة محمومة على النفوذ والسلطة، فضلا عن غيرهم، فهنالك المستقلين من الكتاب والوزراء فالكل يسعى للمنافسة على النفوذ والسلطة والخليفة تنازعه القوى السياسية مرة مع ابن رائق، ومرة مع توزون، ومرة مع بني حمدان، وأخيرا بعد أن ضاق بالخليفة المقام لدى بني حمدان راسل توزون للتصالح معه وتوثق منه بالعهود والمواثيق ألا يغدر به، وأحضر توزون القضاة والعدول والعباسيين والطالبيين ومشايخ الكتاب وحلف بحضرتهم للمتقي لله وكتب بذلك كتابا شهد فيه جميع من حضر على توزون، بأنه لا يخون الخليفة ولا يغدر به، ومرة ثانية وفي منتصف الطريق باتجاه العاصمة أنفذ الخليفة القاضي الخرقي[84] والوزير ابن شيرزاد[85]، ليجددا الإيمان والعهود والمواثيق على توزون، بعدم الخيانة أو الغدر فلما تقابلا إمعانا في الخديعة ترجل توزون وأظهر للخليفة غاية الولاء وقبل الأرض بين يديه ثم فرق المرافقين، فتمكن بكل يسر من القبض على الخليفة ثم أمر به فتم سمله وذلك بحضور (علم)[86] قهرمانة المستكفي بالله[87]

علم القهرمانة:

هذه الجارية سطرت اسمها في تاريخ الدولة العباسية، وصنعت لنفسها مجدا وسلطة فاقت كل أحد، جاء في هامش الكامل لابن الأثير نقلا عن صاحب كتاب العيون: ثم صارت قهرمانة للمستكفي بمكانة لا يبلغها أحد فاستولت على أمر الخليفة كله، وبحثت عن ذخائر المتقي هي وابن سليمان الكاتب ففازوا بأكثرها، ثم صارت حسن تكبس منازل التجار وأصحاب اليسار فتحوز ما تجده لنفسها، وانبسطت يدها حتى صارت تأخذ أموال الناس التي لا شبه فيها! [88] حقا حتى النساء في ظل النفوذ المطلق والفساد يصبحن طاغيات مستبدات[89]، وكان الخليفة يعتبر إطلاق يدها في الدولة نوعا من رد الجميل! وهذا خطأ ظاهر ومسلك قبيح، لقد كانت بداية ظهور هذه المرأة على مسرح السياسة بانخراطها في مؤامرة السعي للإطاحة بخليفة المسلمين، وعملت بجد لتنصيب أحد أمراء البيت العباسي عبدالله بن المكتفي بالله، الذي لقب لاحقا بالمستكفي بالله[90] لأن ذلك ينفعها ويحقق مصالحها، والحق أن الرجل لم يكن مؤهلا للخلافة ولا أهلا لها[91] كان الصولي وهو معاصر للأحداث يرى بأن الخليفة المتقي لله ظالم في تعامله مع الأمير توزون[92]، فكان مما

قاله في هذا المعنى: «كل هذا هو فيه ظالم للأمير توزون، ثم إقباله بعد ذلك حتى وضع يده في يده ظن أن الأمير حدث أعجمي نسي كل شيء، وأعجب من ظنه بأنه لا ذنب له ونسيان مافعله[93] هذا رأي شاهد معاصر أورده الباحث مع عدم القناعة به، فلو تأمل منصف الأحداث نجد أن أمير الأمراء باع منصب الخلافة، وقبض الثمن (100 ألف دينار) وضحى بالخليفة الفعلي فخانه وغدر به عقب إعطاء الوعود والمواثيق المغلظة المرة تلو الأخرى وشهادة الشهود، فكان ما كان وانتهى عهد الخليفة المتقي لله، في نفس الموضع[94] الذي سمل فيه الخليفة المتقي لله، جيء بالأمير عبدالله بن المكتفي، حيث أرغم الخليفة المأسور على مبايعة الأمير عبدالله خليفة للمسلمين فعقد له الأمر، وتسلم الخلافة[95]ومن كلمات الخليفة المتقي عقب خيانته والقبض عليه وإتلاف عينيه:

كحلونا ومـــــــــــــــا شكو نا إليهم مـــــــــــــــن الرمد

ثم عاثـــــــــــــــوا بنا ونحـ ن أســـــــــــــــودٌ وهم نقد

كيف يغتر مـــــــــــــــن أقمـ نا[٩٦] وفي دســـــــــــــــتنا قعد

وعلق الصفدي فقال: «ما اغتر المستكفي بالله بعده بتوزون ولم يزل إلى أن سمه وقتله»[97]، هكذا بدأت دولة الخليفة المستكفي بالله، بخيانة خليفة المسلمين، وأساء إلى رحمه (لأنه ابن عمه)[98] دون وجه شرعي معتبر، ثم أعمل الحيلة بأبي الحسين البريدي، حيث أعطاه الأمان والعهود فلما قدم العاصمة قبض عليه وضرب ضربا مبرحا ثم اقتيد إلى مجلس الخلافة وبمشهد من الجميع قطعت رأسه[99]، وفي نفس السنة (334هـ) استوزر أبا جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد، ثم خلع عليه أميرا للأمراء، ولم يحسن إدارة الدولة فقد أغدق على الجيش والعسكر وزادهم زيادات كثيرة فاحتاج لمزيد من الأموال وقد فرغت الخزينة فمال على التجار والكتاب وصادر أموال العديد منهم، وسلط الجند على العوام للتعيش والاسترزاق، فهرب الناس وانقطع الجلب، ووهن أمن بغداد[100] وفي نفس العام قدم بغداد أحمد بن بويه، طامعا في إمرة الأمراء، فأظهر له الخليفة الفرح وخلع عليه ولقبه معز الدولة، وعلى أخيه الأكبر (علي) عماد الدولة، وأخيه الأصغر (حسن) ركن الدولة[101]، وضربت أسماؤهم على السكة والطراز والأعلام[102] لم تدم المسالمة طويلا في دولة المستكفي بالله، بين عناصر متنافرة فالديالمة شيعة رافضة، والأسرة العباسية يحسبون هم من أهل السنة و الجماعة، وبعد حين استشعر معز الدولة أن علم قهرمانة الخليفة تدبر في الخفاء للإطاحة به، فعاجل الجميع، فقبض على الخليفة في مجلس الخلافة وأهين بالسحب بالعمامة مربوطا من حلقه، ثم سيق إلى دار معز الدولة سيرا على الأقدام، ونهبت دار الخلافة[103]، ثم أخذت القهرمانة علم وقطع لسانها[104]، وصودرت على 40 ألف دينار وأحضر الأمير الفضل بن المقتدر بالله، وأجبر المستكفي بالبيعة لابن عمه ثم سمل وحبس في دار الخلافة[105]، واستمر حبسه أربع سنوات إلى أن مات في الحبس.

الخاتمة:

عند التأمل نجد أن الدولة العباسية في مبدأها لم يكن للنساء ظهور أو مشاركة في الحياة السياسية على الرغم من قوة العلاقة بين الخلفاء وسيدات البلاط الأوليات، وذلك لقرب عهد الخلفاء الأوائل بالبداوة والتمسك بالعادات العربية، من أن ميدان عمل المرأة الحرة هو دارها وقصرها على أهل بيتها، ثم تولى محمد المهدي الخلافة، وبرزت بقوة على الساحة السياسية السيدة الخيزران، التي انغمست في العمل

السياسي والحياة العامة حتى ضاق بسلوكها ابنها موسى الهادي، ثم تتابع ظهور النساء العباسيات كالهاشمية السيدة زبيدة بنت جعفر، وغيرها وكن ينخرطن في بطريقة أو أخرى في أعمال ترشيح أولياء العهد، وتحرص إحداهن أن يكون ابنها صاحب الحظوة والمرشح الأول قبل أخوته مهما كانت مؤهلاته، وهذا أفرز خلفاء ضعفاء لا ينهضون بالمنصب، ولا يخدمون قضايا الدولة، مما انحدر كثيرا بدولة الخلافة، وتأثرت جميع النواحي السياسية والاقتصادية والصحية والأمن وحتى وحدة أراضي الدولة، فتوالي قيام الدولة المستقلة في المشرق على حساب الخلافة لضعف القيادات بدرجات متفاوتة، وكلما تقدم الزمان بالخلافة العباسية تظهر المزيد من علامات الفوضى السياسية، والمزيد من المتطفلين والمتسلقين على أكتاف السلطة من الرجال والنساء وحتى الجواري والخدم كان لهن نصيب في مجريات الأحداث.

الهوامش:

(1) محمد علي بيومي، مرجع سبق ذكره، ص 439.

(2) الأرشيف العثماني، تصنيف علي أميري، رقم 1/3618، مؤرخة في أوائل شعبان 1171هـ/12 أبريل 1758م، بشأن إرسال الشريف مساعد المجرمين المنفيين إلى مصر بسبب الشغب الذي أثاروه بمكة المكرمة.

(3) دارة الملك عبدالعزيز ، تصنيف C.DAH ، رقم :10205 ، مؤرخة في أواخر جمادى الاخر 1172هـ/25 فبراير 1759م ، بشأن منح شريف مكة المكرمة الخلع والقوب من السلطان العثماني .

(4) الغازي عبدالله الحنفي المكي، **إفادة الأنام بذكر أخبار البلد الحرام**، تحقيق: عبدالملك بن دهيش، الطبعة الأولى، المجلد الثالث، 1430هـ/2000م، مكتبة الملك فهد الوطنية، ص 633.

(5) الأرشيف العثماني، تصنيف علي أميري، رقم 1/5231، مؤرخة في 25 جمادى الأولى لعام 1173هـ/13 يناير 1760م، بشأن تجاوزات والي الشام عبدالله باشا على أهالي الحجاز.

(6) دحلان أحمد زيني، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، الطبعة الأولى، 1397هـ/1977م، مكتبة الكليات، ص 197.

(7) دارة الملك عبدالعزيز، تصنيف C.DH، رقم 6288، مؤرخة في 4 شوال لعام 1173هـ/16 مايو 1760م، بشأن التحري عن أحوال الشريف مساعد بن سعيد في إدارة شؤون مكة المكرمة.

(8) أحمد بن سعيد: هو أحمد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي، تولى من عام (1195-1184هـ/1781-1770م)، مدة حكمة كانت سنتين، وقعت في عهده عدداً من الحوادث لعل أبرزها وصول الجردة المصرية والتي كانت بقيادة محمد بك أبو الذهب ووقع بينه وبين ابن أخيه الشريف سرور بن مساعد أكثر من 15 موقعة عسكرية انتهت بوضع الشريف أحمد بن سعيد بالسجن حتى توفي في عشرين من شهر ربيع الآخر سنة 1195هـ. ينظر إلى تاريخ = أمراء مكة المكرمة، عارف عبدالغني، ص815، ويرجع أيضاً إلى أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني، إسماعيل حقي جارشلي، ص- ص 186-185م، ويرجع إلى تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام، عبدالفتاح راوه، ص 324، ويرجع إلى خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، أحمد دحلان، ص 215.

(9) عبدالفتاح راوه، تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام، 1407هـ/1986م، مكتبة المعارف، ص 319.

(10) أحمد زيني دحلان، مصدر سبق ذكره، ص 206.

(11) دارة الملك عبدالعزيز، تصنيف C.DH، رقم 75/3731، مؤرخة في أواخر ربيع الآخر لعام 1187هـ/18 يوليو 1773م، بشأن تجاوزات الشريف أحمد بن سعيد وتدخله في شؤون ولاية جدة.

(12) شيخ البلد: كان بمثابة وسيط أو ضابط اتصال بالتعبير الحديث بين الملتزم وأهل القرية ويبلغهم أوامر الملتزم ويعرض عليه طلباتهم وكان يقوم بالإشراف على الأراضي ويراقب تصرفات الأهالي واتجاهاتهم وتحركاتهم إذا فكروا في ترك الأرض التي يعملون في فلاحتها أو فكروا في الهجرة كليةً من القرية، وكان

شيخ البلد يعين من أهل البلدة ويختار من بين العائلات العريقة الثرية وكان يعتبر رئيس الموظفين المحليين في القرية ويحل محل الملتزم في أثناء غيابه، ولذلك كان يطلق عليه لقب «قائمقام» = وكان يوفر الأمن للفلاحين الذين يزرعون الأرض في منطقة الالتزام. ينظر: الشناوي، عبدالعزيز محمد، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ص- ص : 131، 132.

(13) محمد علي بيومي، مرجع سبق ذكره، ص ص 417-416.

(41) المباشر: كان بمثابة وكيل القائمقام ويباشر اختصاصاته وصلاحياته حين يسافر القائمقام إلى القاهرة لمقابلة الملتزم. وكان من اختصاصاته قيد كل ما يدفعه فلاحوا الالتزام بالتفصيل في سجل خاص به. ينظر: الشناوي، عبدالعزيز محمد، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ص 331.

(15) الأرشيف العثماني، تصنيف علي أميري، رقم 1/8160، مؤرخة في أواخر رمضان لعام 1179هـ/10 مارس 1766م، مصدر سبق ذكره.

(16) سماعيل باشا: من عام 1109-1107هـ/1697-1695م، قدم إلى مصر عن طريق البر منفصلاً عن تولية دمشق الشام عمرها الله بالذكر والتوحيد ما أن جلس عن الحكم حتى أن بدأ الناس بالبكاء فسأل عن هذا السبب فاتضح أنه من الغلاء بالأسعار والكرب الشديد حول إجراء العديد من الاصلاحات مثل تغيير بعض أسعار العملة بالبلاد محاولة منه لإصلاحات أحوال الناس بمصر. ينظر: الحنفي، أحمد شلبي عبدالغني، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر من الوزراء والباشات، ص – ص : 197، 198.

(17) لآغا: كلمة تركية من المصدر أغمق ومعناها الكبر وتقدم السن وقيل: أنها من الكلمة الفارسية (أقا) وجرى العرب على إضافة تاء إليها إذاً وقعت مضافاً تطلق في التركية على الرئيس والقائد وشيخ القبيلة وعلى الخادم الخص الذي يؤذن له بدخول غرف النساء، ينظر: سليان، أحمد السعيد، تأصيل ما رد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، ص 17.

(18) محمد علي بيومي، مرجع سبق ذكره، ص 426.

(19) حمزة باشا: « 1094-1091هـ/1683-1680م» هو أحد الوزراء الذين قدموا إلى مصر فأقام بها والياً إلى أن عزل فكانت مدة ولايته أربع سنوات. ينظر: الحنفي، أحمد شلبي عبدالغني، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر من الوزراء والباشات، ص ص 178-177.

(20) دار الوثائق القومية، الروزنامة، الديوان العالي، سجل الصرة الرومية، رقم 5323، سنة 1173هـ/1759م.

(21) لأرشيف العثماني، تصنيف علي أميري، رقم 1/23955، مؤرخة في أوائل رجب لعام 1175هـ/28 يناير 1762م، بشأن قرار سلطاني للشريف مكة المكرمة باستقبال وفد الحج الشامي وحمايته من قطاع الطرق أثناء وصوله.

(22) يوسف غيوة، **حرائر البلاط العباسي في كتابات الجاحظ**، مجلة جامعة منتوري، (عدد:11) قسطنطينة، الجزائر، (1999م) ص196.

(23) من قطع ذكره، وبقيت أنثياه، وقيل من قطع ذكره وأنثياه.

(24) الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الرسل والملوك**، ت: محمد أبوالفضل إبراهيم، ط2، مصر: دار المعارف، (1969م) ج8، ص99.

(25) ريطة وقيل رائطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثي، من أشراف اليمن، تزوجت بالإمام محمد بن علي العباسي، صاحب الدعوة العباسية، وأنجبت ثلاثة أبناء، منهم عبد الله الأصغر (104هـ/721م) في قرية الحميمة سنة الواقعة ضمن بلاد البلقاء من جند الأردن، انظر: مؤلف مجهول، **أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده**، ت: عبدالعزيز الدوري؛ عبدالجبار المطلبي، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، (1971م) ص٢٣٤.

(26) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، **تاريخ اليعقوبي**، حواشي: محمد أمين ضناوي، بيروت: دار صادر، ط6، (1415هـ/1995م)،ج2، ص349؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، ت: محمد عبد القادر عطا؛ مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية (1412هـ/1992م)، ج7، ص298.

(27) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار جبيل، (1412ه/1992م) ج3، ص1000.

(28) عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو الأصبغ القرشي الأموي، توفي في حدود (110هـ) وأمه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أخت عمر بن عبدالعزيز، ولى إمره دمشق في أيام أبيه، انظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج36، ص368؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن إيبك، **الوافي بالوفيات**، ت: أحمد الأرناؤوط وآخر، بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي، (1420هـ/2000م)، ج18، ص348؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، ت: بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة (1405هـ/1985م)، ج5، ص148.

(29) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج70، ص242؛ ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن علي بن جعفر، **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**، القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، [د.ت] ج2، ص37؛ محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي**، ج5، ص69.

(30) المسعودي، علي بن الحسين، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، مراجعة: كمال حسن مرعي، صيدا، بيروت: المكتبة العصرية، (1425هـ/2005م)، ج3، ص218.

(31) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، **كتاب جمل من أنساب الأشراف**، تحقيق: سهيل زكار، بيروت، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (1417هـ/1996م)، ج4، ص238.

(32) البلاذري، **المصدر السابق**، ص238.

(33) خالد بن برمك: الوزير الكبير أبو العباس الفارسي (ت:165ه) قال الصولي: كان يتهم بدين المجوس، وكان يختلف إلى محمد بن علي الإمام، ثم إلى ابنه إبراهيم بن الإمام، وقال أبو القاسم بن عساكر: وزر خالد للسفاح بعد حفص الخلال، حكى عنه ابنه يحيى، ثم إنه وزر للمنصور سنة وأشهرا، ثم ولاه إمرة بلاد

فارس، واستوزر بعده أبا أيوب المورياني، وقال الذهبي: كان هذا الإنسان من أفراد الرجال رئاسة، ودهاء، وحزما، وخلفه في ذلك أولاده، مات وعمره خمس وسبعين سنة، انظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج7، ص 229.

(34) الجهشياري، محمد بن عبدوس، **كتاب الوزراء والكتاب**، تقديم: حسن الزين، بيروت- لبنان: دار الفكر الحديث (1408هـ/1988م)، ص59.

(35) طرف من وصية أبي جعفر المنصور لابنه المهدي «إني لم أدع شيئا إلا قد تقدمت إليك فيه، وسأوصيك بخصال والله ما أظنك تفعل واحدة منها -وكان له سفط فيه دفاتر علمه، وعليه قفل لا يأمن على فتحه ومفتاحه أحدا، يصر مفتاحه في كم قميصه- فقال للمهدي: «وإياك أن تدخل النساء في مشورتك في أمرك، وأظنك ستفعل» انظر: الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج ٩، ص٣١٩.

(36) أم موسى أروى بنت منصور بن يزيد الحميري، زوجة الخليفة ابو جعفر المنصور، ووالدة جعفر الأكبر (توفي في حياة والده) والخليفة المهدي العباسي، انتقل أبوها منصور الحميري من اليمن إلى القيروان سنة (110هـ/ 709م) هرباً من ملاحقة الأمويين واستقر بها واشتغل بالتجارة في القيروان، ثم وصل القيروان أحد أبناء عبيدالله بن العباس (لم تحدد المصادر اسمه) وتزوج ابنته وأنجب منها ابنة وتوفي في حدود (120هـ/719م) ثم وصل بعد ذلك ابن عمّه عبد الله بن العباس (الخليفة أبو جعفر المنصور) هرباً من ملاحقة الأمويين فنزل أيضاً في بيت منصور، وخطب أروى فاشترط عليه والدها «ألا يتزوج غيرها وألا يتخذ السرايا معها» وإلا فإن طلاقها بيدها على عادة أهل القيروان (الصداق القيرواني) فولدت له الخليفة محمد المهدي العباسي سنة (127هـ) وبقي المنصور على عهده ولم يتزوج بامراة أخرى أو يتخذ جارية له حتى وفاتها سنة (146هـ) فلما ماتت بعد عشر سنين من توليه الخلافة، أهديت إليه مائة بكر، وكان المنصور قد أقطعها الضيعة المسمّاة بالرحبة فوقفتها قبل موتها على المولدات الإناث وهن الأميرات من بني العباس اللواتي لم يتزوجن أو اللواتي مات عليهن بعولتهن وتركن أرامل، وفي غالب الوقت لم يكن للخلفاء عناية كافية بشؤونهن والقيام بنفقاتهن بالرغم من منزلتهن الرفيعة، فينتفعن بريع هذا الوقف، انظر: الجاحظ، عمرو بن بحر، **المحاسن والأضداد**، بيروت: دار إحياء العلوم، ت: محمد سويد، ط2، (1418هـ/1998م) ص 232؛ ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، ط5، ت: عبدالسلام هارون، القاهرة: دار المعارف، (١٩٦٢م)، ص21؛ ابن الأبّار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي، **الحلة السيراء**، ت: حسين مؤنس، ج2، القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، (1963م) ص339.

(37) الأمير جعفر الأكبر بن أبي جعفر المنصور، هو أكبر أبناء الخليفة المنصور ولم يتول الخلافة لموته في عهد ابيه سنة (150هـ/767م) وهو والد السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد، وهو جد الخليفة الأمين، في عهد والده وليّ الموصل سنة (145هـ/762م)، انظر: الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج8، ص32؛ حسني أحمد علي العباسي، **الأساس في أنساب بني العباس**، القاهرة: دار ركابي للنشر، (1421هـ/2000م) ص76؛ سليمان صائغ الموصلي، **تاريخ الموصل**، مصر: المطبعة السلفية، (1342هـ/1923م) ج1، ص70.

(38) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج8، ص87.

(39) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني، **الكامل في التاريخ**، ت: أبي الفداء عبدالله القاضي، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية (2003م/1424هـ)، ج5، ص216.

(40) مسكويه، أبو علي مسكويه الرازي، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، ط2، تحقيق: أبو القاسم إمامي، طهران: دار سروش للطباعة والنشر، (2002-2000م)، ج3، ص144.

(41) ريطة بنت عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ابنة الخليفة العباسي أبو العباس السفاح وأمها أم سلمة المخزومية، تزوجت الخليفة العباسي الثالث أبو عبد الله محمد المهدي سنة 144هـ فأنجبت له عبيد الله بن المهدي، لها أخوين شقيقين اسمه: محمد بن أبي العباس السفاح، ولم يحصل في تاريخ الدولة العباسية ان تزوجت ابنة خليفه عباسي من أحد الخلفاء العباسيين طيلة ما يقرب الخمسة قرون من عمر الدولة العباسية، انظر: الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج8، ص100.

(42) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج8، ص104.

(43) ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص22.

(44) كانت الخيزران بنت عطاء الجرشية، لرجل من ثقيف، فقالت لمولاها الثقفي: «إني رأيت رؤيا» قال: «وما هي؟ قالت: «رأيت كأن القمر خرج من قبلي، وكأن الشمس خرجت من دبري»، قال لها: «لست من جواري مثلي، أنت تلدين خليفتين». فقدم بها مكة، فباعها في الرقيق فاشتريت، وعرضت على المنصور فقال: «من أين أنت» ؟ قالت: «المولد مكة والمنشأ بجرش» قال: «فلك أحد» ؟ قالت: «ما لي أحد إلا الله، وما ولدت أمي غيري» ، قال: «يا غلام اذهب بها إلى المهدي وقل له: «تصلح للولد» ، فأتى بها المهدي، فوقعت منه كل موقع، فلما ولدت موسى وهرون، قالت: «إن لي أهل بيت بجرش» ، قال: «ومن لك» ؟ قالت: «لي أختان اسمهما أسماء وسلسل، ولي أم وأخوان» ، فكتب فأتى بهم، فتزوج جعفر بن المنصور سلسل، فولدت منه زبيدة، واسمها سكينة، تزوجها الرشيد، وبقيت اسماء بكرا، فقال المهدي للخيزران: «قد ولدت رجلين، وقد بايعت لهما، وما أحب أن تبقى أمة، وأحب أن أعتقك، وتخرجين إلى مكة، وتقدمين فأتزوجك» . قالت: «الصواب رأيت» ، فأعتقها وخرجت إلى مكة، فتزوج المهدي أختها أسماء، ومهرها ألف ألف درهم، فلما أحس بقدوم الخيزران، استقبلها فقالت: «ما خبر أسماء وكم وهبت لها» ؟ قال: «من أسماء» ؟ قالت: «امرأتك» ، قال: «إن كانت اسماء امرأتي فهي طالق» ، فقالت له: «طلقتها حين علمت بقدومي» ، قال: أما إذا علمت، فقد مهرتها ألف ألف درهم، ووهبت لها ألف ألف درهم، ثم تزوج الخيزران» انظر: الجاحظ، **المحاسن والأضداد**، ص233.

(45) ابن الأثير، **الكامل**، ج5، ص231.

(46) « قال الواقدي: دخلت يوما على المهدي فدعا بمحبرته ودفتره، وكتب عني أشياء حدثته بها، ثم نهض، وقال: كن بمكانك حتى أعود إليك، ودخل إلى دار الحرم، ثم خرج متنكرا ممتلئا غيظا، فلما جلس، قلت:

يا أمير المؤمنين، خرجت على خلاف الحال التي دخلت عليها؟ فقال: نعم، دخلت على الخيزران فوثبت علي ومدت يدها إلي وخرقت ثوبي، وقالت: يا قشاش، وأي خير رأيت منك؟ وإنما اشتريتها من نخاس ورأت مني ما رأت، وعقدت لابنيها ولاية العهد، ويحك فأنا قشاش؟ قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: « إنهن يغلبن الكرام، ويغلبهن اللئام «، وقال: « خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» وقال: «وقد خلقت المرأة من ضلع أعوج إن قومته كسرته» وحدثته في هذا الباب بكل ما حضرني، فسكن غضبه وأسفر وجهه وأمر لي بألفي دينار، وقال: أصلح بهذه من حالك وانصرفت، فلما وصلت إلى منزلي وافاني رسول الخيزران، فقال: تقرأ عليك ستي السلام، وتقول لك: يا عم قد سمعت جميع ما كلمت به أمير المؤمنين، فأحسن الله جزاءك، وهذه ألفا دينار إلا عشرة دنانير بعثت بها إليك لأني لم أحب أن أساوي صلة أمير المؤمنين، ووجهت إلي بأثواب» انظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواريديها**، تحقيق، ضبط، تعلق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، (1422هـ/2002م) ج16، ص617.

(47) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج8، ص234.

(48) سليمان بن أبي سليمان الخوزي المعروف بـ (أبو أيوب المورياني) تولى الوزارة للمنصور بعد خالد بن برمك، وأحسن القيام بأعمالها، ثم تغير عليه المنصور، فأوقع به وعذبه وأخذ أمواله، وكان لبيبا فصيحا، أصله من موريان إحدى قرى الأهواز، انظر: الجهشياري، **الوزراء**، ص75 وما بعدها؛ ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ت: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، (1971-1900م)، ج2، ص410.

(49) الجهشياري، **الوزراء والكتاب**، ص65 (ولم يؤرخ للحادثة).

(50) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج8، ص230 (وفيه أن الرضاعة كانت من كلا الطرفين)؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج5، ص186.

(51) 30 () الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج8، ص147؛ قويدر بشار، **دور أسرة البرامكة في تاريخ الخلافة العباسية**، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1986-1985م، ص112.

(52) قويدر بشار، **دور أسرة البرامكة**، مرجع سابق، ص125.

(53) جاء في المحاورة: «وأمرت الخيزران أن يقتل من كان تسرع إلى خلع الرشيد ودعا إلى بيعة جعفر بن الهادي، فقال لها يحيى: أو خير من ذلك؟ قالت: وماهو؟ قال: يرمى بهم في نحور الأعداء، فإن دفعوا عن أنفسهم كان لهم في الدفع عنها شغل، وإن أصابهم العدو كنت قد استرحت منهم، فأذنت له في ذلك فتخلص القوم جميعا» انظر: الجهشياري، **الوزراء والكتاب**، ص178.

(54) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج8، ص238.

(55) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج8، ص240؛ مؤلف مجهول، **أخبار الدولة العباسية**، ص392.

(56) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج8، ص275.

(57)أبو عبد الله محمد بن ذؤيب بن محجن بن قدامة الفقيمي الحنظلي الدارمي الشهير بالراجز العماني (197-67هـ/813-686م) من مخضرمي الدولتين، بصري المنشأ، لقب بالعماني لاصفرار لونه، اتصل بهارون الرشيد، وتوثقت صلته به، وشهد بيعة ابنه محمد الأمين بولاية العهد، وصحب الرشيد في غزواته ضد الروم وقد عمر طويلا، انظر: ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ط2، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة: دار المعارف، (1377هـ/1958م) ص755.

(58) الطبري، **المصدر السابق**، ص362؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج3، ص291.

(59)وفي لفظ عند غيره: «والكريم يأكل لحمه، ويمنعه غيره» ولعلها الأصح، انظر: الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج8، ص406.

(60)ابن الأثير، **الكامل**، ج5، ص372

(61)المسعودي، **مروج الذهب**، ج3، ص292

(62)ابن الأثير، **الكامل**، ج6، ص6.

(63)ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**، تحقيق: محي الدين ديب مستو، دمشق، سوريا: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة وزارة الأوقاف القطرية (1436هـ/2015م)، ج10، ص326.

(64)اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص471.

(65)أبو الفدا، **التبر المسبوك في تواريخ الملوك**، ت: محمد زينهم محمد عزب، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية (1415هـ/1995م)، ص456؛ يقول علي بن الجهم: إمامي من له سبعون ألفا *** من الأتراك مشرعة السهام، انظر: الأربلي، عبدالرحمن سنبط قنيتو، **خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك**، تصحيح: مكي السيد جاسم، ط2، بغداد: مكتبة المثنى، (1964م)، ص 222.

(66)اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص478.

(67)قال أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم المصعبي: دعاني المعتصم فأدخلني معه الحمام، ثم خرج فخلا بي وقل: يا إسحاق في نفسي شيء أريد أن أسألك عنه، إن أخي المأمون اصطنع قوما فأنجبوا، واصطفيت أنا مثلهم فلم ينجبوا، قلت: ومن هم؟ قال: اصطنع طاهرا وابنه إسحاق وآل سهل فقد رأيت كيف هم، واصطنعت أنا الأفشين فقد رأيت إلى ما آل أمره، وأشناس فلم أجده شيئا، وكذلك إيتاخ ووصيف، قلت: يا أمير المؤمنين، ههنا جواب، علي أمان من الغضب، قال: لك ذاك، قلت: نظر أخوك إلى الأصول فاستعملها فأنجبت فروعها، واستعملت فروعا لا أصول لها فلم تنجب، فقال: يا أبا إسحاق مقاساة ما مر بي طول هذه المدة أهون علي من هذا الجواب، انظر: الطبري، **مصدر سابق**، ج9، ص122 بتصرف يسير.

(68) الطبري، **مصدر سابق**، ج9، ص175.

(69) ذكر ابن حزم أن المؤيد (الابن الأوسط) كان أكبر سنا من أخيه المعتز بنحو من أربع سنين (محمد بن حزم، **نقط العروس**، ص61) (الطبري، **مصدر سابق**، ج9، ص248) فلا يتصور أن يتقدم ابن الأربع سنين على الأخ الأكبر إلا بوجود ضغوط تمارس في هذا الاتجاه وفي هذه الحالة فإن المتهم والمستفيد الوحيد السيدة قبيحة معشوقة المتوكل وأم المعتز، فمحاولة المتوكل إقصاء ابنه الأكبر سنا المنتصر وتأخيره في ترتيب ولاية العرش وتقديم أخيه الأصغر سنا، لايمكن تبرئة ساحة الجارية قبيحة منها (أم المعتز) ولاسيما إذا عرفنا أن لها حظوة بالغة لدى المتوكل وصاحبة كلمة مسموعة وذات نفوذ وسلطة بل ووصول لخزينة الدولة حيث اكتنزت من المال الشيء الكثير، فمن العجائب لما خلع ابنها ثم قتل (255هـ/869م) طلبها الأتراك لاستخلاص ما لديها من أموال ثم استدلوا على إحدى خزائنها المخفية كما في تاريخ الرسل:» أخذ الرجل فاسا ينقر به الحيطان يطلب موضعا قد ستر فيه المال، فلم يزل كذلك حتى وقع الفأس على مكان في الحائط استدل بصوته على ان فيه شيئا، فهدمه و إذا من ورائه باب، ففتحناه و دخلنا اليه، قادنا الى سرب وصرنا الى دار تحت الدار التي دخلناها على بنائها و قسمتها، فوجدنا من المال على رفوف في أسفاط زهاء الف الف دينار، فاخذ احمد منها و من كان معه قدر ثلاثمائة الف دينار، و وجدنا ثلاثة أسفاط: سفطا فيه مقدار مكوك زمرد الا انه من الزمرد الذى لم أر للمتوكل مثله و لا لغيره، و سفطا دونه فيه نصف مكوك حب كبار، لم أر والله للمتوكل ولا لغيره مثله، وسفطا دونه فيه مقدار كيلجة ياقوت أحمر لم أر مثله، و لا ظننت ان مثله يكون في الدنيا، فقومت الجميع على البيع، فكانت قيمته الفى الف دينار، فحملناه كله الى صالح، فلما رآه جعل لا يصدق ولا يوقن حتى احضر بحضرته ووقف عليه، فقال عند ذلك: فعل الله بها و فعل، عرضت ابنها للقتل في مقدار خمسين الف دينار، وعندها مثل هذا في خزانة واحدة من خزائنها» انظر (الطبري، **مصدر سابق**، ج9، ص395) هذا ماوجده الباحثون مخبأ في خزانة واحدة على حين غفلة والله أعلم ببقية الأموال والذخائر ومع كل تلك الثروة المخبأة إلا أنها بخلت بها على ابنها حين أزمته وضنت عليه بالمال حتى شغب عليه العساكر وعزلوه وحبسوه وعذبوه حتى قتل صبرا

(70) الطبري، مصدر سابق، ج9، ص225.

(71) تتجه الأصابع صوب جارية المتوكل الأثيرة: قبيحة، كعادة النساء المدللات تفرض وجودها ملتصقة، مطلعة، مراقبة لكل شيء، كانت السيدة قبيحة ترقب عن كثب ما يدور في مجلس الخلافة من أحداث وتراقب الأوضاع من خلف الستارة، قال الذهبي « ثم جلس للشرب، وعمل فيه النبيذ، وغني صوتا أعجبه فبكى، فتطيرت من بكائه، إذ بعثت إليه قبيحة بخلعة استعملتها له دراعة حمراء خز، ومطرف خز، فلبسها، ثم جذب المطرف فخرقه من طرفه إلى طرفه وقال: اذهبوا ليكون كفني» انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ت: بشار عواد معروف، بيروت: دار صادر (2003)، ج5، ص1100.

(72) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج5، ص1099.

(73) ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ت: قاسم السامرائي، القاهرة: دار الأفاق العربية، (1419هـ/1999م)، ص115.

(74) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج9 ص256.

(75) الطبري، مصدر سابق، ج9، ص362.

(76) الطبري، مصدر سابق، ج9، ص390.

(77) السيدة شغب رومية وقيل تركية واسمها (ناعم) وصلت عن طريق تجار الرقيق بغداد إلى ملك أم القاسم إحدى سيدات بغداد قال الطبري «ولدت ناعم جارية أم القاسم بنت محمد بن عبدالله للمعتضد ابنا سماه جعفرا، فسمى المعتضد هذه الجارية شغب» بعد ولادتها ابن الخليفة لأنها كانت لا تفتأ تثير المتاعب في القصر لغيرتها عقب مجيء قطر الندى بنت خمارويه وانضمامها لنساء القصر، ولقب السيدة إذا أطلق كان علما على الجارية شغب عقب ارتقاء منصبها بعد أن أصبحت أم ولد الخليفة وكان قصر الخلافة يعج بمؤامرات الحريم حيث لقي العديد من النساء حتفهن بالسم، خصوصا من تلد منهن ذكرا، مثل: قبول أم الخليفة القاهر بالله وقد تم ضم القاهر إلى قصر شغب وقامت بتربيته مع ابنها، لم يكن للسيدة شغب أية نشاط سياسي أو تصرفات مالية فائقة زمن الخليفة المعتضد صاحب الشخصية القوية، فلما تولى ابنها الخلافة والفوضى التي أحدثها الأتراك وسادت مؤسسات الخلافة سمح لأصحاب الشخصيات القوية بالظهور ومن هنا برز دور السيدة شغب، حيث كان لها ديوان خاص يدير شؤونه كاتب قدير وهو أحمد بن العباس بن الحسن، كما كان لها قهرمانة قديرة صاحبة عقل وحكمة وتدبير تسعى على إدارة شؤون القصر وحلقة الاتصال بالخليفة فما دونه، لعبت أدوارا خطيرة في تثبيت حكم ابنها الخليفة المقتدر في الانقلاب الأول، كما أزالت عددا من الوزراء عن مناصبهم، وكانت تتقاضى أموالا لقاء توليه المناصب في الدولة وتعمل على المصادرات، كما مكنت أخيها واسمه (غريب) في دولة الخلافة هو وابنه هارون وأصبح لهما شأن كبير، وأخبار السيدة شغب السياسية يطول ذكرها انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج10، ص42؛ الجهشياري، الوزراء، ص149؛ المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على، التنبه والأشراف، ت: عبدالله إسماعيل الصاوي، القاهرة: دار الصاوي [د.ت] ص326؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص14؛ الصابي، الهلال بن المحسن، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ت:عبدالستار أحمد فراج، [د.م] مكتبة الأعيان، ص30؛ ابن العمراني، ص135؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص231، 266؛ النويري، أحمد بن عبدالوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، ت: مفيد قميحة، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، (2004م/1424هـ)، ج6، ص187؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص108؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص405؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج16، ص98.

(78) ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص4.

(79) ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص60.

(80) لم أجد له ترجمة.

(81) ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص199.

(82) عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحفة الوزراء، ت: حبيب علي الراوي؛ ابتسام مرهون الصفار، (1427هـ2006-م)، بيروت-لبنان: الدار العربية للموسوعات، ص93.

(83) ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص63.

(84) عريب القرطبي، عريب بن سعد، صلة تاريخ الطبري، مصر: دار المعارف، ط2، (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ص159؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، حواشي: خليل شحادة، بيروت، لبنان: دار الفكر، (1421هـ/2000م)، ج3، ص485.

(85) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج3، ص486.

(86) عريب القرطبي، المصدر السابق، ص28.

(87) ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص306.

(88) ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص103.

(89) ابن إيبك الدواداري، عبدالله بن أيبك، كنز الدرر وجامع الغرر، ت: بيرند راتكه، القاهرة: مطعبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (1402هـ/1982م)، ج5، ص364.

(90) المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص248.

(91) ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص335.

(92) الهمداني، محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد، تكملة تاريخ الطبري، ت: محمد أبوالفضل إبراهيم، بيروت- لبنان: دار سويدان ، ص284.

(93) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص76.

(94) ابن الجوزي، المنتظم، ج13، 318.

(95) واسمه كاملا: أحمد بن علي الكوفي، انظر: الصولي، أبوبكر محمد بن يحيى، قسم أشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق، نشر: هيورث دن، (د.م) مطبعة الصاوي، (1936م)، ج2، ص186.

(96) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص233؛ ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، ت: مصطفى جواد، بغداد: المؤسسة العامة للصحافة والطباعة- مطبعة الحكومة (1390هـ/1970م)، ص183.

(97) الصولي، محمد بن يحيى، أخبار الراضي بالله والمتقي لله أو تاريخ الدولة العباسية، ت: ج. هيورث دن.، بيروت: دار المسيرة، (1399هـ-1979م) ص187؛ مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص233؛ الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص324.

(98) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص3؛

(99) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، بيروت: دار ابن حزم، (1424هـ/2003م) ص605.

(100) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص237.

(101) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص204؛ وعند مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص244 اسمه (كورنكيج) واسمه (كورنكج) عند الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص330؛ واسمه عند ابن الأثير (كورتكين) الكامل، ج7، ص156؛ وهو كذلك عند ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص145.

(102) وينسبه غيره إلى الترك فيقول: «الأمير أبو الوفاء توزون التركي» انظر: ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص177؛ وكذا الحال عند ابن العبري، قال: «وفيها خلع المتقي على توزون الأمير التركي وجعله أمير الأمراء» انظر: غريغوريوس بن أهرون الملطي ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، حواشي: خليل المنصور، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، (1418ه1997-م) ص147، والباحث يعتقد خطأ هذه النسبة والصحيح ما ثبت في المتن، وهو ما أورده العديد من المؤرخين من أن توزون ينحدر من أصل ديلمي، والله أعلم.

(103) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص13؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص144.

(104) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص168؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج12، ص151.

(105) هو: أحمد بن عبدالله بن إسحاق الخرقي، ينسب إلى خرق وهي قرية كبيرة بمرو، انظر: النويري، نهاية الأرب، ج23، ص101.

(106) واسمه كاملا: أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد، انظر: الصولي، كتاب الأوراق، ج2، ص198.

(107) اسم هذه المرأة حسن، أصلها من شيراز وهي حماة أبي أحمد الفضل بن عبدالرحمن الشيرازي، لما تمت خلافة المستكفي غيرت اسمها إلى «علم» وصارت قهرمانة المستكفي واستولت على أمره كله، انظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص270.

(108) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص269.

(109) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص188.

(110) لما كان بعض العقلاء يعاتب الخليفة في إطلاق يد علم الشيرازية في الدولة فكان يجيب خفوا علي فإنما وجدتها في الشدة، ووجدتكم في الرخاء، وهذه الدنيا التي بين يدي هي التي سعت لي فيها حتى حصلت، أفأبخل عليها ببعضها، انظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، نكث الهميان في نكت العميان، تعليق وحواشي: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م) ص183.

(111) وقالت هنا رجل من أولاد الخلفاء ومدحته وأثنت على صفاته، ورشحت تنصيبه خليفة وعزل المتقي لله، لأنه سيخرج لهم الأموال المخبأة لأجل تسيير أمور الدولة المترنحة، ثم تقابل أبو العباس التميمي، مع المرأة وسمع كلامها، فكان من وصفها، أنها تتكلم بالعربية والفارسية من أهل شيراز جزلة شهمة فهمة، فطلب بمقابلة المرشح للخلافة، فقابله من النهار التالي فكان من وصفه أنه، رجل حصيف فهم يتشيّع عارف بأمور، ودعم ترشيح نفسه للمنصب بقوله: أنا رجل فقير وإنّما أعرف وجوه أموال لا

يعرفها غيري وأعرف من ذخائر الخلافة في يد قوم لا يعرفهم غيري، وأنّ وجوهها صحيحة بلا أدنى شك (عند هذا الحد تأكد الوسيط من أمر البديل المحتمل والمنفعة من ورائه المرتقبة) يقول فلما عرفت صحته صرت إلى توزون انظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص270؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص187.

(112) أورد الهمذاني شهادة أحد المعاصرين في حق الخليفة المستكفي بالله: « قال ابن البهلول: كنا إذا كلمنا المستكفي وجدنا كلامه كلام العيارين، وكان جلدا بعيد الغور والحيلة، وكان يلعب قبل الخلافة بالطيور ويرمي بالبندق ويخرج إلى البساتين للفرجة واللعب، وكان لاينفق على الجواري غير السودان، ولا يعاشر غير الرجال» تكملة تاريخ الطبري، ص354، وتلك صفات تعد عند أهل ذلك الزمان من خوارم المروءة ولا تليق بعظماء الرجال.

(113) يعتقد الباحث أن للصولي أسبابه الخاصة لإصدار مثل هذا الحكم المجحف على الخليفة في حكمه، وذلك لعدة اعتبارات، أولها أن الصولي لأسباب غير معروفة حرم عطاء التسمية، فقد اجتهد في عمل قائمة من الكنى ليختار الخليفة أحدها «فقال لي البرجمالي في عشية الثلاثاء اختر للخليفة اسما فكتبت له رقعة فيها ثلاثون اسما وكتبت مثلها ودفعت واحدة إليه وأنفذت الأخرى إلى أحمد بن محمد بن ميمون، وضمنا لي إخراج حق التسمية، وما وفيا لي من ذلك بقليل ولا كثير، ولا عوضاني ولا شفعا لي ولا أذكراني! ثم في حفل التنصيب ومهرجان الشعراء جاءت الثانية، يقول الصولي: «ودخلت من الغد أنا وجماعة من المرسومين بالمجالسة فبايعناه، فاستأذنته في الإنشاء فأذن فأنشدته: شهيداه إن لم تظلميه نحول ... ودمع له في وجنتيه هموله وهي قصيدة كنت مدحت بها المكتفي بالله، فلما دخلت قال لي ابن ميمون أما عملت شعرا؟ وما كنت عملت - فقلت أعمل الساعة فقلبت مواضع القصيدة وكتبتها: أيرضيك أن تضني فدام لك الرّضا... إلى أن قال: فجعلت إذكاري له تسميتي آخر القصيدة ليفهمه، فوالله ما وصل إلي منه عاجل ولا آجل شيئا، حتى انقضت أيام ولايته» المصدر السابق، ص191؛ ثم جاءت الثالثة ولعلها التي قضت على كل مطمع للصولي وغيره وذلك استغناء الخليفة عن الندماء حيث لم يأذن في مجلسه لأحد منهم: «قال: لا أريد أحدا من الجلساء حسبي المصحف نديمي، لا أريد نديما غيره، فقعد عنه الجلساء والندماء» انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص144 وكان الصولي فيما مضى مقربا من الخليفة السابق (الراضي) يغشى مجلس الخلافة وينهل من خيرات الدولة، وكل ذلك أصبح غير ممكن في زمن الخليفة المتقي لله، فمن كلماته المحفوظة: « ولما رأيت أنا أن المتقي لله لا يريد جليسا، وما سمع بخليفة قد قال: لا أريد جليسا، أنا أجالس المصحف! أفتراه ظن أن مجالسة المصحف خص به دون آبائه وأعمامه الخلفاء. وكان وحده دونهم، أو أن هذا الرأي غمض عليهم وفطن هو وحده له؟ فاستأذنت في الخروج فأذن لي. ولقد كنا وقوفا بين يدي المتقي فقال لنا بعض الخدم: ليس هذا مثل الراضي هذا لا يريد الجلساء، فقلت لهم لئن كان هذا الأمر كما زعمتم فإنه رديء لنا ورديء لكم، وأعظم الأمر أنه رديء على الخليفة وعائد بخلاف ما يهواه ويقدره، فما زال بعض الخدم يقصدني ويقول لي كان الأمر كما قلت لنا» انظر: الصولي، كتاب الأوراق، ج2، ص193

(114) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص282-281.

(115) الموقع على نهر عيسى من أعمال بادوريا بإزاء القرية المعروفة بالسندية، انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص283.

(116) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص282.

(117) هكذا جاءت ولعله تصحيف والمقصود: أقامنا، ليستقيم المبنى ويفهم المعنى.

(118) الصفدي، نكث الهميان، ص96، وقد انفرد بهذا الخبر حيث لم يجده الباحث في غيره من المصادر.

(119) الخليفة المغدور: محمد الراضي هو ابن الخليفة جعفر المقتدر، عم الخليفة عبدالله المستكفي، انظر: ابن الكازورني، مختصر التاريخ، ص200.

(120) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص273.

(121) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص448.

(122) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص43.

(123) مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص275.

(124) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص45.

(125) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص207.

(126) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص355.

المصادر والمراجع:

(1) ابن الأبّار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي. الحلة السيراء، ت: حسين مؤنس، ج2، القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، (1963م)

(2) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، ت: أبي الفداء عبدالله القاضي، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية (2003م/1424هـ)

(3) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ت: محمد عبد القادر عطا؛ مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية (1412هـ/1992م)

(4) ابن العبري، غريغوريوس بن أهرون الملطي، تاريخ مختصر الدول، حواشي: خليل المنصور، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، (1418هـ-1997م)

(5) ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، القاهرة: دار الأفاق العربية، (1419هـ/1999م)

(6) ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، ت: مصطفى جواد، بغداد: المؤسسة العامة للصحافة والطباعة- مطبعة الحكومة (1390هـ/1970م)

(7) ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد، رسائل ابن حزم، الرسالة الأولى نقط العروس، ت: إحسان عباس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2 (1987م)

(8) ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ط5، ت: عبدالسلام هارون، القاهرة: دار المعارف، (١٩٦٢م)

(9) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، حواشي: خليل شحادة، بيروت، لبنان: دار الفكر، (1421هـ/2000م)

(10) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، (1971-1900م)

(11) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار جبيل، (1412هـ/1992م)

(12) ابن عساكر، علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، ت: محب الدين أبوسعيد عمر بن غرامة المعروى، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (1415هـ/1995م)

(13) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة: دار المعارف، ط2، (1377هـ/1958م)

(14) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: محي الدين ديب مستو، دمشق، سوريا: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة وزارة الأوقاف القطرية (1436هـ/2015م)

(15) ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن علي بن جعفر، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، [د.ت]
(16) أبو الفدا، التبر المسبوك في تواريخ الملوك، ت: محمد زينهم محمد عزب، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية (1415هـ/1995م)
(17) الاربلي، عبدالرحمن سنبط قنيتو، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، تصحيح: مكي السيد جاسم، ط2، بغداد: مكتبة المثنى، (1964م)
(18) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، كتاب جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، بيروت، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (1417هـ/1996م)
(19) الثعالبي، عبدالملك بن محمد بن إسماعيل، تحفة الوزراء، ت: حبيب علي الراوي؛ ابتسام مرهون الصفار، بيروت-لبنان: الدار العربية للموسوعات (1427هـ/2006م)
(20) الجهشياري، محمد بن عبدوس، كتاب الوزراء والكتاب، تقديم: حسن الزين، بيروت- لبنان: دار الفكر الحديث (1408هـ/1988م)
(21) حسني أحمد علي العباسي، الأساس في أنساب بني العباس، القاهرة: دار ركابي للنشر، (1421هـ/2000م)
(22) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وورادها، ت: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي (1422هـ/2001م)
(23) الدواداري، عبدالله بن أيبك، كنز الدرر وجامع الغرر، ت: بيرند راتكه، القاهرة: مطعبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (1402هـ/1982م)
(24) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار صادر (2003)
(25) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ت: بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة،(1405هـ/1985م)
(26) شاكر، محمود شاكر الحرستاني، التاريخ الإسلامي، بيروت: المكتب الإسلامي، ط8 (1421هـ/2000م)
(27) الصابي، الهلال بن المحسن، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ت:عبدالستار أحمد فراج، [د.م] مكتبة الأعيان
(28) الصفدي، صلاح الدين خليل بن إيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وآخر، بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي، (1420هـ/2000م)
(29) الصفدي، صلاح الدين خليل بن إيبك، نكث الهميان في نكت العميان، تعليق وحواشي: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، (1428هـ/2007م)
(30) الصولي، أبوبكر محمد بن يحيى، قسم أشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق، نشر: هيورث دن، (د.م) مطبعة الصاوي، (1936م)

(31) الصولي، أبوبكر محمد بن يحيى، من أخبار الراضي لله والمتقي لله من كتاب الأوراق، تحقيق: ج. هيورث. دن، بيروت: دار المسيرة، ط2، (1399هـ/1979م)
(32) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، ط2، مصر: دار المعارف، (1969م)
(33) عمرو بن بحر الجاحظ، المحاسن والأضداد، بيروت: دار إحياء العلوم، ت: محمد سويد، ط2، (1418هـ/1998م)
(34) القرطبي، عريب بن سعد، صلة تاريخ الطبري، مصر: دار المعارف، ط2، (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)
(35) قويدر بشار، دور أسرة البرامكة في تاريخ الخلافة العباسية، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1986-1985م، ص112.
(36) المسعودي، علي بن الحسين، التنبيه والأشراف، تصحيح: عبدالله إسماعيل الصاوي، القاهرة: دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف، (1357هـ/1938م)
(37) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة: كمال حسن مرعي، صيدا، بيروت: المكتبة العصرية، (1425هـ/2005م)
(38) مسكويه، أبو علي مسكويه الرازي، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ط2، تحقيق: أبو القاسم إمامي، طهران: دار سروش للطباعة والنشر، (2002-2000م)
(39) الموصلي، سليمان صائغ، تاريخ الموصل، مصر: المطبعة السلفية، (1342هـ/1923م)
(40) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، ت: عبدالعزيز الدوري؛ عبدالجبار المطلبي، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، (1971م)
(41) النويري، أحمد بن عبدالوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، (2004م/1424هـ)
(42) الهمذاني، محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد، تكملة تاريخ الطبري، ت: محمد أبوالفضل إبراهيم، بيروت- لبنان: دار سويدان
(43) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، تاريخ اليعقوبي، حواشي: محمد أمين ضناوي، بيروت: دار صادر، ط6، (1415هـ/1995م)
(44) يوسف غيوة، حرائر البلاط العباسي في كتابات الجاحظ، مجلة جامعة منتوري، (عدد:11) قسطنطينة، الجزائر، (1999م) ص196.

Sources and references:

(1) Abu Al-Fida, Al-Tabir Al-Masuk fi Tarikh Al-Muluk, edited by : Muhammad Zainhum Muhammad Azab, Cairo: Library of Religious Culture (1415 AH/1995 AD)

(2) Al Masoudi, Ali bin Al-Hussein , Al-Tanbih wa Al-Ashraf, edited by: Abdullah Ismail Al-Sawy, Cairo: Dar Al-Sawy for Printing, Publishing and Authoring, (1357 AH/1938 AD)

(3) Al Masoudi, Ali bin Al-Hussein , Meadows of Gold and Substantial Minerals, Reviewed by: Kamal Hassan Mari, Sidon, Beirut: Modern Library, (1425 AH/2005 AD) Miskawayh, Experiences of Nations,

(4) Al-Arbali, Abd al-Rahman Sanbat Qanito , Summary of Cast Gold , a summary of the biographies of the Kings , edited by: Makki al-Sayyid Jassim, 2nd edition, Baghdad: Al-Muthanna Library, (1964 AD)

(5) Al-Baladhuri, Ahmed bin Yahya bin Jaber , Book of Sentences from the Genealogies of the Nobles, edited by: Suhail Zakkar, Beirut, Lebanon: Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution (1417 AH/1996 AD)

(6) Al-Dawadari, Abdullah bin Aybak , Treasure of Pearls and Jami' al-Ghurar, edited by : Bernd Rathke, Cairo: Issa al-Babi al-Halabi and Partners Restaurant, (1402 AH/1982 AD)

(7) Al-Dhahabi, Shams al-Din Muhammad bin Ahmed bin Othman , Biographies of Noble Figures, edited by : Bashar Awad Maarouf, Beirut: Al-Resala Foundation, (1405 AH/1985 AD)

(8) Al-Hamdhani, Muhammad bin Abdul-Malik bin Ibrahim bin Ahmed, Completion of the History of Al-Tabari, edited by : Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Beirut - Lebanon: Dar Suwaydan.

(9) Al-Jahiz, Amr bin Bahr , Advantages and Opposites, Beirut: Dar Ihya' al-Ulum, edited by : Muhammad Suwayd, 2nd edition, (1418 AH/1998 AD)

(10) Al-Jahshiyari, Muhammad bin Abdos , The Book of Ministers and Writers, presented by: Hassan Al-Zein, Beirut - Lebanon: Dar Al-Fikr Al-Hadith (1408 AH / 1988 AD) Hosni Ahmed Ali Al-Abbasi, The Foundation in the Genealogies of Banu Al-Abbas, Cairo: Rikabi Publishing House, (1421 AH / 2000 AD)

(11) Al-Khatib Al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmad bin Ali bin Thabit , the history of the city of peace and the news of its innovators and the mention of its inhabitants, scholars other than its people and its importers, edited by : Bashar Awad Ma'rouf, Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami (1422 AH / 2001 AD)

(12) Al-Mawsili, Suleiman Sayegh , History of Mosul, Egypt: Salafi Press, (1342 AH / 1923 AD)

(13) Al-Nuwairi, Ahmed bin Abdul-Wahhab , The End of Arabism in the Arts of Literature, edited by: Mufid Qamiha, Beirut, Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, (2004 AD/1424 AH)

(14) Al-Qurtubi, Oraib bin Saad , Silah al-Tarikh al-Tabari, Egypt: Dar al-Maaref, 2nd edition, (1387 AH/1967 AD)

(15) Al-Sabi, Al-Hilal bin Al-Muhsin , The Ministers or the Masterpiece of Princes in the History of the Ministers, verified by : Abdel Sattar Ahmed Farraj, [D.M] Notables Library

(16) Al-Safadi, Salah al-Din Khalil bin Ibak , Al-Hamyan broke the jokes of the blind , commentary and footnotes: Mustafa Abdul Qadir Atta , Beirut - Lebanon : Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, (1428 AH / 2007 AD)

(17) Al-Safadi, Salah al-Din Khalil bin Ibak , Al-Wafi bi al-Wafiyat, edited by: Ahmed Al-Arnaout and another, Beirut, Lebanon: Arab Heritage Revival House, (1420 AH/2000 AD)

(18) Al-Souli, Abu Bakr Muhammad bin Yahya , from the news of the one who is satisfied with God and the one who fears God from the Book of Papers, edited by: C. Hayworth. Den, Beirut: Dar Al Masirah, 2nd edition, (1399 AH/1979 AD)

(19) Al-Souli, Abu Bakr Muhammad bin Yahya , section of the poems of the sons of the caliphs from the Book of Papers, published by: Hayworth Dunn, (D.M.) Al-Sawy Press, (1936 AD)

(20) Al-Tabari, Muhammad bin Jarir , History of the Messengers and Kings, edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, 2nd edition, Egypt: Dar al-Maaref, (1969 AD)

(21) Al-Thaalabi, Abdul Malik bin Muhammad bin Ismail , The Masterpiece of Ministers, achieved by : Habib Ali Al-Rawi; Ibtisam Marhoon Al-Saffar, Beirut-Lebanon: Arab Encyclopedia House (1427 AH/2006 AD)

(22) Al-Yaqubi, Ahmad bin Abi Yaqoub, Ishaq bin Jaafar bin Wahb bin Wadh , History of Al-Yaqubi, footnotes: Muhammad Amin Dennawi, Beirut: Dar Sader, 6th edition, (1415 AH/1995 AD)

(23) Anonymous author, News of the Abbasid State, containing news of Abbas and his son, verified by : Abdulaziz Al-Douri; Abdul-Jabbar Al-Muttalabi, Beirut: Dar Al-Tali'ah for Printing and Publishing, (1971 AD)

(24) Bashar, Qwaider , The Role of the Baramuk Family in the History of the Abbasid Caliphate, Master's Thesis, Institute of History, University of Algiers, 1985-1986 AD, p. 112.

(25) golden, Shams al-Din Muhammad bin Ahmed bin Othman , The History of Islam and the Deaths of Celebrities and Notables, edited by: Bashar Awad Marouf, Beirut: Dar Sader (2003)

(26) Ibn Abd al-Barr, Youssef bin Abdullah bin Muhammad , Absorption in the Knowledge of Companions, edited by: Ali Muhammad al-Bajjawi, Beirut: Dar Jbeil, (1412 AH / 1992 AD)

(27) Ibn Al-Abar, Muhammad bin Abdullah bin Abi Bakr Al-Qadha'i , Al-Hillah Al-Sira', edited by : Hussein Mu'nis, vol. 2, Cairo: Arab Printing and Publishing Company, (1963 AD)

(28) Ibn al-Abri, Gregory ibn Aharun al-Malti , Mukhtasar al-Dawla's History, footnotes: Khalil al-Mansur, Beirut-Lebanon, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, (1418 AH - 1997 AD)

(29) Ibn al-Atheer, Ali bin Abi al-Karam Muhammad bin Muhammad bin Abdul Karim bin Muhammad bin Abdul Karim bin Abdul Wahid al-Shaybani , Al-Kamil fi al-Tarikh, edited by : Abu al-Fida Abdullah al-Qadi, Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah (2003 AD/1424 AH)

(30) Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman bin Ali bin Muhammad , The Regulator in the History of Nations and Kings, edited by : Muhammad Abd al-Qadir Atta. Mustafa Abdel Qader Atta, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah (1412 AH/1992 AD)

(31) Ibn Al-Kazrouni, Zahir al-Din Ali bin Muhammad al-Baghdadi , A Brief History from the Beginning of Time to the End of the Abbasid State, edited by : Mustafa Jawad, Baghdad: General Institution for Press and Printing - Government Press (1390 AH/1970 AD)

(32) Ibn Al-Omrani, Muhammad bin Ali bin Muhammad , Al-Anbaa fi Tarikh Al-Khalifa, edited by: Qasim Al-Samarrai, Cairo: Dar Al-Afaq Al-Arabiya, (1419 AH/1999 AD)

(33) Ibn Asakir, Ali Ibn Al-Hassan Ibn Hibat Allah Ibn Abdullah Al-Shafi'i , the history of the city of Damascus, mentioning its virtues and naming those who settled in it from the likes or passed through its areas from its inhabitants and its people, edited by : Muhib Al-Din Abu Saeed Omar Ibn Gharamah Al-Maarawi, Beirut: Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution (1415 AH/1995 AD)

(34) Ibn Hazm , Ali bin Ahmed bin Saeed Al-Andalusi, Jamharat Ansab Al-Arab, 5th edition, verified by : Abdel Salam Haroun, Cairo: Dar Al-Maaref, (1962 AD)

(35) Ibn Hazm Al-Andalusi, Ali bin Ahmed bin Saeed , The Epistles of Ibn Hazm, The First Epistle , Nuqt al-Arous , edited by : Ihsan Abbas , Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing, 2nd edition (1987 AD)

(36) Ibn Kathir , Abu Al-Fida Ismail bin Omar , The Beginning and the End, edited by: Mohieddin Deeb Masto, Damascus, Syria: Dar Ibn Kathir for Printing, Publishing and Distribution, printed by the Qatari Ministry of Endowments (1436 AH/2015 AD)

(37) Ibn Khaldun, Abd al-Rahman bin Muhammad , Diwan al-Mubtada wa al-Khabar in the history of the Arabs and Berbers and those of greatest importance to their contemporaries, footnotes: Khalil Shehadeh, Beirut, Lebanon: Dar al-Fikr, (1421 AH/2000 AD)

(38) Ibn Khallikan, Ahmed bin Muhammad bin Ibrahim bin Abi Bakr , Deaths of Notables and News of the Sons of the Time, edited by : Ihsan Abbas , Beirut: Dar Sader, (1900-1994 AD)

(39) Ibn Makula, Ali bin Hibatullah bin Ali bin Jaafar , Al-Ikmaal fi Removing Doubt about the Synonyms and the Different in Names, Surnames and Genealogies, Cairo: Al-Farouq Al-Hadeeth for Printing and Publishing, [ed. T]

(40) Ibn Qutaybah, Poets and Poets, edited by: Ahmed Muhammad Shaker, Cairo: Dar Al-Maaref, 2nd edition, (1377 AH/1958 AD)

(41) Shaker, Mahmoud Shaker Al-Haristani , Islamic History, Beirut: Al-Maktab Al-Islami, 8th edition (1421 AH/2000 AD)

(42) temptation, Youssef , The Silks of the Abbasid Court in the Writings of Al-Jahiz, Mentouri University Journal, (Issue: 11), Constantine, Algeria, (1999), p. 196.

دور بركة بنت ثعلبة ـرضي الله عنهاـ في العهد النبوي (12ق.هـ - 11هـ/ 611 - 632م) (دراسة تاريخية حضارية)

أ.سامية عبدالرازق عبدالغفور عبدالستار

باحثة – قسم التاريخ والآثار – كلية العلوم الاجتماعية
جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية

مستخلص:

تسعى هذه الدراسة لإبراز دور حاضنة الرسول ﷺ أم أيمن بركة بنت ثعلبة في العهد النبوي (١٢ق. هـ - ١١هـ/ ٦١١- ٦٣٢م)، فمنذ بعثة المصطفى ﷺ كانت من أوائل من آمن به وظلت مرافقة له حتى مماته، علاوة على ذلك فقد رافقت أهل بيته وبناته، فكانت بجانب فاطمة -رضي الله عنها- يوم زفافها، وشاركت في تجهيز جنازة زينب بنت رسول الله، وعندما أُذن للمسلمين بالهجرة هاجرت -رضي الله عنها- إلى المدينة المنورة، وروت عن النبي ﷺ بعض الأحاديث، وكان ممن روى عنها أنس بن مالك، وحين شُرع الجهاد في سبيل الله شهدت بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- عدد من المغازي مع رسول الله، و كانت لها مشاركات فعالة في أرض المعركة لا سيّما في سقاية العطشى، ومداواة الجرحى، ولقد استُشهد ابنها أيمن في غزوة حنين، واختار الرسول ﷺ ابنها أسامة بن زيد -رضي الله عنه- لإمارة جيش المسلمين لغزو الروم في الشام وهو لم يتجاوز العشرين من عمره. وقد استخدمت الدراسة المنهج التاريخي المعتمد على التحليل من خلال تتبع أخبار بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- المتناثرة في كتب الحديث والتاريخ والسير ومن ثم تحليلها لإبراز دورها في العهد النبوي، ووصلت الباحثة لعدد من النتائج كان من أهمها: تمتلك بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- شخصية متوازنة بارعة مكنتها من تقديم دور بارز في العهد النبوي، فبروحها الحانية استطاعت أن تحظى بقرب وتقدير النبي ﷺ وآل بيته وصحابته الكرام، وبتعدد مواهبها وتنوع خبراتها أسهمت مع من حولها في مختلف مواقف الحياة -في السلم والحرب وفي الأفراح والأحزان-، وبهمتها العالية سعت لإيقاظ الهمم وإحياء الحماسة في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم.

الكلمات المفتاحية: أم أيمن، بركة، حاضنة، العهد النبوي، الصحابيات.

The role Baraka bint Tha’labah during the Prophet’s era (12 BC - 11 AH / 611-632 AD) (A historical-civilizational study)

A. Samia Abdulrazzag Abdalghafoor Abdulsattar

Abstract:

This study seeks to highlight the role of Umm Ayman Baraka bint Tha’labah, the Prophet’s incubator, during the Prophet’s era (12 BC - 11 AH / 611-632 AD). Since the mission of the prophet, peace and blessings of Allah be upon him, she was one of the first to believe in him and

continued to accompany him until his death. Moreover, she accompanied his household and daughters, and was by Fatima's side - may Allah be pleased with her - on her wedding day. She participated in preparing the funeral of Zainab, daughter of the Messenger of Allah. When Muslims were given permission to migrate, she migrated to Medina. She narrated some hadiths on the authority of the Prophet, peace and blessings of Allah be upon him, and Anas bin Malik was among those who narrated them. When jihad for the sake of Allah was legalized, Baraka bint Tha'labah - may Allah be pleased with her - witnessed a number of invasions with the Messenger of Allah, peace and blessings of Allah be upon him, and she had actively participated on the battlefield, quenching thirst and treating the wounded. Her son Ayman was martyred in the Battle of Honayn, and the Messenger of Allah, peace and blessings of Allah be upon him, chose her son Osama bin Zaid - may Allah be pleased with him - to command the Muslim army while invading the Romans in the Levant, though he was only twenty. The study used the historical approach that relies on analysis by tracking the news of Baraka bint Tha'labah - may Allah be pleased with her - scattered in books of hadith, history, and biographies, and then analyzing them to highlight her role in the Prophet's era. The researcher came up with a number of findings, the most important of which are: Baraka bint Tha'labah - may Allah be pleased with her - had a well-balanced accomplished personality that enabled her to play a prominent role in the Prophet's era. Thanks to her caring spirit, she was able to enjoy the proximity and appreciation of the Prophet, peace and blessings of Allah be upon him, his family, and his esteemed companions. Through her multiplicity of talents and diversity of experiences, she contributed to those around her in various life situations - in peace and war, joys and sorrows. With high spirits, she sought to awaken determination and revive enthusiasm in the souls of the companions, may Allah be pleased with them.

Keywords: Umm Ayman, Baraka, incubator, the Prophet's era, female companions.

مقدمة:

الحمد لله القائلِ في محكم التنزيل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[1]، وصلى الله على مُحمّد بن عبد الله القائل: »إنما النّساء شقائقُ الرّجال«[2].

على مر التاريخ، وتتابع الأمم والحضارات، لم يوجد دينًا أو مذهبًا أو حضارةً أو قانونًا صان حقوق المرأة وكرمها أكثر مما جاء به الإسلام، ورغم ما يُروج من شبه وأباطيل تصف الإسلام بأنه دين مُستبد للمرأة وسالب لحقوقها، بيد أنّ الناظر المُحقق في التاريخ سيجد صورة مناقضة تمامًا لما يُشاع، صورة شعارها التكريم والاعتزاز، فالمرأة في الإسلام هي الأم والأخت والزوجة والابنة، علاوة على ذلك فهي مُكلفة بمشاركة الرجل في المسؤوليات، وعمارة الأرض، وبناء المجتمعات، ومما لا شك فيه أنَ هذا التكريم خلق بيئة خصبة للنساء في العهد النبوي، فلقد حفل هذا العهد بنماذج مشرفة لنساءٍ قدمن أدورًا بطولية في شتى مجالات الحياة، ومن النساء اللاتي كان لهن دورٌ خالد في العهد النبوي: حاضنة[3] الرسول ﷺ **بركة بنت ثعلبة الحبشية (أم أيمن)** -رضي الله عنها-، فمنذ بعثة المصطفىﷺكانت من أوائل من آمنت به، وضلت مرافقة له حتى مماته ﷺ .ونظرًا لأهمية دراسة دور المرأة في المجتمع فقد اهتم الباحثين بدراسة دور المرأة في العهد النبوي، ومن هذه الدراسات: «دور الصحابيات في الدعوة (أم سليم أنموذجًا)» للباحثة: ألطاف محمد إبراهيم خليفة، و «دور المرأة الجهادي في الإسلام» للباحث: أحمد محمود الجدي، و»دور الصحابيات في المجتمع الإسلامي من خلال كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد» للباحثة: عصمة أحمد فهمي أبو سنة، إلى غير ذلك من الدراسات.

أما موضوع الدراسة: «**دور بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- في العهد النبوي**»

من بين الدراسات التاريخية المعاصرة ثمّة دراسات أشارت إلى بركة-رضي الله عنها-، لكن بصورة مقتضبة، أو أنهم يسلطون الضوء على الدور الذي يتلائم مع دراستهم، وثمة مقالات محكمة أفردت بركة -رضي الله عنها- بدراسة شاملة لحياتها الشخصية والعلمية ومروياتها في الحديث، كمقال أ.د.نضال مؤيد مال الله، الموسوم بـ «أم أيمن -رضي الله عنها- حاضنة النبي محمد ﷺ حياتها ومروياتها عن السيرة النبوية» وهناك مؤَلف لـ أ.د. محمد بن فارس الجميل «مشاهير موالي رسول الله ﷺ» وهو كما ذكر المؤلف في مقدمته أنه عن سيرة العائلة المباركة من موالي رسول الله ﷺ، فتحدث فيه عن: أم أيمن -رضي الله عنها-، وزيد بن حارثة ﷺ، وأسامة بن زيد ﷺ.

سلط الضوء على شيء من حياتهم، وبعض الشبه التي تثار حولهم، ونقدها وصححها. ولرغبة الباحثة في إبراز دور حاضنة ومولاة الرسول ﷺ تم اختيار بركة بنت ثعلبة

-رضي الله عنها- محورًا لهذه الدراسة، وثمة عوامل أخرى تكمن وراء اختيار الموضوع:

1. لكون بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- عاصرت النبي ﷺ في جميع مراحل حياته، فلقد عرفت بركة النبي ﷺ منذ ولادته، وبقيت معه بعد موت أمه وشهدت مرحلة طفولته، وعاشت مراحل النبوة كلها منذ بعثته ﷺ حتى وفاته.
2. الرغبة في إظهار الدور الرئيسي للمرأة في ساحة المعركة، وكيفية تعاملها مع مجريات المعركة.
3. إبراز هدي النبي ﷺ في التعامل مع المرأة ومع الموالي والخدم.
4. استنباط بعض الأساليب المتعلقة بفن استغلال المواقف من قبل الصحابيات.
5. الدراسات السابقة كانت مُطلقة دون إطار زماني أو مكاني، فأرادت الباحثة التركيز على دور بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- منذ بعثة المصطفى ﷺ حتى وفاته، وتحديد الدراسة

لمحة عامة عن دور المرأة في العهد النبوي:

كان للمرأة في العهد النبوي إسهاماتٍ واضحة الأثر في شتى المجالات، فلم تقف أمام العلم موقف العازف عنه، بل حرصت على رفع مستوى كفاءتها العلمية والفكرية والثقافية، ومما يؤكد على ذلك حديث أبو سعيدٍ الخُدريِّ ﷺ قال: «قالتِ النِّساءُ للنبيِّ ﷺ غَلَبَنا عليك الرجال، فاجعلْ لنا يومًا من نفسك؛ فوعدهنَّ يومًا لقيهنَّ فيه»[4]، إضافة إلى ذلك فقد عملت المرأة في التجارة، وخير من برع في هذا المجال من الصحابيات أُم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- فلقد كانت ترسل تجارتها إلى الشام حيث أنها كانت تستأجر الرجال وتدفع إليهم المال مضاربة[5][6]، وكذلك شاركت المرأة في الجانب السياسي فبايعت الرسول ﷺ في بيعة العقبة، وكذلك في فتح مكة[7]، كما كان لها دورٌ في المجالات الطِبّية حيث قامت بمعالجة الجنود في الحروب والغزوات، كمشاركة السيدة رُفيدة الأسلميّة-رضي الله عنها-[8] وجهودها العظيمة في هذا المجال[9]، إضافة إلى ذلك كان للنساء في العهد النبوي دور لامع في الحروب، فقاتلت أم عمارة -رضي الله عنها-[10] يوم أحد، ونثرت أم أيمن -رضي الله عنها التراب على الفارين من غزوة أحد[11]، وزاولت المرأة -أيضًا- الزراعة وتربية الأغنام، وممن برع في ذلك: أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنها-[12]، وقامت المرأة في العهد النبوي بدبْغ الجلود، فقد ذكر عن أسماء بنت عُميس -رضي الله عنها-[13] أنَّها قامت في يومٍ واحدٍ بدبْغ أربعين جلداً، ومما يجدر ذكره أنَّ أُم المؤمنين زينب بنت جحش -رضي الله عنها-[14] امتلكت مهارة الدِّباغة وعملت بها، وكانت تُنفق الكثير من عوائدها المالية على الصَّدقة[15].

في ضوء الدور اللامع الذي قامت به المرأة في العهد النبوي لا يسع الباحثة إلا التأكيد على حرية المرأة في العهد النبوي، فلم تكن حبيسة البيت أو مهمشة في الحياة، بل كان لها دورًا محوريًا في شتى المجالات، وساهمت مع الرجل في تأسيس الدولة الإسلامية، علاوة على ذلك فإن ممارسة المرأة للعديد من الأنشطة كالطب والزراعة والتجارة والدباغة يؤكد على جدارة وتفوق المرأة في العهد النبوي.

تعامل الرسول ﷺ مع الموالي[16]:

خلق الله ﷻ الإنسان حرًا، وأولى الرسول ﷺ اهتمامًا في ترسيخ مفاهيم حرية الإنسان وإفناء العبودية، ومما يؤكد على ذلك قوله ﷺ: «أيما رجل أعتق امرأ مسلما، استنقذ الله بكل عضو منه عضوًا منه من النار»[17].

لقد تعرض زيد بن حارثة ﷺ للأسر وهو غلام صغير، وقاموا ببيعه في سوق عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة -رضي الله عنها-، وعندما تزوجت بالرسول ﷺ وهبته له، ثم مر زمن، وأقبل أناس من قبيلته كلب إلى مكة فعرفوه، وعندما رحلوا إلى ديارهم أخبروا أباه بذلك، حينها خرج أبوه قاصدًا مكة، ولما وصل إليها التقى بالنبي ﷺ وطلب منه فداء زيد، بيد أنّ الرسول ﷺ رأى أن يُترك الأمر لزيد ﷺ ويُخير بالمكوث معه أو رحيله مع أباه -دون مقابل-، فأختار زيد ﷺ المكوث مع الرسول ﷺ مما جعل أباه يتعجب ويقول له: «ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وعلى أهل بيتك!»، قال: «نعم، إني قد رأيت من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذي اختار عليه أحدًا أبدًا»، حينها أخذ النبي ﷺ بيد زيد ﷺ إلى الملإ من قريش وقال لهم: «هذا ابني وارثًا ومورثًا» -يشهدهم على ذلك-، فلما رأى أبوه ذلك طابت نفسه وانصرف، فصار زيد ﷺ يُدعى «زيد بن محمد» حتى جاء الإسلام وأبطل التبني[18]. ومما يذكر أيضًا في تعامل الرسول ﷺ مع الخدم والموالي أنه كان يمشي مع الخادم أو الأمة أو الجارية إلى أي مكان يريدونه

ليقضي لهم حاجتهم[19]، علاوة على ذلك لا يأنف من الأكل معهم، حتى أنه كان يحث أصحابه بإطعام وكسوة الخدم من جنس ما يأكلون ويلبسون، ويأمرهم بأن لا يكلفوهم مالا طاقة لهم به[20].ولم تقتصر معاملة الرسول ﷺ بالحسنى للموالي والخدم المسلمين، بل شمل كذلك غلامه اليهودي وفي هذا يقول أنس بن مالك ﷺ: «كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم. فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار»[21]. وكان -عليه الصلاة والسلام- يتفقدهم، ويسأل عن حاجتهم، فعن زياد بن أبي زياد، مولى بني مخزوم، عن خادم للنبي ﷺ، رجل أو امرأة، قال: كان النبي ﷺ مما يقول للخادم: «ألك حاجة؟ قال: حتى كان ذات يوم فقال: يا رسول الله، حاجتي قال: «وما حاجتك؟ قال: حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة، قال: ومن دلك على هذا؟ قال: ربي قال: إما لا، فأعني بكثرة السجود»[22]. وأيضًا أمر بإعطاء الأجير حقه فور انتهائه من عمله، كما أنه حذر من ظلمهم وبين عقوبة ذلك فعن أبي هريرة ﷺ «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعط أجره»[23].

وبلغ من رحمة الرسول ﷺ بالعبيد أنه أمر مناداتهم بلطف، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يقل أحدكم: أطعم ربك وضئ ربك، اسق ربك، وليقل: سيدي مولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي أمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي»[24]. وعلى ضوء ماسبق يستنتج: أن الدين الإسلامي رفع من شأن العبيد والموالي، ويظهر ذلك جليًا من خلال تعامل المصطفى ﷺ معهم، إضافة إلى الحقوق والواجبات التي وضعها لهم.

نسب بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها:-

المؤرخون لم يحددوا التاريخ والمكان الذي وُلدت فيه بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها، لكن يُحتمل أنها ولدت بالحبشة؛ إستنادًا إلى بلدها الأم[25].

نسبها: ثمة روايات عديدة أشارت إلى بركة بنت ثعلبة، ومما يجدر ذكره أن المراجع الأولى[26] لم توضح نسبها والبلد الذي تنتمي إليه، بل اكتفت بالإشارة إلى صلتها بالمصطفى ﷺ، ويعتبر الإمام ابن عبد البر -رحمه الله- (ت: ٤٦٣هـ/1070م) من أوائل من ذكر سلسلة نسبها، فقال: (هي بركة بنت ثعلبة بن عَمْرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان)[27]، بيد أن هناك من يعترض على ابن عبد البر بقول: أن هذه السلسلة توهم القارئ بأن بركة بنت ثعلبة عربية، وإن لم يُصرح ابن عبد البر بذلك، والأمر الآخر أن ابن عبد البر -على غير عادته- لم يشير إلى المصدر الذي استقى منه معلوماته[28]. وأما عن المصادر والمراجع اللاحقة لابن عبد البر، فالامام ابن الاثير -رحمه الله- (ت: 630هـ/ 1233م) لم يذكر النسب الوارد عند ابن عبد البر، بينما صرح بأنها (حبشية)، وهناك مراجع ذكرت سلسلة النسب الذي أوردها ابن عبدالبر و لم تعترض عليه، أو لم تُصرح بإنها استقت المعلومة منه، علاوة على ذلك فلقد أشاروا إلى أنها حبشية من غير أن يوضحوا كيفية الجمع بين النسب العربي والأصل الحبشي[29].

و تُرجح الباحثة النسب التالي:

(بركة بنت ثعلبة بن عَمْرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان، الحبشية)[30]؛ وذلك لشموله على جميع ماذكر في الروايات السابقة، ولاعتماد غالب المؤلفات التي تلي ابن عبد البر عليه، ولمسوغات أخرى سوف يُشار إليها في ثنايا البحث.

كنيتها وألقابها: تكنى بأم أيمن؛ نسبة إلى ابنها أيمن بن عبيد، وقد غلبت عليها هذه الكنية، وتدعي

أيضًا بأم الظباء، ولُقبت بـ مولاة رسول الله، وحاضنته، وأمة الله[31].ومما لا شك فيه أن تعدد الألقاب دليل على المكانة التي حظيت بها بركة -رضي الله عنها- عند المسلمين.

نشأة وزواج بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها-

نشأتها:

لم أقف على معلومات وافية بشأن نشاة وطفولة بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها-، إلا أنها كانت ممن أُسر في جيش أبرهة -صاحب الفيل-، فبعد أن انكسرت شوكة الجيش الحبشي وهُزم أبرهة، قام جد النبي عبدالمطلب بأخذ بركة بنت ثعلبه من عكسر الجيش، ويقال أيضًا أنها كانت وصيفة لعبد الله بن عبدالمطلب -والد الرسول ﷺ-، وفي هذا يقول ابن سعد: «وكانَ رسُولُ الله ﷺ ورثها من أبيه وخمسة أجمال أوارك وقطعة غنم»[32].

زواجها:

عقب زواج المصطفى ﷺ من السيدة خديجة -رضي الله عنها- أعتق حاضنته بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- فتزوجت عبيد بن زيد من بني الحارث بن الخزرج[33]، وهاجرت معه من مكة إلى يثرب، وحينما وافته المنية عادت إلى مكة، ولقد أنجبت منه ابنها أيمن ﷺ الذي صحب المصطفى ﷺ، ونال الشهادة في غزوة حنين[34].

بعد أن وهبت السيدة خديجة -رضي الله عنها- زيد بن حارثة ﷺ للنبي ﷺ أعتقه وزوجه -عقب البعثة النبوية- ببركة -رضي الله عنها- فولدت منه حب رسول الله أسامة بن زيد ﷺ[35]، ويروى عن سفيان بن عيينة أن الرسول ﷺ قال: « من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة، فليتزوج أم أيمن» فتزوجها زيد بن حارثة ﷺ[36]، ومما كان يزعج النبي ﷺ أن العرب كانت تقدح في نسب أسامة بن زيد ﷺ لكونه شديد السواد، وأبوه أبيض اللون حتى مر بهم يومًا قائف[37] وهما مضجعان تحت لحافهما ورأى أقدامهما فقال: «إن هذه الأقدام بعضها من بعض» فأعجب النبي ﷺ وسُر بقول القائف[38].

أبرز المواقف التي جمعت بين الرسول ﷺ وبركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها-:

أسلمت بركة -رضي الله عنها- منذ بزوغ الإسلام، وعندما أذن الرسول ﷺ بالهجرة للمسلمين هاجرت إلى الحبشة[39]، وعقب هجرة المصطفى ﷺ للمدينة التحقت بركب المهاجرين[40]، ونالت مكانة عظيمة في قلب النبي ﷺ ، فقد كان يلاطفها ويقول لها «يا أُمّة»، وإذا نظر لها قال: «هذه بقية أهل بيتي» وكان يقول -أيضًا-: «أم أيمن أمي بعد أمي»[41]، ويمكن القول هنا: إن تعبير النبي ﷺ لبركة -رضي الله عنها- بألفاظ الأمومة دليل على أنه لقي منها الاحتواء ومشاعر العطف والحنان والطمأنينة في حياته مما جعله ﷺ يوسمها بمفردات عذبة.

وكان المصطفى ﷺ يمازحها، فعندما أقبلت إليه -ذات يوم- وقالت له: احملني، فرد عليها مداعبًا: «أحملك على ولد الناقة»، فاستنكرت بأن ولد الناقة يُشق عليه حَملُها، فكرر المصطفى ﷺ عبارته مؤكدًا ما قاله سلفًا: «لا أحملك إلا على ولد الناقة» وصدق الرسول ﷺ فالأبل كلها ولد النوق[42].

ولقد رخص الرسول ﷺ لبركة -رضي الله عنها- رخصة نبوية في تحية الإسلام، وذلك عندما أتت وهي تقول: «لا سلام»، فأَحل لَهَا المصطفى ﷺ أَن تَقُوَل «سَلاَم»[43]. ومما ورد -أيضا- أن بركة -رضي الله عنها-

كانت ترعى عنز للنبي ﷺ، وفي هذا يقول ابن عباس -رضي الله عنهما-: «كانت لرسول الله ﷺ سبع أعنز منايح ترعاهن أم أيمن»[44]. ولما قدم المهاجرون إلى المدينة وليس بأيديهم ما يملكونه شاطرهم الأنصار بثمار أموالهم، وأعطت أم سُليم -رضي الله عنها- عذاقًا[45] للرسول ﷺ فأعطاهن النبي ﷺ مولاته بركة بنت ثعلبة إكرامًا لها، وبعد استيلاء النبي ﷺ على خيبر ردَّ إلى أم سليم عذاقها، وعوض بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- من بستانه[46].

ومن المواقف التي جمعت بينهما -أيضًا- حينما انطلق الرسول ﷺ إلى بركة-رضي الله عنها- يومًا فناولته إناءٌ فيها شراب، فامتنع عن شربه، ولعل امتناعه كان بسبب صومه، حينها انزعجت بركة -رضي الله عنها- وتذمرت أمامه[47]، وتُفسر ردة فعلها تلك بأنها كانت تُدّل على الرسول ﷺ ؛ لما لها عليه من الحضانة والخدمة، وكان الرسول ﷺ يعرف لها حقها، ومما لا شك فيه أن هذه الأريحية في العلاقة بين النبي ﷺ وبركة -رضي الله عنها- دليل على عمق الصلة بينهما.

وبكت بركة -رضي الله عنها- عندما شاهدت دموع النبي ﷺ على احدى بناته وهي تساق إلى الموت، فقيل لها: أتبكين عند رسول الله، فقالت: ألا أبكي ورسول الله يبكي، فقال لها الرسول ﷺ «إني لم أبك، وهذه رحمة، إن المؤمن تخرج نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله - عز وجل -»[48].

وظلت بركة -رضي الله عنها- وابنها أسامة بن زيد ﷺ على صلة بالرسول ﷺ إلى وفاته، حتى أن الرسول ﷺ قبيل وفاته عندما أمّر ابنها أسامة على الجيش وتكلم الناس في إمارته، غضب مما سمعه، وصعد المنبر وأثنى على أسامة بن زيد ﷺ وبين محاسن والده، وأمرهم بتنفيذ بعث أسامة[49]، ولقد رثت بركة -رضي الله عنها- الرسول ﷺ بعد وفاته بقول:

عين جودي! فإن بذلك للدمع
شفاء فأكثري من البكاء
حين قالوا: الرسول أمسى فقيدا
ميتا كان ذاك كل البلاء
وابكيا خير من رزئناه في الدنيا
ومن خصه بوحي السماء
بدموع غزيرة مـنك حتى
يقضي الله فيك خير القضاء
فلقد كان ما علمت وصولا
ولقد جاء رحمة بالضياء
ولقد كان بعد ذلك نورا
وسراجا يضيء في الظلماء
طيب العود والضريبة والمعدن
والخيم خاتم الأنبياء[50].

وبقيت مكانتها شامخة حتى بعد وفاة الرسول ﷺ ، ولما زارها أبو بكر الصديق وعمر ابن الخطاب

-رضي الله عنهما- عقب وفاة الرسول ﷺ بكت، فقالا لها ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ ، فقالت إن بكائها ليس بسبب عدم علمها بأن ما عند الله خير لرسوله ﷺ، وإنما لانقطاع الوحي من السماء، فتأثرا بما قالته مما جعلهما يبكيان معها[51]، ويمكن تفسير زيارة كبار الصحابة لبركة -رضي الله عنها- في نقطتين:

أولهما: وفاء الصحابة للرسول ﷺ بعد وفاته حتى أنهم حرصوا على تقدير من كان لهم مكانة عند الرسول ﷺ. **ثانيهما:** زيارتهم لبركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- دليل على عظم شأنها في ذلك العهد النبوي.

وعلى ضوء المواقف السالفة يُستنتج:

ثمة تنوع في المواقف التي جمعت بين الرسول ﷺ وبركة بن ثعلبة -رضي الله عنها-، فتارة كان المصطفى ﷺ يستعمل أسلوب التورية ليُمازحها، وتارة كان يسعى لإرضائها وإكرامها، وفي مواقف أخرى كانت تُدّل وتصخب عليه، لكنه كان يتقبل ذلك ولا يعتب عليها، ولعل السمة اللامعة في شتى المواقف هي البساطة والأريحية في التعامل، فكانت أشبه بعلاقة الأم بابنها، أو الابن بأمه، ومن منظور أوسع يُستخلص من صلة الرسول ﷺ ببركة رضي الله عنها- حلم الرسول ﷺ مع المرأة حيث كان يتلطف معها ويتقبل تصرفاتها بصدر متسع ونفسٍ رحبة، علاوة على ذلك يظهر هدي النبي ﷺ في التعامل مع الموالي بالتواضع معهم، والاحسان إليهم وإكرامهم.

صلة بركة بنت ثعلبة -رضي اللّه عنها- بآل بيت الرسول ﷺ:

حظيت بركة -رضي الله عنها- بمكانة متميزة في بيت النبوة، فكانت متصلة ببنات الرسول ﷺ وزوجاته حتى بلغ اهتمامها بأحفاده ﷺ، ولقد غسلت بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- رقية وزينب -رضي الله عنهما- بنات رسول الله ﷺ، وكذلك غسلت زوجاته سودة بن زمعة وأم سلمة -رضي الله عنهما-[52]، وهي التي زينت عائشة -رضي الله عنها- يوم زفافها[53]، ولقد حضرت زفاف فاطمة بنت رسول الله ﷺ وفي ذلك تقول أسماء بنت عميس -رضي الله عنها- «كنت في زفاف فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما أصبحنا جاء النبي ﷺ فضرب الباب، ففتحت له أم أيمن الباب» فقال: يا أم أيمن «ادعي لي أخي». قالت: هو أخوك وتنكحه؟ قال: «نعم، يا أم أيمن، وسمعن النساء صوت النبي ﷺ، فتنحين» قالت: «واختبأت أنا في ناحية» قالت: فجاء علي، فدعا له رسول الله ﷺ، ونضح عليه من الماء، ثم قال: «ادعوا لي فاطمة» فجاءت خرقة من الحياء فقال لها: «قد يعني أنكحتك أحب أهل بيتي إلي، ودعا لها، ونضح عليها من الماء، فخرج رسول الله ﷺ فرأى سوادا» فقال: «من هذا؟» قلت: أسماء قال: ابنة عميس؟ قلت: نعم. قال: «كنت في زفاف فاطمة بنت رسول الله ﷺ تكرمينه؟» قلت: نعم قالت: «فدعا لي»[54]. وكذلك كانت صلتها بعائشة -رضي الله عنها- حسنة ومما يؤكد على ذلك حينما سألها الرسول ﷺ عن عائشة في حادثة الإفك، فردت: حاشى سمعي وبصري أن أكون علمت أو ظننت بها قط إلا خيرًا[55]. وبينما كان الرسول ﷺ مع أصحابه أقبلت بركة -رضي الله عنها- تنبأه بتواري سبطيه -الحسن والحسين- فبعث الرسول ﷺ من يبحث عنهما، وقام هو -أيضًا- يفتش عنهما، حتى إذا أتى سفح جبل، رأى الحسن والحسين -رضي الله عنهما- متمسكان ببعضهما خوفًا من شجاع[56] قائم على ذنبه، يخرج من فيه شبه النار، حينها أسرع الرسول ﷺ إليه فالتفت إليه ثم دخل في حجره، حينها أقبل النبي ﷺ إليهما وفرقهما عن بعضهما ومسح وجههما وقال: «بأبي وأمي أنتما ما أكرمكما على الله»[57]، وبهذا الموقف يتضح اهتمام بركة -رضي الله عنها- بخاصّة الرسول ﷺ وتفقدها لهم والشعور

بالمسؤولية تجاههم. والملاحظ من خلال صلة بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- لآل بيت الرسول ﷺ أنها كانت معهم في حياتهم الخاصة وفي أفراحهم وأتراحهم، ومما يُستلمح -أيضًا- تنوع الأعمال التي كانت تجيدها بركة -رضي الله عنها-، فسعت في غسل الموتى، كما كان لها دراية بزينة النساء فزينت عائشة -رضي الله عنها- يوم زفافها، علاوة على ذلك فلقت كانت تتمتع بشخصية فريدة تجمع بين قوة القلب وقول الحق والحكمة في مواقف، وبين اللين والعطف والرحمة في مواقف أخرى، فعملها في غسل الموتى يتطلب إلى قوة القلب والصلابة، ولقد صدحت بالحق عندما سألها الرسول ﷺ عن زوجته عائشة -رضي الله عنها-، إلا أنا قلقها أثناء اختفاء أحفاد الرسول ﷺ يغلب عليه جانب العطف والرحمة للغلمان.

منذ فجر التاريخ وقبل الإسلام والمرأة العربية تشارك في الحروب، ولقد قالت هند بنت عتبة يوم بدر:

نحن بنات طارق

نمشي على النمارق

إن تقبلوا نعانق

أو تدبروا نفارق

فراق غير وامق[58].

دور بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- في غزوة أحد وخيبر وحنين:

لم يقتصر دور بركة -رضي الله عنها- على العناية بالمصطفى ﷺ وبآل بيته، بل حرصت على الخروج مع النساء في غزوات النبي ﷺ.

لقد شهدت -رضي الله عنها- غزوة أحد (٣هـ/ ٦٢٥م)، وكانت تسقي الماء للعطشى، وتداوي الجرحى[59]، كما أن حبان بن العرقة رماها بسهم فأصاب ذيلها وانكشف عنها، فضحك بن العرقة، عندئذ دفع النبي ﷺ إلى سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- سهمًا وقال «ارمه»، فرماه سعد فأصابه، فضحك النبي ﷺ[60]. وأيضًا كانت تذّر التراب في وجوه الرجال الفارين من الغزوة، وتقول لهم: «هاكَ المغزل فاغزل به، وهاتِ سيفَك»[61] توبيخًا لهم. وشهدت -رضي الله عنها- مع الرسول ﷺ غزوة خيبر (٧هـ/ ٦٢٩م)[62]، وحضرت كذلك غزوة حنين (٨هـ/ ٦٣٠م) وكانت تمشي بين الصفوف وتقول «سبت الله أقدامكم» فقال لها النبي ﷺ «اسكتي ياأم أيمن، فإنك عسراء اللسان»[63]. والنتيجة المسجلة هنا أن الدور الذي قامت به بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- في أرض المعركة تمثل في ري العطشى، وتضميد المصابين الجرحى، ويعتبر هذا الدور هو الهدف الأول من حضور المرأة إلى ساحة المعركة، بيد أنها قامت بدور إضافي تمثل في رفع همم المجاهدين وشد أزرهم.

أثر مشاركة بركة بنت ثعلبة -رضي اللّه عنها- في غزوات الرسول ﷺ:

لقد كان لحضور المرأة في الغزوات أثرًا إيجابيًا على المجتمع النبوي -بشكل خاص-، وعلى العصور اللاحقة-بشكل عام- وفي الآتي توضيح لذلك من خلال ماذُكر سلفًا عن دور بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- في غزوات الرسول ﷺ .

أثر مشاركة بركة -رضي اللّه عنها- أثناء عهد النبوة:

1. ريَّ الظمآن وتضميد الجريح: نزول المرأة إلى ساحة المعركة ومساندة المجاهدين بالري والتضميد من أعظم الحوافز التي تساعد في توفير طاقة الجنود، وتتابع حركة القتال في المعركة، علاوة إلى ذلك فإن تضميد الجرحى هو بمثابة الاسعافات الأولية في عصرنا والتي تهدف إلى الحفاظ على حياة المصاب، ومنع تدهور حالته الصحية، ومساعدته على استعادة عافيته[64]، وترى الباحثة أن مساندة المرأة للمجاهدين تجعل المعارك تسير بشكل أكثر تنظيمًا.
2. شحذ الهمم وبث روح الشجاعة والحماسة: تعتبر الروح المعنوية العالية للجيش من أهم الأسباب التي تساهم في التغلب على العدو، ولقد قامت النساء في العهد النبوي بهذا الدور، ويظهر ذلك بجلاء في موقف بركة بنت ثعلبة رضي الله عنها في غزوة حنين عندما كانت تمر بين الصفوف وتدعي للمجاهدين بالثبات، وكذلك قولها في غزوة أحد «هاكَ المغزل فاغزل به، وهاتِ سيفَك»[65] يشعل الهمم، ويؤنب ضمائر الفارين من أرض المعركة.

أثر مشاركة بركة -رضي اللّه عنها- على المدى البعيد:

1. مشاركة المرأة في الغزوات كان له بعد فقهي للعصور اللاحقة، فمن خلال مشاركتها أتت مشروعية جواز خروج المرأة للمعارك.
2. تعامل المرأة مع الجرحى المصابين يعطي صورة واضحة لكيفية تعامل الطبيبة المسلمة مع الطرف الآخر.
3. بداية خروج الصحابيات لأرض المعارك -لا سيما في غزوة أحد- يظهر النضج والوعي لدى النساء في تلك الفترة، واستشعارهم لمسؤولية المشاركة في الدعوة مع الرجل.
4. كان الهدف الأول لخروج النساء في المعارك مداوة الجرحى وسقاية العطشى، لكن قد يتطلب الموقف العدول عن الوظيفة الأساسية لوظائف أخرى تكون أكثر أهمية منها[66]، ويُلحظ ذلك في ردة فعل بركة -رضي الله عنها- على الفارين من أرض المعركة بنثر التراب عليهم، وهي بذلك توحي إلى أن التعامل مع المواقف الطارئة في اللحظات العصيبة يتطلب النباهة، فليس من الصواب أن يبقى المرء حبيس مهنة أو مهمة معينة.

فدلالة أفعال بركة بنت ثعلبة -رضي الله- عنها تشهد أن من أعظم أسباب نجاح الرعيل الأول في الإسلام هو سعيهم لبث روح الهمة والاصرار في النفوس المنهزمة، فانحطاط الهمم أكثر ما تعاني منه الأمم على مر العصور، فالأروح المنهزمة لا تعيد مجدًا ولا تبني حضارة.

هَـذا زَمـانٌ لا توَسُّطَ عِندَهُ يَبغي المُغامِرُ عالِياً وَجَليلا
كُن سابِقاً فيهِ أَوِ اِبقَ بِمَعزِلٍ لَيسَ التوَسُّطُ لِلنُبوغِ سَبيلا[67].

وبعد إتمام الدراسة -بفضل اللّه وتوفيقه- خلصت الباحثة إلى عدة نتائج:

1. ورث النبي ﷺ بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- من أبيه.
2. بالرغم من اختلاف المصادر في ذكر نسب بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- وسكوت بعضهم عن البلد الذي تنتمي له، وإرجاع نسبها إلى أرومة عربية؛ إلا أن هناك مجموعة من المواقف التي وقفت عليها الباحثة في الدراسة تدل على عجمة بركة -رضي الله عنها- وانتمائها للحبشة،

ومنها ترخيص الرسول ﷺ لها في السلام، ويوم حنين عندما كانت تدعو للمجاهدين بـ«سبت الله أقدامكم» قال لها: «اسكتي، فإنك عسراء اللسان».

3. تعامل الرسول ﷺ مع بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- يعكس هدي النبي ﷺ في التعامل مع المرأة، بالإضافة إلى هديه في التعامل مع الموالي والخدم.
4. علاقة بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- بالرسول ﷺ أشبه بعلاقة الأم بابنها، فكانت تُدّل وتعتب عليه، وفي المقابل كان الرسول ﷺ يحفظ لها فضلها ومكانتها ويقدر موقفها.
5. صلة بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- بآل بيت الرسول ﷺ وثيقة جدًا، فقد شاركتهم في الأفراح والأتراح.
6. كان الدور الرئيسي للمرأة في غزوات النبي ﷺ سُقيا الجنود العطشى وتمريض الجرحى، بيد أنها كانت تمارس أعمال أخرى إذا تطلب الموقف ذلك، ومن الأمثلة: موقف بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- في غزوة أحد حيال الفارين من ساحة المعركة.
7. 7- تمتلك بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- شخصية متوازنة بارعة، فعندما كانت حاضنة للرسول ﷺ استطاعت بحنانها واهتمامها أن تنال محبة النبي ﷺ واحترامه، وعندما أصبحت أم أنجبت ابنان أحدهما استشهد في غزوة حنين، والآخر -أسامة بن زيد- أمره الرسول ﷺ على جيش به كبار الصحابة وهو لم يتجاوز العشرين من عمره، علاوة على ذلك فقد استطاعت أن تشارك في الغزوات وتمارس وظيفة النساء المعتادة في عصرها لكن عندما تطلب الموقف منها عمل آخر تقدمت وبكل ثقة للفارين من الغزوة ونثرت التراب عليهم ورددت كلمات تثير حماسهم، وفي حنين كانت تمر بين صفوف المجاهدين لتقوي عزائمهم، ومن زاوية أخرى استطاعت بفضل شخصيتها أن تنال محبة آل بيت الرسول ﷺ وأصحابه.
8. دور بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- في العهد النبوي تمثل في صلتها بالرسول ﷺ وآله وصحبه، ومشاركتها بالغزوات.
9. إبراز دور الصحابيات في العصر النبوي يثير في النفس شعور الاعتزاز والفخر بإسهامات المرأة في ازدهار الحضارة الإسلامية.
10. نباهة الصحابيات لا سيما بركة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- في التعامل مع المواقف، تحث النساء في العصر الحاضر على المساهمة في توظيف قدراتهم في كافة المجالات التي تخدم المجتمع الإسلامي.

الهوامش:

(1) سورة النحل، اية: 97.

(2) الألباني، محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج5، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1416هـ/1996م، ص 219.

(3) **الحاضنة:** امرأة تقوم مقام الأم في تربية الولد بعد وفاته. انظر: عمر، أحمد مختار عبد الحميد: ج1، ط1، عالم الكتب، ص515.

(4) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبة: صحيح البخاري، تحقيق: محمد بن زهير، ج8، ط1، دار طوق النجاة، بيروت، 1422هـ ص39.

(5) **المضاربة:** هي عقد بين اثنين أحدهما يقدم مالا، والآخر يتجر فيه على أن يكون للعامل جزء شائع من الربح. انظر: الدبيان، دبيان بن محمد: المعاملات المالية أصالة ومعاصرة، ج١٤، ط٢، ١٤٣٢هـ ص٣٢٢.

(6) ابن سعد، عبد الله محمد بن سعد بن منيع: الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج٨، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٢؛ الاصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي: دلائل النبوة، تحقيق: محمد محمد الحداد، ط١، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ ص١٧٨.

(7) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري: السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ج٢، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ص٦٣؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج٤، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٣١٨-٤١٩.

(8) **رفيدة الأسلمية:** أو رفيدة الأنصارية، وهي امرأة من أسلم، بايعت الرسول ﷺ بعد الهجرة، فكانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وقامت بمداواة جراح سعد بن معاذ ﷺ يوم الخندق، وشهدت هدم يوم خيبر. انظر: ابن الاثير، عز الدين علي بن محمد الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض-عادل أحمد عبد الموجود، ج7، ط١، دار الكتب العلمية، ص١١١؛ ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد: تهذيب التهذيب، ج١٢، ط١، دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٦هـ ص٤١٨-٤١٩.

(9) البخاري، محمد بن إسماعيل: الأدب المفرد، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٣١٦؛ ابن الاثير: أسد الغابة، ج٧، ص١١١؛ ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني: الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ج٨، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ ص١٣٦.

(10) **أم عمارة:** نسِيبة بنت كَعْب الأَنْصارية، كانت قد شهدت بيعةَ العقبةِ، وشهدت أحداً مع زوجها زيد بن عاصم، ثم شهدتْ بيعةَ الرضوان، ثم شهدت اليمامة، فقاتلت حتى أصيبتْ يَدها وجُرحت يومئذ اثني عشر جرحاً من بين طَعْنَة وضربة. انظر: ابن الاثير، المبارك بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري: جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: بشير عيون، ج١٢، ط١، دار الفكر، ص٧٤٢، ٩٥٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٤٠٩.

(11) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي: المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ج١، ط٣، دار الأعلمي، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٢٧٨؛ ابن سعد: الطبقات، ج٨، ص٤١٢-٤١٤.

(12) ابن سعد: الطبقات، ج٨، ص٢٥٠.

(13) **أسماء بنت عميس:** أسماء بنت عميس ابن معبد بن الحارث الخثعمية، أسلمت بمكة، وبايعت وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب ﷺ. انظر: سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات وآخرون، ج٦، ط١، دار الرسالة العالمية، دمشق-سوريا، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م، ص٣٧٦.

(14) **زينب بنت جحش:** هي أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية. أسلمت قديماً، وهاجرت مع النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، فزوجها لزيد بن حارثة فطلقها، فأنزل الله آيات تأمر النبي ﷺ بزواجها فتزوجها، وكان اسمها (بَرة)، فسماها زينب، شاركت في عدد من الغزوات، توفيت سنة ٢٠ هـ. انظر: ابن سعد: الطبقات، ج٨، ص٨٠- ٩١.

(15) المصدر السابق، ج٨، ص130250؛ العتيبي، حصة بنت هند: «الدور الحضاري للمرأة المسلمة في العهد النبوي والراشدين»، ع٤١، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، ٢٠١٧م، ص٥٠٠.

(16) **الموالي:** جمع مولى وهو: المملوك الذي يمن عليه صاحبه، بأن يفك رقبته فيعتقه، ويصير المملوك بذلك مولى لعاتقه، والموالي أنواع، موالي عتق وموالي عتاقة، وهو الرقيق أو الأسير الذي تفك رقبته بعتقه، كأن يشتري رجل مملوكًا فيشتريه فيعتقه. وفي جملة ما كان يفعله الجاهليون في مقابل فك رقبة المملوك اشتراطهم على المملوك عمل يعيَّن له، فإن قام به وأتمه أعتقت رقبته، ويصير مولى لمعتقه إن شاء، وله الخيار في أن يختار غير سيده مولى له، إن اشترط ذلك على سيده، أو اشترط سيده عليه ذلك الشرط، وقد يقع الاختيار على ذلك بعد وقوع العتق. انظر: علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ط٤، دار الساقي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٣٦٦-٣٦٧.

(17) البخاري: صحيح البخاري، ج3، ص144؛ النيسابوري، مسلم بن الحجاج بن مسلم: صحيح مسلم، تحقيق: أحمد رفعت عثمان وآخرون، ج4، ط1، دار الطباعة العامرة، تركيا، 1334هـ ص217.

(18) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد: الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، ج2، ط1،

(19) دار الجيل، بيروت، 1412هـ/ 1992م، ص545-543.

(20) حنبل، أحمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ج19، مؤسسة الرسالة، 1421هـ/ 2001م، ص9.

(21) البخاري: صحيح البخاري، ج1، ص15؛ مسلم، صحيح مسلم، ج5، ص93؛ المنجد، محمد صالح: كيف عاملهم ﷺ، ط2، مجموعة زاد للنشر، الرياض، 1436هـ ص239-236.

(22) البخاري: صحيح البخاري، ج2، ص94.

(23) حنبل: المسند، ج25، ص479.

(24) المصدر السابق، ج3، ص82.

(25) البخاري: صحيح البخاري، ج3، ص150.

(26) مال الله، نضال مؤيد: «أُم أيمن -رضي الله عنها- حاضنة النبي محمد ﷺ حياتها ومروياتها عن السيرة النبوية»، مجلة كلية التربية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة الموصل، 1438هـ/2016م، ص327.

(27) ابن سعد: الطبقات، ج٨، ص٢٢٣؛ ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم: المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ج١، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م، ص١٤٤.

(28) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٤، ص١٧٩٣.

(29) الجميل، محمد فارس: مشاهير موالي الرسول ﷺ ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٤١هـ ص٩.

(30) 29 () ابن الأثير: أسد الغابة، ج٧، ص٣٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص٢٨٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج٨، ص٣٥٨.

(31) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٤، ص١٧٩٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج٧، ص٣٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص٢٨٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج٨، ص٣٥٨.

(32) ابن سعد: الطبقات، ج٨، ص٢٢٣؛ ابن قتيبة: المعارف، ج١، ص١٤٤؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٤، ص١٧٩٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج٥، ص٣٥.

(33) ابن سعد: الطبقات، ج8، ص179.

(34) ابن سعد: الطبقات، ج8، ص179؛ ابن حجر: الإصابة، ج8، ص359.

(35) السيوطي، جلال الدين: الجامع الكبير، تحقيق: مختار إبراهيم الهائج، ج19، ط2، الأزهر الشريف، القاهرة، 1426هـ 2005م، ص340؛ مال الله: «أم أيمن -رضي الله عنها-»، ص329.

(36) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج4، ص1925.

(37) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايماز: سير أعلام النبلاء، ج2، ط3، مؤسسة الرسالة، 1405هـ/1985م، ص225-224.

(38) **القائف**: هو الذي يعرف الشبه ويميز الأثر. انظر: ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، ج12، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ ص56.

(39) ابن الاثير: جامع الأصول، ج10، ص736؛ ابن حجر: فتح الباري، ج12، ص57-56؛ أحمد، مهدي رزق الله: مزاعم وأخطاء وتناقضات وشبهات بودلي في كتابه «الرسول، حياة محمد» دراسة نقدية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ص١٨.

(40) ابن الأثير: أسد الغابة، ج7، ص290.

(41) السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، ج7، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1421هـ/2000م، ص124.

(42) ابن سعد: الطبقات، ج8، ص179؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص285.

(43) ابن سعد: الطبقات، ج8، ص179؛ الذهبي: سير أعلام، ج2، ص225.

(44) ابن سعد: الطبقات، ج8، ص180.

(45) ابن سعد: الطبقات، ج1، ص384.

(46) **عذاقًا:** العذق: القنو من النخل والعنقود من العنب، وجمعه أعذاق. انظر: ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، ج10، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ ص239.

(47) البخاري: صحيح البخاري، ج3، ص165؛ مسلم: صحيح مسلم، ج5، ص162.

(48) مسلم: صحيح مسلم، ج7، ص144.

(49) حنبل: المسند، ج4، ص235.

(50) الواقدي: المغازي، ج3، ص1119-1118.

(51) ابن سعد: الطبقات، ج2، ص53.

(52) مسلم: صحيح مسلم، ج7، ص144.

(53) ابن سعد: الطبقات، ج8، ص28؛ البلاذري، أحمد يحيى جابر داوود: أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار- رياض الزركلي، ج1، ط1، دار الفكر، بيروت، 1417هـ 1996م، ص401.

(54) ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك: شرح صحيح البخاري، تحقيق: ياسر إبراهيم، ط2 ج9، مكتبة الرشد، السعودية- الرياض، 1423هـ/2003م، ص224.

(55) النسائي، أحمد بن شعيب النسائي: السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، ج7، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ/2001م، ص452.

(56) الواقدي: المغازي، ج2، ص430.

(57) **الشجاع:** ذكر الحية. انظر: عمر: معجم اللغة، ج2، ص1167.

(58) الطبراني، سليمان أحمد أيوب مطير اللخمي الشامي: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ج3، ط2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ص65.

(59) الذهبي: سير أعلام، ج١، ص٣٩٦.

(60) الواقدي: المغازي، ج١، ص٢٧٨.

(61) المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ج١، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩ م، ص١٤٩.

(62) الواقدي: المغازي، ج١، ص٢٧٨.

(63) ابن سعد: الطبقات، ج٨، ص١٨٠.

(64) المصدر السابق، ج٨، ص٢٢٥؛ الذهبي: سير أعلام، ج٢، ٢٢٥.

(65) الجدي، أحمد بن محمود: دور المرأة الجهادي في الإسلام من البعثة النبوية حتى نهاية الدولة الأموية، رسالة ماجستير، كلية الأداب، الجامعة الإسلامية، ١٤٢٦هـ ص١٨٨-١٨٩؛ النسور، محمد خير سالم: الاسعافات الأولية، ترجمة: أنس وجيه النمراوي، إدارة الدراسات والأبحاث والتطوير، ٢٠١٢م، ص٥.

(66) الواقدي: المغازي، ج١، ص٢٧٨.

(67) جابري، حواس؛ لحبيب، بشير: الأبعاد الدعوية لمشاركة المرأة في الغزوات مع النبي ﷺ ، مج19، ع23، مجلة الأحياء، 2019م، ص٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٠٢، ٣٠٣.

(68) شوقي، أحمد شوقي: **ديوان أحمد شوقي**، جامع الكتب الإسلامية، ج1، ص665.

المصادر والمراجع:

اولاً :المصادر:

1.القرآن الكريم.

2.الكتب المصدرية:

(1) ابن الاثير، عز الدين علي بن محمد الجزري(ت630هـ): **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: علي محمد معوض-عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية.

(2) ابن الاثير، المبارك بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري(ت606هـ): **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، تحقيق: بشير عيون، ط١، دار الفكر.

(3) الاصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي(ت502هـ): **دلائل النبوة**، تحقيق: محمد محمد الحداد، ط١، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ.

(4) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبة(ت256هـ): **الأدب المفرد**، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

(5) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبة (ت256هـ): **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد بن زهير، ط1، دار طوق النجاة، بيروت، 1422هـ.

(6) ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك (ت449هـ): **شرح صحيح البخاري**، تحقيق: ياسر إبراهيم، ط2، مكتبة الرشد، السعودية- الرياض، 1423هـ/2003م.

(7) البلاذري، أحمد يحيى جابر داوود (ت279هـ): **أنساب الأشراف**، تحقيق: سهيل زكار- رياض الزركلي، ط1، دار الفكر، بيروت، 1417هـ/ 1996م.

(8) حنبل، أحمد(ت241هـ): **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، 1421هـ/ 2001م.

(9) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت673هـ): **سير أعلام النبلاء**، ط3، مؤسسة الرسالة، 1405هـ/1985م.

(10) ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني(ت852هـ): **الإصابة في تميز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

(11) ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني(ت852هـ): **تهذيب التهذيب**، ط١، دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٦هـ.

(12) ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني(ت852هـ): **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.

(13) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأوغلي بن عبد الله (ت654هـ): **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، تحقيق: محمد بركات وآخرون، ط١، دار الرسالة العالمية، دمشق- سوريا، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

(14) ابن سعد، عبد الله محمد بن سعد بن منيع (ت230هـ): **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(15) لسهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد(ت581هـ): **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1421هـ/2000م.

(16) السيوطي، جلال الدين(ت911هـ): **الجامع الكبير**، تحقيق: مختار إبراهيم الهائج، ط2، الأزهر الشريف، القاهرة، 1426هـ/ 2005م.

(17) شوقي، أحمد(1351هـ): **ديوان أحمد شوقي**، جامع الكتب الإسلامية.

(18) الطبراني، سليمان أحمد أيوب مطير اللخمي الشامي(ت360هـ): **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

(19) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد(ت463هـ): **الاستيعاب في معرفة الاصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/ 1992م.

(20) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم(ت276هـ): **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.

(21) ابن كثير، إسماعيل بن عمر(ت774هـ): **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(22) المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر(ت845هـ): **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(23) ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي(711هـ): **لسان العرب**، ج10، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.

(24) النسائي، أحمد بن شعيب النسائي(ت302هـ): **السنن الكبرى**، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ/2001م.

(25) النيسابوري، مسلم بن الحجاج بن مسلم: **صحيح مسلم**، تحقيق: أحمد رفعت عثمان وآخرون، ط1، دار الطباعة العامرة، تركيا، 1334هـ.

(26) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري(ت261هـ): **السيرة النبوية**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة.

(27) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي(ت207هـ): المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، دار الأعلمي، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

ثانياً:المراجع:

(1) (1) أحمد، مهدي رزق الله: **مزاعم وأخطاء وتناقضات وشبهات بودلي في كتابه «الرسول، حياة محمد» دراسة نقدية**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

(2) الألباني، محمد ناصر الدين(ت1420هـ): **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1416هـ/1996م.
(3) الجميل، محمد فارس: مشاهير موالي الرسول ﷺ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٤١هـ
(4) الدبيان، دبيان بن محمد: المعاملات المالية أصالة ومعاصرة، ط٢، ١٤٣٢هـ
(5) النسور، محمد خير سالم: **الاسعافات الأولية**، ترجمة: أنس وجيه النمراوي، إدارة الدراسات والأبحاث والتطوير، ٢٠١٢م.
(6) عمر، أحمد مختار عبد الحميد: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط1، عالم الكتب.
(7) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب، ط٤، دار الساقي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
(8) المنجد، محمد صالح: كيف عاملهم ﷺ ، ط2، مجموعة زاد للنشر، الرياض، 1436هـ

ثالثاً:الرسائل العلمية:

(1) الجدي، أحمد بن محمود: دور المرأة الجهادي في الإسلام من البعثة النبوية حتى نهاية الدولة الأموية، رسالة ماجستير، كلية الأداب، الجامعة الإسلامية، ١٤٢٦هـ.

رابعاً: الدوريات:

(1) جابري، حواس؛ لحبيب، بشير: «الأبعاد الدعوية لمشاركة المرأة في الغزوات مع النبي ﷺ« مج19، ع23، مجلة الأحياء، 2019م.
(2) العتيبي، حصة بنت هند: «الدور الحضاري للمرأة المسلمة في العهد النبوي والراشدين»، ع٤١، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، ٢٠١٧م.
(3) مال الله، نضال مؤيد، «أُم أيمن -رضي الله عنها- حاضنة النبي محمد ﷺحياتها ومروياتها عن السيرة الن**بوية**»، مجلة كلية التربية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة الموصل، 1438هـ/2016م.

قوات الدفاع السعودي في عهد الملك عبدالعزيز (1319 - 1373هـ/1902 - 1953م) (دراسة تاريخية حضارية)

أ.عبدالله سعيد فاضل العمري

باحث دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة أم القرى- مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية

مستخلص:

لقد حظي تاريخ المملكة العربية السعودية بالكثير من الدراسات المختلفة في تاريخه العام، ولازال الكتاب والمؤرخون يتناولونه بالبحث والدراسة، ومع ظهور بعض الدراسات المتخصصة لكنها لم تشتمل على جميع الجوانب، فمن هذه الجوانب التي لم تأخذ حقها من الدراسة والبحث المعمق الجانب العسكري للدولة، رغم أهميته العظيمة في الحفاظ على كيان المملكة وحدودها واستقرارها الأمني والسياسي. لقد جاءت الدراسة لتسليط الضوء على قوات الدفاع السعودي في عهد الملك عبدالعزيز «طيّب الله ثراه» خلال الفترة (1319-1373هـ/1902-1953م)، وتضمنت أركانها الرئيسية من حيث النشأة والتنظيم والتحديث والتسليح، والإنجازات وقد بيّنت نشأة قوات الدفاع السعودي قبل تأسيس الدولة السعودية عام (1351هـ/1932م)، فأظهرت تكوين قوات الملك عبدالعزيز الحربية بعد استعادة الرياض عام (1319هـ/1902م)،ثم استعرضت أعمالها ومهامها العسكرية التي خاضتها لتوحيد أجزاء البلاد، كما تتبعت مراحل بنائها ابتداءً من تكوين نواتها الأولى في الكويت، وذكرت تنظيماتها الحربية ومكوناتها العسكرية، وحتى تأسيس قوات الدولة النظامية الحديثة بعد ضم الحجاز عام (1344هـ/1925م)، ثم تناولت تأسيس وزارة الدفاع السعودية عام (1363هـ/1943م)، فبينت نهضتها العسكرية في فترة تولي أول وزير لها سمو الأمير منصور بن عبدالعزيز، ثم عهد وزارة أخيه سمو الأمير مشعل بن عبدالعزيز، وتطرقت لتشكيلاتها العسكرية، وتجهيزات جيشها الأساسية من المرافق والمنشآت والأسلحة، كما تناولت إنجازات قوات الدفاع السعودي من حيث دورها الإنساني والوطني، ومشاركاتها العسكرية في الحروب الخارجية، ومواجهاتها لحركات التمرد الداخلية، وفي الختام أبرزت الدراسة أهم النتائج التي توصل إليها الباحث والتوصيات الهامة للبحث.

الكلمات المفتاحية: قوات الدفاع السعودي، عهد الملك عبدالعزيز، النشأة، التنظيم،التحديث.

Saudi Defense Forces during the reign of King Abdulaziz (1319-1373 AH / 1902-1953 AD) (Historical and cultural study)

Abdullah Saeed Fadel Al-amri

Abstract:

The history of the Kingdom of Saudi Arabia has received many different studies in its general history، and writers and historians still deal with it in research and study، and with the emergence of some specialized studies، they did not include all aspects. Among these aspects

that did not receive their due study and in-depth research is the military aspect of the state، despite its importance. Great in preserving the Kingdom's entity، borders، and security and political stability.The study came to shed light on the Saudi Defense Forces during the reign of King Abdulaziz، "may God have mercy on him،" during the period (1319-1373 AH / 1902-1953 AD)، and included its main pillars in terms of origin، organization، modernization، armament، and achievements. It showed the emergence of the Saudi Defense Forces before the founding of the state. Saudi Arabia in the year (1351 AH / 1932 AD)، it showed the formation of King Abdulaziz's military forces after the recapture of Riyadh in the year (1319 AH / 1902 AD)، then it reviewed its actions and military missions that it undertook to unify the parts of the country. It also traced the stages of its construction، starting with the formation of its first nucleus in Kuwait، and mentioned its military organizations. And its military components، until the establishment of the modern regular state forces after the annexation of Hijaz in the year (1344 AH / 1925 AD)، then it dealt with the establishment of the Saudi Ministry of Defense in the year (1363 AH / 1943 AD)، and showed its military renaissance during the period of the tenure of its first minister، His Highness Prince Mansour bin Abdulaziz، and then the era of the Ministry His brother، His Highness Prince Mishal bin Abdulaziz، and discussed its military formations and its army's basic equipment of facilities، installations and weapons. It also addressed the achievements of the Saudi Defense Forces in terms of their humanitarian and national role، their military participation in foreign wars، and their confrontations with internal rebellion movements. In conclusion، the study highlighted the most important results that it reached. The researcher and important recommendations for research.

Keywords: Saudi Defense Forces، era of King Abdulaziz، origins، development.

مقدمة:

اعتبر بعض الكتاب والمؤرخين الذين تناولوا سيرة الملك عبدالعزيز أن أول تأسيس للقوات العسكرية السعودية تمثل في أولئك الستين رجلاً الذين خرج بهم الملك عبدالعزيز من الكويت عام (1319ه/1902م) لاستعادة ملك آبائه وأجداده في الرياض، حيث تُعد تلك القوة النواة الأولى لتكوين جيش الدولة الذي قاده

لتوحّيد البلاد، ومع مرور الزمن ازداد هذا الجيش قوةً وعدداً بعد أن التف حوله سكان المدن والقرى من حاضرة أهل نجد، ثم أنشأ «الهجر» لتوطين البدو الرحّل، فأخرجت جيش «الإخوان» القوة الضاربة التي اعتمد عليها الملك عبدالعزيز في مقدمة جيشه وطليعة قواته، وبعد انتهاء مرحلة توحيد البلاد واستقرار الأوضاع السياسية والعسكرية دخلت التنظيمات العسكرية الحديثة في الجيش وأُلغيت بعض فرق الإخوان، وأُلحق بعضها بجهاز الشرطة وبالوحدات العسكرية النظامية، وأُسست وحدات عسكرية جديدة في عدة مناطق بحسب الاحتياج والإمكانات المتوفرة، ومع نموّ وتوسع التشكيلات العسكرية تقرر إنشاء «مديرية الأمور العسكرية» في عام (1348هـ/ 1929م)، لتشرف على تلك الوحدات، وكان ذلك إيذاناً بغرس نواة القوات النظامية السعودية، ومع ارتفاع عدد أفراد الجيش واتساع فروعه تطلّب الأمر إضافة تشكيلات جديدة تستوعب هذه الجموع وتواكب مسيرة التطوير، فكان إحداث «وكالة الدفاع» في عام (1353هـ/1934م)، والتي أعادت تشكيل جميع تلك الوحدات وتوزيعها على مناطق المملكة، ثم أُنشئت عقب ذلك «رئاسة الأركان» في عام (1358هـ/1939م)، لتحل محل مديرية الأمور العسكرية وتقوم بمهامها، وفي عام (1363هـ/1943م) أُلغيت وكالة الدفاع وقامت بدلاً عنها «وزارة الدفاع»، وعُيّن عليها سمو الأمير منصور بن عبدالعزيز وزيراً للدفاع ومفتشاً عاماً للوزارة، حيث أخذت في عهده النهضة العسكرية للجيش السعودي تمضي بخطوات مدروسة وخطط منظمة، فأنشأت مدارس عسكرية جديدة وأجرت إصلاحات إدارية وتنظيمية عديدة، إضافةً على إنشائها المنشآت العسكرية والمصانع الحربية بالخرج، ومن هنا تبرز أهمية هذا البحث في تتبع ودراسة مراحل تكوين وتطوير وتحديث قوات الدفاع السعودي خلال فترة حكم الملك عبدالعزيز.

نشأة قوات الدفاع السعودي قبل تأسيس الدولة عام (1351هـ/1932م):

تكوين قوات الملك عبدالعزيز الحربية بعد استعادة الرياض عام (1319هـ/1902م):

بعد استعادة الملك عبدالعزيز للرياض كان أول ما بدأ به بعد قضائه على عجلان وحاميته، احتياطه للطوارئ، فنظم من كان قد بقي في المدينة من آل سعود تنظيماً شبه عسكري، وأمر ببناء سور حديث لها، وبدأ يخطط لمرحلة جديدة وهامة لـتأسيس دولة وتوحيد كيان، وقد أدرك بنظرة ثاقبة أن استعادة الرياض إما أن تكون بداية صراع لوجود أو نهاية حلم لطموح، واعتقد أن إيمانه بالله وتمسكه بإقامة شريعته أعطاه اليقين التام بالنصر والظفر على خصومه، وأعلن أن هدفه إصلاح الأوضاع التي آلت إليها البلاد من الفوضى والجهل والفقر والمرض، فأخذ في تكوين جيشه الوليد، ثم خاض بعدها جهاداً دينياً وسياسياً وعسكرياً طوال ما يناهز ثلاثة عقود من الزمن لتوحيد الدولة، حتى استطاع بفضل الله تعالى أولاً ثم بقوة سيفه إخضاع نجد بأكملها والأحساء وحائل وعسير وأخيراً استسلمت له الحجاز عام (1344ه/1927م)، ثم جرى إعلان توحيد هذا الكيان « المملكة العربية السعودية» عام (1351ه/ 1953م).

لقد مرّت قوات الملك عبدالعزيز خلال تكوينها العسكري بمراحل من التطوّر والنموّ في العدد والقوة، فعندما بدأ المؤسس في توحيد دولته لم يعتمد على جيش منظم ولا جند مدرّب، وإنما استند على إيمانه بالله سبحانه وتعالى أولاً، ثم على رجال أكفاء مخلصين أسس بهم قوة صغيرة لم يكن يتجاوز عددها أفراد سرية أو فصيل من مشاة الجيوش الحديثة استطاعت استعادة الرياض عام (1319ه/1902م)، وبعد سيطرته على

الرياض واستقراره فيها، بدأ مرحلة جديدة باستمالة رجال القبائل المحيطين بها والتفاف الكثير من السكان وبعض أهالي القرى المجاورة، فجعل من هؤلاء قاعدة جيشه الوليد وأخذ يبني قوته الحربية منهم، إضافةً إلى رجال البادية والحاضرة الذين انضموا إليه وانضووا تحت حكمه، فزادت أعدادهم بمرور الزمن وبدأت قوته في الكثرة والتوسع، فأصبح لا بد من ترتيب وتنظيم صفوفهم، وتعبئة وتهيئة فرقهم كقوات عسكرية مقاتلة، وقد تألفت عناصرهم من أهل العارض وهم حاضرة الرياض والقرى القريبة منها، ومن أهل حواضر المدن الذين بايعوه من أهل عنيزة وبريدة وغيرها، ثم كانت مرحلة أكثر تطوّراً وتنظيماً تكوّنت من أهل البادية الذين استقروا في الهجر وعُرفوا باسم «الإخوان» وأعلنوا له السمع والطاعة، والذين كان لهم الفضل في الانتصارات العظيمة التي تحققت على يدي الملك عبدالعزيز، فأصبح تصنيف القوات بحسب المدينة أو القرية أو الهجرة أو القبيلة[1]، وكان لكل قسم منهم شكل وترتيب خاص به[2]، واستمر الجيش على هذا النحو حتى دخلت القوات العسكرية السعودية الحجاز عام (1344ه/1927م)، حيث بدأ تأسيس الجيش النظامي الحديث.

لقد كانت أقوى دعائم جيش الملك عبدالعزيز قوة من حاضرة نجد كوّنها من «أهل العارض» قلب شبه الجزيرة العربية، باعتبارهم ركن الدولة الركين، وعماد حربها المتين، وقد أُطلق عليهم «جيش الجهاد»، وهم سكان الرياض الأصليون وما حولها من البلدان[3]، إضافةً لهم البدو شبه الرعاة الذين يعيشون في المناطق القريبة من الرياض، وأغلبهم من قبيلتيّ السهول والسبعان الذين ليس لهم رئيس نافذ يجتمعون حوله، بل ارتبطوا ارتباطاً مباشراً بالملك أو أحد أفراد أسرته بحكم قربهم من الرياض، وهم من أشد القبائل النجدية في الحروب، ويلي هؤلاء في المنزلة العسكرية «رجال الحواضر» من سكان قرى نجد المختلفة، وهم عماد القوة في نجد، والدعامة المتينة في الحرب أيام الملمّات، وهم الذين يوالون جموع أهل العارض عن اليمين والشمال أثناء المعارك وفي المنازل[4]، أما الأكثرية المطلقة من قاطني الجزيرة العربية فهي تتألف من «البدو الرحّل» الذين يتنقلون في الصحراء طلباً للمرعى ومياه الأمطار، ويسكنون في خيام ينقلونها معهم حيثما ذهبوا، ولم يعرفوا غير حياة التجوّل والتحوّل من مكان إلى آخر، ولا يتقيّدون بنظام أو قانون، بل اعتادوا في معيشتهم على الغزو والسطو، والسلب والنهب، وحب الحرب، وتغيّر الولاءات، مما جعل إخضاعهم للحكم الطوعي من الأمور الصعبة[5]، لذلك رأى الملك عبدالعزيز أن يُحلّ النظام محل الفوضى، والعلم بدل الجهل، وأدرك بثاقب بصيرته أن البدو هم العصب الرئيس للدولة، وعاداتهم وتقاليدهم لن تتغير أو تتبدل إلا بوازع من الدين، بمعنى تحويلهم إلى العقيدة الصحيحة، ولا يمكن تحقيق ذلك واقعاً إلا إذا استقر هؤلاء البدو في نقاط معيّنة من الصحراء[6]، فأقدم على فكرة توطين القبائل، وتكوين جيش دائم للدولة، يكون بمثابة الحصن الحصين في وجه الطامعين، وجهازاً عصرياً يسهل استدعاؤه إذا ما أراد القيام بغزوة أو خوض معركة أو صد عدوان[7]. ومن هذا المنطلق استقر رأي الملك عبدالعزيز على إنشاء «الهجر»، والتي هي أشبه ما تكون بالقواعد أو الثكنات العسكرية، في نقلة حضارية جديدة وشاملة لم يسبقه إليها أحد من ملوك العرب قديماً أو حديثاً[8]، فبدأ بإنشاء أول هجرة في عام (1330ه/1911م) على آبار «الأرطاوية»[9] الواقعة على الطريق بين الزلفي والكويت، حيث سكنها سعد بن مثيب من قبيلة حرب[10]، ثم أُعطيت لفيصل الدويش[11] وقبيلته من مطير[12]، ولها موقع استراتيجي يتحكم في الطريق التجاري بين نجد والكويت، إضافةً

لتأمينها الجبهة الشمالية ضد ابن رشيد، أما الهجرة الثانية فكانت «الغطغط» غرب مدينة الرياض في عام (1334ه/1915م)، واستوطنها سلطان بن حميد[13] شيخ برقا الفرع الثاني من قبيلة عتيبة[14]، وكانت تحمي الجهة الغربية للرياض، ثم توالى بعد ذلك قيام الهجر على نسق الهجرة الأولى في الأرطاوية، وقد بلغ عدد القبائل التي توطنت في الهجر على عهد الملك عبدالعزيز أكثر من اثنتي عشرة قبيلة، ينقسم بعضها إلى أكثر من خمسة عشر فخذاً، يضم الفخذ ما بين ثلاثة آلاف وخمسة الأف نسمة[15]، ومع ازدياد أعداد هذه الهجر تزايدت أعداد المحاربين، حيث بلغ عددها(122) هجرة[16]، وأعداد المحاربين فيها عام (1344ه/1925م) بلغ ما يقارب (76،500) محارب[17]، وقد أصبح هؤلاء المحاربين رأس الحربة في قوات الملك عبدالعزيز، وشكّلوا أكبر قوة عسكرية في جزيرة العرب ساهمت في تأسيس الدولة السعودية وتوحيد كيانها[18]، ونبعت منها لاحقاً الفرقة الدينية المعروفة باسم «الإخوان»، والتي كانت مصدراً مهماً لمحاربين متعصبين على أتم الاستعداد للقتال حتى الموت[19]. وعلى ضوء ما سبق فقد تكّونت قوّات الملك عبدالعزيز الرئيسية من «جيش الجهاد وجيش الإخوان»، ولكل فريق منهم راية خاصة تظلله راية القائد العام، وكانوا على ثلاثة أصناف في الحرب هي: «الهجانة، والخيّالة، والمشاة»، وظل سلاحهم الذي يستعملونه قبل إدخال التشكيلات العسكرية الحديثة، قاصراً على البنادق والسيوف والخناجر والرماح، وبقي نظام الجيش السعودي متبعاً هذه الطريقة التي كانت تقتضيها متطلّبات الوضع في الدولة إلى عام (1348ه/ 1929م)، حيث بدأت مرحلة جديدة بعد انتهاء حروب توحيد البلاد بتنظيم هذه القوات بما يتناسب وتطوّر الجيوش الحديثة، وذلك عندما أمر الملك عبدالعزيز بتأسيس نواة الجيش النظامي، فوضع تشكيلته فوج من المدفعية، وفوج من الرشاشات، وفوج من المشاة، إلى جانب جيش الجهاد وجيش الإخوان[20]، ثم أُلغيت بعض تشكيلات فرق الإخوان، وأُلحق بعضها بالوحدات العسكرية النظامية وأخرى بالشرطة، وكوّن من بعضها قوّة الهجانة، والتي تشكّلت منها فيما بعد ألوية الجهاد، النواة الأولى للحرس الوطني السعودي، وبرغم انشقاق فريق من الإخوان على الملك في معركة «السبلة» عام (1347ه/1928م) لكن لم تختفي قوتهم نهائياً، بل استمر وجودهم وساهموا في القضاء على فتنة ابن رفادة في الشمال، وثورة الأدارسة في الجنوب عام (1351ه/1932م)، كما شاركوا بحرب اليمن عام (1353ه/1934م)[21].

مراحل تأسيس قوات الدفاع السعودي 1358-1319ه/ 1953-1902م:

تُعد مرحلة البناء والتأسيس التي تمت في عهد الملك عبدالعزيز من أدق المراحل في تاريخ الدولة السعودية، حيث تم بناء مجتمع متحضر، وتحقيق الأمن والاستقرار، ووضع الأسس لإنشاء المؤسسات والهياكل التنظيمية الحديثة، وقد مرت القوات العسكرية التي شيّدها الملك عبدالعزيز بثلاث مراحل تكوينية تهدف لتأسيس جيش وطني متطوّر ومتكامل، وكانت «القوة الفدائية» التي استطاعت استعادة الرياض عام (1319ه/1902م) نواة التأسيس الأولى، ورغم قلة العدد والعتاد إلا أنها مهّدت لقيام دولة وإنشاء نظام، وبعد أن التف أهل العارض والقبائل المحيطة بالرياض حول الملك عبدالعزيز ظهر «جيش الجهاد» المؤلف في المقام الأول من رجال الحاضرة سكان مدن نجد وضواحيها، فكانت مرحلة التكوين الأولى، ثم بعد استيطان كثير من أبناء البادية في الهجر وظهور «قوة الإخوان» وتضاعف أعداد الجيش أصبح هؤلاء الإخوان في طليعة تلك القوات، ومعها ظهرت مرحلة القوّات العسكرية شبه النظامية، وقد ظل النظام الحربي

لقوات الملك عبدالعزيز معتمداً على هاتين القوتين في جميع المعارك حتى تم ضم الحجاز عام (1344ه/1925م) حيث دخلت مرحلة التنظيمات العسكرية الحديثة.

تنظيمات قوات الملك عبدالعزيز الحربية:

مكوّنات قوات الملك عبدالعزيز العسكرية:

1-جيش الجهاد:

لقد مرّ معنا سابقاً إلى أن جيش الجهاد يتألف من أهل العارض وحواضر المدن النجدية، وكان يُطلق لفظة «جيش الجهاد» على كل من يحمل سلاح الملك عبدالعزيز[22].

(1) **أهل العارض:** وهم رأسها وعمادها، ويطلق على أهل الرياض وما حولها من قرى مثل الدرعية وغيرها.

وكان كل أفراد أهل العارض يُعدّون من أهل السلاح، حيث كانوا على أصناف ثلاثة:

- رجال الحرس والخدم: وهم الذين لا يفارقون الملك والأمراء في حلّهم وترحالهم، ويتقلّدون السلاح في سائر أوقاتهم، ولا يتركونه حتى عند نومهم في بيوتهم[32].
- أهل الوظائف والمراتب: لا يختلفون كثيراً عن رجال الحرس والخدم، لأن بعضهم في الأكثر من بعض، والوظائف في نجد محدودة، فمنهم أمير جهة من الجهات أو أمير سريّة من السرايا أو عامل من عمّال الزكاة أو صاحب بيت مال، أو غير ذلك من الوظائف التي هي في جملتها وظائف عسكرية.
- أهل الجهاد: وهم حملة سلاح الملك، ويطلق على كل فرد استلم من مخزن السلاح بندقاً موسومةً بطابع الملك فهو من أهل الجهاد، ورجال الحرس والخدم فريق منهم، ولكن أهل الجهاد لا يخرجون من الرياض إلا بأمر الملك في الغزوات والحروب[42].

(2) أهل حواضر المدن: وهم الصنف الثاني من جيش الجهاد، ويلون أهل العارض في المنزلة، ويراد بهم هنا كل من يسكن قرية من هذه القرى المسماة، مثل القصيم بمدنها وقراها[25].

وقد كان أهل الحواضر عمدة القوة في نجد، والدعامة المتينة في الحرب، وكانوا يوالون أهل العارض عن اليمين والشمال أثناء المعارك، وكان لكل أهل قرية من الحواضر واجب في الحرب معيّن، ولها نظام في الجهاد على حالات أربع:

- حالة السلم الدائمة: بحيث عليها أن تقدّم عدداً محدداً من الرجال المسلحين ببنادقهم وطعامهم مع الركائب وجميع لوازمها، ويخدمون مدة أربعة أشهر كل عام، فإن لم يكن هناك داع للجهاد دفع أهل تلك القرية مقابل ما يصرف مؤونة المجاهدين دراهم معينة لبيت المال كل سنة ينفقها الإمام في مصالح المسلمين.
- حالة المغازي البسيطة: إن كان هناك داع للجنود طلب العدد المقرر على كل قرية، فيخرج العدد بترتيباته وتجهيزاته ولا يعطى من بيت المال غير القذائف(الفشك) فإن أقام في غزوته أكثر من أربعة أشهر دفع له من بيت المال طعامه.
- حالة المغازي القوية: أن يكون الداعي للجهاد ضرورياً ويحتاج لعدد وفير، فيُدعى للجهاد

«المثنى» وفي هذه الحالة يكون عدد الجنود من حواضر المدن مضاعفاً عنه في الحالة الثانية.

- حالة الاضطرار الشديدة: أن يكون هناك خطر يهدد كيان البلاد فيعلن النفير العام ويؤخذ تسعة من عشرة من القادرين على حمل السلاح، حيث تلقى كل إنسان يبذل ما يستطيع وما يملك في سبيل الدفاع عن البلاد(62).

2-قوة الإخوان في الهجر[27]:

رأى الملك عبدالعزيز أن أغلب سكان البلاد هم من قبائل البدو الرحل الذين لا يستقرون بمكان ولا يتقيدون بنظام، فبرزت له فكرة إنشاء مستوطنات ثابتة لهم سمّاها (الهجر)، وجعلهم يعملون بالزراعة بدلاً من حياة التنقل والترحال، كما أنه كان بحاجة إلى قوة عسكرية ثابتة تتمتع بصفات سكان الحضر وخفة حركتهم وشجاعتهم، ولم يكن أمامه من مصدر بشري إلا هؤلاء البدو، وقد استطاع بالفعل خلال بضع سنين أن يحوّلهم إلى قوة مستقرة عُرفت باسم قوة «الإخوان»[28]، كان لها الفضل الكبير في الفتوحات العسكرية العظيمة التي تحققت على يديه، وقد كانت أول هجرة أُنشئت «الأرطاوية»، وذلك في العام (1331ه/1913م)، وكان سكانها أول من سمّوا أنفسهم باسم «الإخوان»، وقد سكنها حوالي عشرين ألف نفس، وزاد عددهم بعد ذلك حتى قيل أنه وصل خمسة وثلاثين ألفاً[29]، ثم انتشرت الحركة بسرعة في وسط الجزيرة العربية وبخاصة نجد، بينما قامت بعض الهجر في الحجاز وبلغ عددها قرابة سبعين هجرة، وسكان كل موطن منها تراوح ما بين (1400) و(6000) فرد[30]، وقد عملت هذه الهجر على صنع قوة تجاوزت الحاجز القبلي الضيّق إلى الإخاء الديني العام، ولم يكن الهدف من هجر الإخوان مقتصراً على خلق تعبئة سياسية واستقرار اجتماعي فحسب، بل تجاوز ذلك إلى غرض عسكري، فقد دُعمت الخدمة العسكرية بأعداد أكبر، وأصبح لدى الملك عبدالعزيز قوة عسكرية احتياطية من المحاربين تُعرف أمكنتهم ويعتمد على ولائهم[31]، ولم يمض خمس سنوات على تأسيس الهجر حتى بلغت قوة محاربيها من الإخوان خمسين ألف مقاتل[32]، وقد قام الملك عبدالعزيز على وضع نظام عسكري للإخوان خاص بهم يسيرون عليه في حالة دعوتهم للحرب، قُسّمت بموجبه كل هجرة إلى فئات ثلاث:

- قوات الجهاد: وهم الذين يلبّون الدعوة للجهاد، ودائماً هم مسلّحون ومستعدون، ويمتلكون مطايا وذخيرة.
- قوات الرديف: وهم الذين يخرجون للقتال حينما يعلن الإمام الجهاد مثنى، ولكنهم لا يملكون النياق الصالحة للجهاد، فيقوم كل مجاهد بختيار رديف يشاركه الركوب على ناقته عند الحرب.
- قوات النفير: وهم الذين يبقون في الهجر يمارسون أعمالهم ولا يُدعون للحرب إلا في حالة النفير العام.

وقد ميّز الإخوان أنفسهم بعمائم بيضاء تعلو رؤوسهم، بدلاً من العُقُل، وفي حال الحرب لا يتقاضون رواتب، إلا أن لهم في الغالب أعطيات من بيت المال معونة لهم من جهة، ومن جهة أخرى فهي جزاء صبرهم وانتظارهم لداعي الحرب إن دعا الإمام إليها، وتنحصر تلك الأعطيات في أربعة أنواع تسمى (الشرهة، والقاعدة، والمعاونة، والبروة) تتراوح ما بين العطاء المالي والعطاء المادي من الأرز والسكر ونحوها مما يعين على ظروف المعيشة [33].

ومن زاوية أخرى وفيما يتعلق بتقدير أعداد قوة الإخوان العسكرية في الغزو فقد تباين المؤرخون في ذلك، ولكن تقديراتهم لا تتعدى تاريخ العام (1344ه/1926م)، وقد ذكر الملك عبدالعزيز مفاخراً بقومه عامة وبالإخوان خاصة: **أنا مسلم عربي رأست قومي بعد مصاعب طويلة، ولا فخر في ذلك، أسير الآن ورائي جيوش جرارة لا تقل عن أربعمائة ألف مقاتل**[34]، وقد قدّر الريحاني عدد إخوان الهجر بحوالي (76،500) ألف مقاتل[35]، وذكر أنه خرج مع الملك عبدالعزيز عندما تقدم إلى الحجاز ثلاثون لواءً غير الخمسة عشر لواءً التي سبقته ودخلت مكة[36]، بينما خرج معه لمحاربة المنشقين من الإخوان في معركة السبلة عام (1347ه/1929م) مائة وثمانية عشر لواءً[37]، أما فيلبي فيقدرهم بنحو (50،000) ألف مقاتل من نوع أو آخر، وذكر العطار تقديرات عن سكان الهجر من الإخوان بحسب قبائلهم، وقال إن إجماليّهم يصل إلى (199،000) ألفاً من المقاتلين[38]، وأما ديكسون فقد أورد في إحدى التقارير التي كتبها في العام (1338ه/1920م) أن ابن سعود قدر عدد الإخوان الإجمالي بحوالي (300،000) ألف مقاتل، وأنه كان بإمكانه أن يحشد كل هذا العدد في الحرب الشاملة، ويرجح جون حبيب أن عدد المقاتلين من هجر الإخوان (150،000) ألف مقاتل[39]، وحيث أنه لا توجد سجلات رسمية توضّح هذه الأعداد على وجه الدقة، فإنه من الصعوبة بمكان تقدير إجمالي القوة العسكرية الحقيقية للإخوان.

القوات العسكرية النظامية:

1-مديرية الأمور العسكرية (1348ه/1929م):

أدى نموّ وتوسّع التشكيلات العسكرية إلى أهمية توحيدها وربطها بإدارة تتولّى شؤون الجند وتشرف على أمور القوّات النظامية وتنسيق أعمالها، ولم تكن هناك إدارة مركزية تجمع كل هذه المهام، فتم تأسيس «مديرية الأمور العسكرية» عام (1348ه/1929م)، وأنيط بها كل ما يتصل بالدفاع، وتم استدعاء نبيه بك العظمة من سوريا لإدارتها[40]، يُرافقه فوزي القاوقجي مساعداً له[41]، فعملا على إدخال التحسينات اللازمة في فروع الجيش[42]، وصدر مرسوم ملكي بتاريخ (3/2/1349ه الموافق30/6/1930م) بتوحيد جميع الدوائر العسكرية تحت رئاسة قائد عام مركزه في مكة المكرمة، ومرسوم ملكيّ آخر في العام ذاته يقضي بتعيين العراقي حمدي بك الياور مديراً مؤقتاً لمديرية الأمور العسكرية بالوكالة[43]، وقد عملت هذه المديرية منذ تأسيسها على توحيد وبناء جيش نظاميّ متطوّر وقويّ، وقامت بوضع الأُسس التنظيمية واللوائح وتشكيل الوحدات والشعب القيادية والإدارية، وكان من أبرز أعمالها:

1. توحيد رواتب الضباط ورواتب الأفراد في جميع الوحدات العسكرية.
2. تشكيل ثلاث شعب رئيسية، الأولى للشئون الإدارية، والثانية شعبة للتموين والتسليح والثالثة شعبة للتدريب.
3. ربط جميع التشكيلات العسكرية في كل من جدة وينبع والمدينة المنوّرة والطائف بمديرية الأمور العسكرية.
4. إحداث إدارة للخدمات الطبيّة.
5. إلحاق من يصلح للخدمة وتتوافر لديه الرغبة من الإخوان بالتشكيلات العسكرية.
6. إعداد ميزانيات للوحدات العسكرية والإشراف على عمليات الصرف.

لقد بقيت هذه المديرية تبني وتشرف على القوات العسكرية مدة لم تتجاوز ثلاث سنوات منذ تأسيسها عام (1350-1348ه/ 1931-1929م)، ثم أُعيد تنظيمها في مرحلة لاحقة عام (1352ه/1933م) بعد أن توسّعت التشكيلات العسكرية، وفيما بعد تم نقل حمدي بك الياور من المديرية وعُيّن بدلاً منه العميد حسن تحسين العسكري مديراً للمديرية بالوكالة بتاريخ (7/4/1353ه الموافق 16/8/1934م)، ومع زيادة أعداد أفراد الجيش توسّعت تشكيلاته وانتشرت فروعه في جميع أنحاء البلاد، مما تطلّب معه إحداث تشكيلات جديدة وإدارة أكبر، وهو ما اقتضى تأسيس وكالة الدفاع مع استمرار قيام مديرية الأمور العسكرية بمهامها المكلّفة بها[44].

2- وكالة الدفاع (1353هـ/1934م):

تماشياً مع متطلبات المرحلة التي تحتاج للتوسع والتحديث في القوّات العسكرية، رأى القائد الأعلى الملك عبدالعزيز ضرورة إنشاء جهاز أكبر من مديرية الأمور العسكرية، وذلك للاضطلاع بمسؤوليات الجيش من كافة الجوانب توسعاً وتسليحاً وتدريباً وتنظيماً، فأصدر أمره الملكي الموجه للنائب العام على الحجاز الأمير فيصل بتأسيس وكالة الدفاع برقم (25/3/26) وتاريخ (5/5/1353ه الموافق 16/8/1934م)، وعُيّن وكيلاً لها عبدالله بن سليمان الحمدان[45]، وتم ربطها به بصفته وزيراً للمالية، ويساعده العميد حسن تحسين العسكري، إضافةً إلى عمله مديراً للأمور العسكرية[46]، وقد طوّرت هذه الوكالة القوات العسكرية وأعادت تقويمها بحسب مهامها، فأحدثت مسمى «الأسلحة» بدل مسماها القديم «الأفواج»، وأصبحت القوات النظامية مكوّنة من «سلاح المشاة، وسلاح المدفعية، وسلاح الفرسان»، وقامت بتشكيل وحدات الجيش على أساس كتائب وألوية عسكرية، مزوّدة بأحدث الأسلحة من رشاشات ومصفّحات ومدافع، وما تحتاجه من سيارات النقل المختلفة ووسائل أجهزة اللاسلكي، وتم توزيع هذه الوحدات على خمس مناطق عسكرية بناءً على وضع الدولة الجغرافي، وجعل مقر وكالة الدفاع بالطائف وذلك لموقعها الجبلي الحصين[47]، وقد تألّفت الوكالة حين تأسيسها من خمس شعب:

1. الشعبة الأولى: خاصة بالشؤون العسكرية بأسلحتها من المشاة والمدفعية والفرسان.
2. الشعبة الثانية: خاصة بالمعاملات الذاتية، مثل الإجازات والتحقيقات.
3. الشعبة الثالثة: تحتوي على قسم المحاسبة والإعاشة واللوازم والمبيعات.
4. الشعبة الرابعة: قسم التحرير «الصادر والوارد».
5. الشعبة الخامسة: قسم الشؤون الطبية.

وقد تولت وكالة الدفاع منذ إنشائها الإشراف العام على القوات العسكرية، فتطورت القطاعات العسكرية بشكل ملحوظ، حيث قامت ببعض التنظيمات والإنجازات الإدارية والميدانية، وبدأت ببناء مراكز للتدريب العسكري في مدينة الطائف حسب الاحتياج، وقررت تقنين مدة الخدمة الفعلية للأفراد بثلاث سنوات بدلاً من سنتين، وأسست مدارس تعليمية للجيش، فكانت أولها وأهمها «المدرسة العسكرية»، التي أُنشئت عام (1353ه/1934م)، وعُيّن مراد الاختيار مديراً لها، علاوةً على مسئولياته في إدارة الأمور العسكرية، وتُعد هذه المدرسة أول إنجازات وكالة الدفاع[48].

3- رئاسة الأركان الحربية (1358هـ/1939م):

أدى تطوّر القوات العسكرية وتوسع أعمالها إلى إنشاء قيادة تتولى جميع شعب ووحدات وكالة الدفاع وتشرف عليها، فألغيت بذلك مديرية الأمور العسكرية، وأقيم بدلاً عنها رئاسة الأركان الحربية بإدارتها وشُعبها[49]، وكان ذلك في عام (1358ه/1939م)[50]، وكانت مهمتها منصبّة على الجوانب العسكرية البحتة كالتدريب والتسليح وتطوير القدرات القتالية للقوات النظامية، وعُيّن على رئاستها المقدم محمد طارق الأفريقي كأول رئيس لأركان الجيش السعودي[51]، حيث كان يتصف بالحزم والانضباط والشدة في الأمور العسكرية، مما جعله يجتهد في تنظيم الدورات العسكرية، ويتوسع في أعمال التدريب والتعليم، وقام بتشكيل الفرقة المدرعة الأولى للجيش، وتشكيل الفرقة الأولى للفرسان، وتشكيل وحدات للسيارات المسلحة عليها مدافع ورشاشات، وإعادة فتح المدرسة العسكرية لتدريب الضباط على أُسس الجندية الحديثة، بعد أن استقدم مدربين من سوريا لتدريس جميع مبادئ العلوم والفنون العسكرية، وقام بتوحيد الزي العسكري للجيش، والشارة العسكرية المميزة[52]، وامتازت رئاسة الأركان في عهده بالعمل على تكثيف التدريب والاهتمام بالضبط والسلوك العسكري المبني على الطاعة وتنفيذ الأوامر والاهتمام باللياقة البدنية والمظهر العسكري للجنود والمحافظة على السلاح وجاهزيته للاستخدام، وقد بقي في إدارة رئاسة الأركان حتى أواخر عام (1360ه/1941م) حيث أُعفي من منصبه وكُلّف جعفر الطيار قائد لواء المدفعية بدلاً عنه وهو برتبة زعيم (عميد)، وبعد وفاته عام (1363ه/ 1944م) خلفه العقيد الشريف محسن الحارثي[53]بالوكالة اعتباراً من تاريخ (12/2/1363ه الموافق 7/2/1944م)، وبعد ذلك ولظروف تنظيمية وإدارية ضعفت رئاسة الأركان بعد هيمنة وكيل وزارة الدفاع على الشؤون العسكرية مباشرة، وتجمد نشاطها فترة من الزمن حتى عام (1368ه/1949م) حيث تم إنشاء قيادة الوحدات العسكرية، وقد بقيت وكالة الدفاع تقوم بمسؤوليات الجيش كأعلى جهاز تنظيمي يساعدها في أداء مهامها رئاسة الأركان والشُعب التابعة لها إلى أن تم تأسيس وزارة الدفاع عام (1363ه/1943م).

تأسيس وزارة الدفاع السعودية (1373-1363هـ/ 1953-1943م) :

النهضة العسكرية لوزارة الدفاع:

1-تولّي الأمير منصور بن عبدالعزيز وزارة الدفاع (1363ه/1943م):

أ) تنظيم الشؤون الإدارية والعسكرية:

صدر المرسوم الملكي رقم (5/2/6846) وتاريخ (5/11/1363ه الموافق 10/11/1943م) القاضي بإلغاء وكالة الدفاع وإحلال وزارة الدفاع محلها، وتعيين سمو الأمير منصور بن عبدالعزيز وزيراً لها برتبة فريق أول[54]، فقام الأمير منصور بعد تعيينه في عام (1364ه/1944م) بعرض تصوّر كامل عن مستقبل الجيش وتشكيلاته المقترحة، فنال عرضه استحسان والده الملك عبدالعزيز وصدر توجيه ملكي للنائب العام جاء فيه: «**اطلعت على الأبحاث التي دارت حول تنظيم الشؤون العسكرية وتمكين الابن منصور من إصلاحها وترتيبها وجعل تشكيلاتها سريّة لا يطلع عليها إلا من يعتمد عليهم، وبناءً على ذلك فقد أصدرنا أمرنا باعتماد الترتيبات الآتية**»، وملخصها كما يلي[55]:

أولاً: أن تقوم وزارة الدفاع بإعداد ميزانية موحّدة لجميع قطاعات الوزارة، وتتولّى صرفها.
ثانياً: تقدم الإعاشة عينيةً للقوّات العسكرية في مكة المكرمة وجدة والطائف.
ثالثاً: إعادة توزيع قوات الجيش في مناطق ثابتة حسب احتياجات البلاد الأمنية.
رابعاً: إلغاء المراكز العسكرية الصغيرة التي تقوم بمهام أمنية على الحدود، وتولّي وحدات من الشرطة وخفر السواحل ودوريات الجهاد مهامها الأمنية في هذه المناطق.
خامساً: يُصبح الإشراف على القوات العاملة في الملحقات من اختصاص وزارة الدفاع.
سادساً: يُعاد توزيع الذخائر في المناطق المختلفة من المملكة للأغراض الأمنية.
سابعاً: فصل قوات الحرس الملكي عن الوزارة وإلحاقها بالديوان الملكي تحت إشراف ولي العهد الأمير سعود.

لقد بدأ الأمير منصور بإعادة تنظيم الأجهزة القيادية والإدارية للوزارة، فقام أولاً بتنظيم مكتب وزير الدفاع، وشكّل في عام (1365ه/1946م) جهازاً عاماً للتفتيش، يتكوّن من مجموعة من الضباط القدامى، كما قام بتنظيم الجيش وتوسيعه أكثر من ذي قبل، فاستحدث وحدات عسكرية آلية، ووحدات مدفعية مضادة للطائرات والدبابات، وأنشأ المستشفيات الطبية والنوادي العسكرية في مختلف المناطق، وأحدث فروع ومعسكرات للجيش في مناطق جديدة، ووحّد ميزانية الأجهزة العسكرية، وربط الطيران الحربي والمدني بوزارة الدفاع، ونشأت في عهده الإدارات الرئيسية ووُضعت برامج التدريب والتطوير، وعمل على تزويد الجيش بالعربات العسكرية المختلفة، كما أُنشئت العديد من الدوائر والسرايا والمدارس العسكرية، ومع مرور الزمن تطوّرت هذه الدوائر إلى إدارات أو أسلحة رئيسية شكّلت هياكل وزارة الدفاع في الوقت الحاضر، كما قام الوزير بتشكيل سرايا آلية متحركة تكونت من مدرعات خفيفة مزودة بالأسلحة الخفيفة من هاون ورشاش ومدفعية مضادة للطائرات وللدبابات، وأسس ورشة عسكرية للسيارات والميكانيك والصيانة والنجارة، وورشة للأسلحة ومطبعة للجيش، وفي عهد وزارته تأسست «إدارة الإنشاءات العسكرية» عام (1362ه/1942م) والتي تحوّلت فيما بعد إلى «سلاح المهندسين» عام (1366ه/1946م)، بينما تحولت «السرايا الآلية» التي شُكّلت عام (1364ه/1944م) إلى «سرية نقليات» ثم تطوّرت في وقت لاحق إلى «سلاح النقل»، وفي عام (1368ه/1948م) تأسس «قسم الأسلحة والمدخرات» بمكة المكرمة، كما أُحدثت مدرسة للموسيقى العسكرية في مدينة الطائف عام (1372ه/1952م)، واستمرت بعقد الدورات وتخريج الفرق الموسيقية وإلحاقها بوحدات الجيش والقطاعات العسكرية المختلفة، وأُدخلت في عهده كذلك إصلاحات في إدارة المطارات، حيث عُبّدت مدارج نزول الطائرات وصعودها، ووضعت بها أجهزة اللاسلكي والرادار والأنوار الكاشفة، ورُبطت المدن السعودية الكبرى بخط جوّي منظم، وأُنشئ خط يربط البلاد السعودية بمصر وسوريا ولبنان[56].

ب) التعليم والتدريب والابتعاث العسكري:

كان الاهتمام بالتعليم العسكري قد بدأ في عهد الملك عبدالعزيز بتأسيس مدارس عسكرية متخصصة وتزويدها بالمعلمين والمدربين المهرة من أهل الخبرات في جميع مجالات العلوم العسكرية، وقام الأمير منصور بإنشاء مدارس ابتدائية وثانوية ومدارس لمصلحة الصحة والإنشاءات العسكرية ومدارس للطيران، وبعد افتتاحها توافد عليها الكثير من الطلاب الراغبين الالتحاق بالسلك العسكري، وقد أمّنت لهم

وزارة الدفاع خلال مدة دراستهم ما يحتاجون إليه من المسكن والمأكل والملبس، وجعلت لهم رواتب شهرية تكفي التزاماتهم الضرورية، حيث خصصت لطالب الابتدائية مبلغ (100ريال)، وطالب المدارس الثانوية (200ريال)، ولطالب مدارس الصحة والإنشاءات العسكرية (100ريال)، كما خصصت لطالب الدراسة الابتدائية في مدارس الطيران (200ريال) شهرياً، بينما يتقاضى المتخرجون من مدارس الصحة ومدارس الإنشاءات العسكرية راتباً شهرياً يبلغ (198ريال)، إضافةً إلى مبلغ (40ريالاً) لغلاء المعيشة[57]، وقد كانت «المدرسة العسكرية» بمكة المكرمة أول وأهم المدارس العسكرية التي تأسست في عهد وكالة الدفاع، حيث صدر الأمر الملكي بإنشائها برقم (25/3/27) وتاريخ (5/6/1353ه الموافق 15/9/1934م)، فأصبحت بمثابة الانطلاقة الحقيقة للتعليم والتأهيل العسكري في المملكة[58]، كما افتتح الكثير من المدارس والمراكز الجديدة، مثل «مركز تدريب المستجدين» الذي تأسس عام (1368ه/1948م)، و«مدرسة التموين» في عام (1368ه/ 1948م)، ثم في العام الذي يليه تأسست «مدرسة سلاح الإشارة»، وأُنشئت مدرسة أُخرى «للإسعاف»، وتأسست كذلك «مدرسة ضباط الصف» عام (1369ه/1949م)، ثم أُفتتحت «مدرسة السواقة» في العام الذي يليه.

أما الابتعاث الخارجي فقد تم إرسال البعثات لدراسة المتطلبات العسكرية التي لا يمكن تحقيقها في الداخل، وذلك للتخصص في مختلف صناعات الجيش من الآلات الحديثة والفنون الجديدة، فقد تم إرسال بعثتين إلى مصر والسودان لدراسة ميكانيكا السيارات وقيادتها، ونظام القوافل الآلية، وبعثة أُخرى لدراسة أعمال وصيانة المدفعية عيار (25رطل)، كما اختار في عام (1367ه/1947م) نخبة من خريجي المدرسة العسكرية بالطائف مؤلفة من ستة طلاب وأرسلهم إلى إنجلترا للالتحاق بكلية «سانت هيرست»[59] للتخصص في المشاة كأول بعثة عسكرية، وبعثات أُخرى إلى كلية الطيران الملكي في إنجلترا، وإلى الكلية الحربية وكلية الطيران في مصر، وبعثة إلى أمريكا لإلحاقهم بمطار «تشانوت بالينويس» لتعليم ودراسة علوم الأنواء الجوية المختصة بفن الطيران[60]، وأمر بإعادة تنظيم مدرسة الطيران بالطائف تحت إشراف بعثة التدريب البريطانية، أما في مجال الاستقطاب العسكري للفرق الأجنبية لتدريب الجيش، فاستقدم بعثة تدريب عسكرية إنجليزية للمساعدة في تدريب وتحديث الجيش السعودي[61]، وانتدب فريقاً من خيرة الضباط المصريين والسوريين للعمل فيه وإدارة شؤونه إلى جانب الضباط السعوديين، إضافةً إلى الإفادة منهم في التعليم والتدريب في مدارس الجيش العسكرية التي أُنشئت في أنحاء البلاد على اختلاف أنواعها ودرجاتها[62].

ج) الملابس والرتب والرواتب العسكرية:

لم يُعرف لأفراد جيش الملك عبدالعزيز زيٌّ مخصص للحرب، ومنذ دخولهم الرياض عام (1319ه/1902م) ومن ثم انطلاقتهم لخوض حروب التوحيد كانوا يرتدون لباسهم التقليدي المعروف في نجد باسم ثوب «المرودن»، مع الغترة والعقال وربما أحياناً المشلح أو «العباءة»، ولهم حزام يتمنطقونه بوسط الخصر يحمل جراب ذخيرة الحرب، يُلبس أعلى الكتف وحول الرقبة على الجنبين، وفي جانبه الأيمن خنجر «الجنبية»، وينتعلون الحذاء «النجدية» التي تُربط من خلف الكعب، فيما تميّز مقاتلو الإخوان عن غيرهم بلبس العمامة البيضاء، وقد استمر اللباس التقليدي مُستخدماً حتى صدر نظام الملابس العسكرية الأول مسايرةً للجيوش الحديثة بتاريخ (13/2/1356ه الموافق 24/4/1937م) في عهد الملك عبدالعزيز، حيث قامت

رئاسة أركان حرب الجيش آنذاك بتوحيدها لجميع منسوبي الجيش ضباطاً وأفراداً، وقد تكوّن نظام الملابس الموحّد من بنطلون وسترة وغترة باللون «الزيتي»، ويُلبس فوق الغترة والعقال شعار الجيش، وبعد مضي عامين تم تغيير لون الملابس العسكرية الخاصة بالجيش إلى اللون «الكاكي» وذلك في عام (1358ه/1939م)، ثم تغير نوع نطاق الوسط وحلّ «البريه العسكري» محل الغترة على الرأس بتاريخ (15/12/1373ه الموافق 14/8/1954م)[63].

أما حين الحديث عن الرتب والرواتب العسكرية في جيش الملك عبدالعزيز، فكما لم يكن هناك زي مخصص للجيش، فلم يكن لأفراده رتب عسكرية محددة، وعندما تم تأسيس الجيش النظامي في عام (1344ه/1925م)، شملت التنظيمات الحديثة رتب الضباط والجنود العسكريين، وتم إطلاق مسميات عسكرية عليها، كما يلي:

أ- الرتب العسكرية لضباط الصف:

لقد كانت مسميات رتب الجنود العسكرية على النحو التالي:

(وكيل ممتاز - وكيل سرية - نائب «أمين سرية» - عريف - جندي).

أما فيما يتعلق برواتبهم فمن فالمعروف أن عناصر قوات الملك عبدالعزيز في المراحل الأولى من توحيد البلاد لم تكن تتقاضى رواتب ثابتة، وإنما اعتمدت خلال تلك الفترة على أُعطيات الملك عبدالعزيز بصفة دورية غير منتظمة، بينما وضُع في النظام الجديد المطوّر لقوات الدفاع السعودي نظام رواتب شهرية معتمدة وثابتة، علماً أن مرتبات الجنود بمختلف رتبهم العسكرية كانت قبل تأسيس وزارة الدفاع على النحو التالي[64]:

الرتبة	أول مربوط الرتبة	آخر مربوط الرتبة	العلاوة الدورية كل سنتين
جندي	170	210	20
عريف	220	260	20
نائب "أمين سرية"	270	330	30
وكيل سرية	340	430	30
وكيل ممتاز	480	680	50

ب- الرتب العسكرية للضباط:

لقد كانت مسميات رتب الضباط العسكرية على النحو التالي:

(مشير- فريق أول- فريق ثان- لواء – زعيم – عقيد – قائد – وكيل قائد- رئيس- ملازم أول- ملازم ثاني)[65]. وقد تم لاحقاً تطوير الرتب العسكرية وصدر نظام الكادر العام لأفراد الجيش العربي السعودي بالقرار رقم (47) وتاريخ (24/8/1373ه الموافق 27/4/1954م)، ووضعت وزارة الدفاع والطيران رتباً عسكرية للضباط والأفراد وحددت الرواتب وفقاً لمسميات الرتب العسكرية، وقد كان كادر الرواتب الشهرية ولائحة ترقيات الضباط العسكريين بالرتبة العسكرية وعلاماتها والمدة اللازمة لاستحقاق الترقية وفق الجدول التالي[66]:

الرتبة	سنوات المدة الصغرى	سنوات المدة الكبرى	الراتب	الإعاشة	علامة الرتبة
ملازم ثاني	3	4	253	40	نجمه
ملازم أول	3	4	308	40	نجمتان
رئيس	4	5	363	40	ثلاثة أنجم
وكيل قائد	3	4	418	40	تاج
قائد	4	6	495	40	تاج ونجمه
عقيد	2	4	583	40	تاج ونجمتان
زعيم	4	5	715	40	تاج وثلاثة أنجم
اللواء	4	4	880	40	سيف وعصا متقاطعتان ونجمه
الفريق الثاني	-	-	1045	40	سيف وعصا وتاج
الفريق الأول	-	-	1155	40	سيف وعصا وتاج ونحمه
المشير	-	-	1375	40	سيف وعصا وتاج ونجمتان

وبالنسبة لمدارس الطيران الحربي التي أُنشئت في مدينة جدة والظهران، وفي الكلية الحربية في الطائف، فإن الطالب يتخرج منها برتبة «مساعد طيار أو ميكانيكي أو مخابر» بحسب اختصاصه الفني، ولكل تخصص ثلاث درجات وتُصرف له الرواتب وفق التالي[67].

الدرجة	مساعد طيار	ميكانيكي	مخابر	إعاشة
1-ثالثة	600	500	253	40
2-ثانية	700	600	308	40
3-أولى	800	800	418	40

أما قائد الطائرة فقد خُصص له (900ريال) راتباً شهرياً و (40 ريالاً) للإعاشة، عدا نفقات السفر للخارج والداخل بموجب نظام الطيران[68].

2-تولي الأمير مشعل بن عبدالعزيز وزارة الدفاع (1370هـ/1951م):

بعد وفاة صاحب السمو الملكي الأمير منصور بن عبدالعزيز «يرحمه الله»، تقلد شقيقه صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن عبدالعزيز وزارة الدفاع بتاريخ (5/8/1370ه الموافق11/5/1951م)[69]، حيث خطت وزارة الدفاع في عهده خطوات واسعة، وأعطى الجيش دفعة قوية من الدعم المادي والمعنوي، فوثب بالجيش وثبات فنية رائعة، وزوّده بمزيد من الأسلحة الجديدة الفتاكة، واتسعت حركة التطوير وشملت المنشآت والمعدات العسكرية، ودخلت الأسلحة الحديثة والمدفعية الثقيلة والمتوسطة، إضافةً على الأسلحة الخفيفة كالرشاش ونصف الرشاش والبنادق الأتوماتيكية، وتحوّلت الكثير من المفارز العسكرية على الثغور إلى مناطق عسكرية بازدياد أعدادها وأسلحتها[70]، وقد أُقيمت الثكنات العسكرية الحديثة في مراكز الجيش كافة، فأُنشئت الثكنة العسكرية في الرياض والتي تم بناؤها عام (1372ه/1952م) لتكون مقراً للجنود وحافزاً على راحتهم واستقرارهم، حيث كانت تُجري عمليات التدريب في هذه الثكنات بشكل يوميّ صباحاً ومساءً، وبصورة منتظمة نظرياً وعملياً[71]، وفي عهد وزارة الأمير مشعل اكتمل مشروع المصانع الحربية فبدأت إنتاجها منذ عام (1373ه/1954م)، كما تشكّلت مناطق عسكرية جديدة[72]، وبتوجيه كريم من والده الملك عبدالعزيز تبنى «مصلحة صحة وزارة الدفاع» كمصلحة قائمة بذاتها، وهي التي بنت أحد عشر مستشفى لقطاعات الجيش في الأماكن العسكرية التي ترابط فيها، في كل من: جدة والمدينة المنورة وحائل والطائف وأبها وجيزان والخرج وغيرها من المدن على فترات متعاقبة[73]، وافتُتح في عهد وزارته مستشفى الأمير منصور العسكري بمدينة الطائف في عام (1371ه/1951م)، ثم أعقبه في عام (1373ه/1953م) بافتتاح مستشفى الأمير مشعل بمدينة الخرج، ومستشفى الأمير سعود العسكري بالعاصمة الرياض[74].

لقد أُفتتحت في عهد الأمير مشعل المزيد من المدارس العسكرية، فنشأت «شعبة المدارس العسكرية» لإدارة ومتابعة التعليم في الجيش السعودي عام (1371ه/1951م)، والتي كانت تمد الكلية الحربية بالطاقة البشرية، وفي نفس العام تم إنشاء «مدرسة البوليس الحربي» بالطائف والتي عُرفت فيما بعد بمدرسة الشرطة العسكرية، وفي العام الذي توفي فيه الملك عبدالعزيز «يرحمه الله» عام (1373ه/1953م)، تأسست مدرسة سلاح الصيانة في الثكنة العسكرية بالطائف، وتأسست في نفس العام بالطائف «مدرسة تثقيف الجندي» والتي تحولت فيما بعد إلى مدرسة الإدارة العسكرية[75]، وأما ما يخص سلاح الطيران فقد ظهرت الحاجة إلى تأسيس مدرسة لتعليم الطيران منذ عام (1371ه/1951م) بعد عودة الطلبة المبتعثين من بريطانيا وذلك بهدف تدريب الطيارين والفنيين، وقد تم افتتاح المدرسة عام (1373ه/1953م)، وإضافةً إلى كل ما سبق فقد عمل الأمير مشعل على القضاء على الأمية ومحاولة محوها من الجيش، وقام بافتتاح فصول دراسية لتعليم أفراد الجيش القراءة والكتابة، واشترط في حال الترقية إلى رتب ضباط الصف الإلمام الكامل بها، إضافة إلى جعله في الجيش وعاظاً يعلّمون الجنود أمور دينهم[76]، ومع تطور القوات العسكرية واتساع تشكيلاتها وفروعها في عهده أُعيد تسمية وزارة الدفاع بتاريخ (7/7/1371ه الموافق2/4/1952م) إلى «وزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة» للجيش، وشُكّلت إدارة للتفتيش والميزانية ارتبطت بوزير الدفاع والمفتش العام مباشرة، وأصبح وزير الدفاع يُشرف على الطيران الحربي والمدني[77]، كما وتقديراً من الملك عبدالعزيز للدور الذي تقوم به القوات المسلحة في حماية الوطن والمواطن أصدر أمره بإحداث أول وسام عسكري في الدولة

السعودية باسم «وسام الملك عبدالعزيز آل سعود» في تاريخ (24/6/1372ه الموافق 10/3/1953م)[78].

3-الطيران الحربي والمدني:

تأسست قوة الطيران الحربي بأمر ملكي عام (1344ه/1925م) وكانت مؤلفة من «قائد الطائرة وجنود الطائرة»، وقد قام الملك عبدالعزيز بشراء ثمان طائرات جديدة منها اثنتان للتدريب، وتم التعاقد مع ستة مهندسين وستة طيارين لتدريب السعوديين على صيانة الطائرات والملاحة الجوية، ثم في عام (1347ه/1928م) تشكلت قوة الطيران من طيار ألماني يدعى «كراوفسكي» وضابط سعودي اسمه «طاهر الخالدي» واثنا عشر فرداً للحراسة[79]، ولم تسنح الظروف حينذاك بتأسيس مدرسة للطيران الحربي إلا في عام (1348ه/1929م)، حيث أُنشئت مدرسة الطيران في جزيرة «دارين» على الخليج العربي كأول قاعدة جوية سعودية، وقد أوصت الحكومة آنذاك بشراء طائرات من أحدث طراز من ويستلاند وابيتي (Westland wapiti)، وعلى عقد مقاولات لاستخدام طيارين لقيادة هذه الطائرات وتعليم الضباط والشبان الذين تقدمهم الحكومة هندسة فن الطيران بتفاصيلها، وقد وصلت الطائرات ومعها أربعة طيارين وستة ميكانيكيين في عام (1348ه/1929م)[80]، وبعد تشغيلها قامت بالكثير من الأعمال الدفاعية من استطلاع ومراقبة بالإضافة إلى نقل بريد الملك لمختلف المناطق، ولما استتب الأمن في المناطق الوسطى بعد القضاء على تمرد الإخوان رأى الملك عبدالعزيز نقل القوة الجوية إلى مدينة جدة، ثم أمر بإنشاء مدرسة للطيران فيها لتدريب المواطنين على قيادة الطائرات، حيث استقبلت المدرسة عند افتتاحها ستة طلاب لتعليم فن القيادة وأربعة وعشرين طالباً لدراسة ميكانيكا الطيران، وتم التعاقد مع طيارين مؤهلين للقيام بأعمال التعليم والتدريب[81].

في العام (1351ه/1933م) تم التباحث مع الحكومة الإيطالية لمعرفة إمكانية التعاون في مجال المعدات العسكرية ومجالات أخرى مختلفة، وقد أثمر هذا التعاون عن ترحيب الحكومة الإيطالية بتدريب عشرة طيارين سعوديين في الكلية الجوية الإيطالية كاسيرتا (Caserta)، وتم بالفعل في أواخر عام (1353ه/1935م) إرسال أول بعثة للطيران إلى إيطاليا ضمّت عشرة من الطلاب لتعليم قيادة الطيران، حيث كان هؤلاء نواة سلاح الطيران السعودي، وبعد تخرجهم بدأوا بدراسة متقدمة لنظرية الملاحة الجوية، وأساليب قذف القنابل، ومهارات القتال الجوي باستخدام المدفع الرشاش إلى جانب علم إدارة القواعد الجوية، وقد عادت هذه البعثة إلى المملكة عام (1355ه/1936م)، حيث تولّت هذه المجموعة بعد عودتها ما يُعتبر بدايات لقيادة الطائرات على أيدي طيارين سعوديين[82]، كما أمر الملك عبدالعزيز بشراء عدد من الطائرات الإيطالية إضافةً إلى ثلاث طائرات تلقاها هدية من الحكومة الإيطالية، حيث أُعتبرت أولى مراحل بناء القوات الجوية[83]، وتلا ذلك عقد معاهدة مع الحكومة البريطانية لإرسال بعثة تدريب تضم طيارين وفنيين لتدريب وتأهيل الطلبة السعوديين على علوم الطيران، وقد باشرت عملها في مطار الحوية بالطائف، وبعد وصولها أمر الملك عبدالعزيز بشراء أربع طائرات من طراز ويستلاند وابيتي (Westland wapiti)، ثم أهدت الحكومة البريطانية عام (1356ه/1936م) للملك عبدالعزيز ثلاث طائرات أُخرى بريطانية الصنع، وذلك بمناسبة تعاقدها مع الحكومة السعودية لإنشاء مطار جدة، حيث كان يضم قاعدة جوية وحضائر طائرات يمكن أن تتسع لخمس وعشرين طائرة، مع مطار فسيح جداً هو الأول من نوعه في الحجاز[84]، وعقب انتهاء الحرب العالمية الثانية اشترت الحكومة السعودية أربع طائرات من طراز داكوتا (Dakota)

وبريستول (Bristol)، حيث كانت تعمل على الرحلات الداخلية، وفي عام (1364ه/1945م) قام الرئيس الأمريكي روزفلت[85] أثناء لقاءه بالملك عبدالعزيز على متن سفينة حربية أمريكية راسية على بحيرة قارون في الفيوم بمصر بإهدائه طائرة أمريكية الصنع من طراز داكوتا (Dakota) مثلت النواة الأولى للطيران المدني السعودي[86].

في العام (1367ه/1947م) أُفتتحت بالمنطقة الشرقية «مدرسة أعمال المطارات»، حيث تقوم بالدعم اللوجستي للطائرات وتوفير الإسناد الفني لها ولمنشآت سلاح الطيران ومرافقه، وقد انتقلت هذه المدرسة في عام (1370ه/1950م) إلى مطار الظهران، ثم تغيّر أسمها فيما بعد إلى «مدرسة سلاح الطيران الفنية»، علماً أنه كان في هذا المطار بعثة أمريكية تدرّس علوم الطيران والعمليات الجوية للطلبة وتبتعث بعضاً منهم إلى أمريكا لاستكمال التخصصات في علوم الطيران وصيانة الطائرات والمساعدة الأرضية، وكان كل من ينجح في الفحص الطبي ويجتاز الاختبار بعد مضي المدة المقررة بالتدريب التمهيدي في مطار الظهران يُرسل إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتمرينه على الطيران أو للتخصص في أعمال المطارات الفنية والإدارة العليا حسب تخصصه[87]، هذا بالإضافة إلى ما كانت تقوم به «مدرسة الطيران بالطائف» من إرسال من تلقى تدريبه الأوليّ فيها لابتعاثهم إلى بريطانيا لمواصلة التدريب المتقدم على علوم الطيران، وعلى إثر تخرج هاتين الدفعتين في العام (1371ه/1951م) كان تشكيل «سلاح الطيران السعودي» بشكل رسمي، وأُلحقت إدارته بوزارة الدفاع وتم رفع أول علم لسلاح الطيران السعودي على سارية أول حضيرة أُنشئت للطيران بمدينة جدة في (15/2/1372ه الموافق 3/11/1352م)، ومن هنا نشأت مدارس سلاح الطيران لتدريب وتخريج الطيارين والفنيين السعوديين[88]. ومواكبةً للتطورات في مجال الطيران وبعد الاهتمام الكبير الذي تلقاه الطيران الحربي من الملك عبدالعزيز كان جمع من الوطنيين والمهتمين قد سعى لتشجيع الطيران المدني في البلاد، حيث ألّفوا في عام (1349ه/1930م) «جمعية الطيران العربية» اقتبست برنامجها من جمعية الطيران التركية، وغرضها معاضدة مشروع الطيران المدني وتوسيعه، ورفعوا للمقام السامي التماساً بتكوينها، وبعد أن أتت الموافقة شرعوا في جمع التبرعات من الأغنياء وأرباب الثراء، حيث كان في طليعة المتبرعين الملك عبدالعزيز وولي عهده سمو الأمير سعود ونائبه على الحجاز سمو الأمير فيصل، ثم سائر الأمراء والوجهاء، فبلغت تبرعاتهم أكثر من ثلاثة ملايين ريال، حيث تم شراء طائرات مدنية وسميت باسم المدن الرئيسية مكة المكرمة والمدينة المنورة والرياض وجدة[89]، وظلت هذه الجمعية تقوم على شؤون الطيران المدني وترعاه إلى أن تحولت إلى إدارة حكومية تحت إشراف وزير الدفاع في عام (1365ه/1945م)، ثم تشكّلت إدارة باسم «شعبة الطيران» تشرف على الشؤون الفنية، أما الأمور الإدارية فتأسست لها إدارة أُخرى عُرفت باسم «إدارة طائرات الخطوط السعودية»[90]، ثم تغيّر اسمها في عام (1368ه/1948م) إلى «مصلحة الطيران المدني»، وقد بقيت إدارة طائرات الخطوط السعودية إدارة مستقلة تحت رعاية وزير الدفاع حتى صدر مرسوم ملكي بضم الطيران المدني والحربي وإضافة مهامها إلى وزارة الدفاع وإعادة تسميتها إلى «وزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة» اعتباراً من تاريخ (7/7/1371ه الموافق 2/4/1952م)[91].

تشكيلات وزارة الدفاع والطيران العسكرية:

لقد كانت وزارة الدفاع في عهد وكالة الدفاع وما قبلها تتألف من شعب عسكرية، فقام الأمير منصور بتنظّيم تشكيلاتها الإدارية، حيث أصبحت مؤلفة من الأقسام التالية:

ا. المكتب الخاص.
ب. المكتب العام.
ج. الشعبة الأولى.
د. الشعبة الثانية.
هـ. شعبة المدخرات.
و. المحاسبة العامة.
ز. إدارة التموين.
ح. شعبة النقل الميكانيكي والورش العسكرية.
ط. شعبة الطيران.
ي. ديوان المحاكمات العسكرية.
ك. رئاسة أطباء الجيش[92].

وفي مرحلة لاحقة أعاد الأمير منصور تشكيل أجهزة الوزارة وتنظيم إداراتها، فتطوّرت الشعب العسكرية وتحوّلت إلى هيئات تندرج تحتها الكثير من الأقسام المتعددة، وقد كان لقيام هذه الهيئات أثره في تعدد الإدارات المرتبطة بها وتسلسل الأعمال القيادية والمكاتبات وسهولة الاتصال بالمفارز المنتشرة في نواحي البلاد وعلى ثغورها[93].

1-الإدارات العسكرية:

أ- إدارة المصانع الحربية بالخرج:

بدأ أول إنتاج للمصنع من الذخائر الحربية قبل وفاة الملك عبدالعزيز في عام (1373ه/1954م) [94]، حيث زوّدت الجيش بالقنابل اليدوية وقذائف مدافع الهاون ورصاص البنادق والأسلحة الأتوماتيكية[95].

ب- إدارة التفتيش والميزانية:

في عام (1371ه/1951م) شُكّلت «إدارة التفتيش والميزانية» وارتبطت بوزير الدفاع والمفتش العام مباشرةً، وبدأت أعمالها بالتركيز على التفتيش والتصفية على المحاسبات، والمراقبة في النواحي الإدارية والمالية والفنية في وزارة الدفاع والطيران وجميع فروعها[96].

2-الهيئات العسكرية وإدارات رئاسة الأركان:

أولاً/ الهيئات الرئيسية:

1-هيئة إدارة الجيش:

من أقدم الهيئات العسكرية في وزارة الدفاع والطيران، وكانت في بداياتها تتولى جميع ما يتعلق باحتياجات ومتطلبات الأفراد والضباط الإدارية والعسكرية[97].

ب- هيئة العمليات الحربية:

أُحدثت «هيئة العمليات الحربية» وارتبطت برئيس هيئة أركان حرب الجيش، وأُنيط بها مهام التدريب والتعليم والبرامج والتسليح والبعثات العسكرية، وكذلك متابعة الأسلحة الرئيسية الثلاث (المشاة، والمدفعية، والفرسان)[98].

5-هيئة الاستخبارات الحربية:

ظهرت «هيئة الاستخبارات الحربية» مع نشأة القوات النظامية، وكانت تسمى «إدارة الاستخبارات الحربية»، وبعد تشكيل وزارة الدفاع تمثلت مهمتها في إدارة أنشطة الاستخبارات بالوزارة وتوفير جميع المعلومات الأمنية للجيش.

8-هيئة إمدادات الجيش:

تم تشكيل «هيئة إمدادات الجيش» بعد تأسيس الجيش النظامي ونشأة وزارة الدفاع، حيث تتولى جميع مسؤوليات ومهمات التخطيط والإمداد والتموين والصيانة وتقديم الإسناد الإداري لتشكيلات وحدات الجيش العربي السعودي.

ثانياً/ الإدارات العسكرية التابعة لرئاسة هيئة الأركان العامة:

1-إدارة الشؤون الدينية:

تقوم هذه الإدارة بالإشراف على الشؤون الدينية في الجيش العربي السعودي، فيما يتعلق بشؤون الدعوة إلى الله والتوجيه والإرشاد والتوعية الإسلامية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل على بناء المساجد والقيام عليها.

ب- الإدارة العامة للخدمات الطبية:

تم إنشاء «طبابة» للجيش بالطائف عام (1367ه/1948م) وهي عبارة عن مستوصف صحي يتسع لعشرة أسرة، ثم توسعت مستشفياتها التي تقدم الخدمات العلاجية لجميع المرضى من منسوبي القوات المسلحة بالمجان[99].

5-الإدارة العامة للأسلحة والمدخرات:

تأسس قسم الأسلحة والمدخرات بمكة المكرمة قبل عام (1368ه/1949م)، ثم نُقل في العام التالي إلى الطائف، حيث يخدم كافة القوات العسكرية فيما يتعلق بالذخيرة وطرق صرفها وصيانتها[100].

3-الأسلحة المستقلة وقيادات الجيش العربي السعودي:

أولاً/ الأسلحة المستقلة:

1-ســلاح المشاة:

كان تشكيل المشاة النظامية عام (1348ه/1930م) بمسمى «فوج المشاة»، عندما تأسست مديرية الأمور العسكرية بالطائف، ومع بداية النهضة العسكرية شُكلت فرق التدريب الأولى للمشاة وتطورت مع تطور الجيش.

2- ســلاح الفرسان:

أمر الملك عبدالعزيز بتشكيل النواة الأولى لهذا السلاح تحت مسمى «وحدات الفرسان» عام (1354ه/1936م) بالطائف، وفي عام (1368ه/1949م) أحدث أول وحدة عسكرية مدرعة باسم «وحدة المصفحات».

5-ســلاح المدفعية:

منذ تأسيس مديرية الأمور العسكرية في العام (1348ه/1930م) كان سلاح المدفعية أحد أهم وأقدم أفرع الجيش السعودي الأساسية، وبقيام وزارة الدفاع تم تشكيل نواة سلاح المدفعية في عام (1354ه/1935م)[101].

8-سـلاح الإشارة:

تم في عهد الملك عبدالعزيز تأسيس سلاح الإشارة ودخل في الخدمة مع بداية تكوين الجيش تحت مسمى «مديرية سلاح الإشارة»[102] .

26-سـلاح المهندسين:

يُعتبر عام (1362ه/1943م) بداية تأسيس سلاح المهندسين، وذلك عندما شُكّلت «إدارة شعبة الإنشاءات العسكرية»، وفي عام (1366ه/1947م) عُدل مسماها إلى «سلاح المهندسين الملكي السعودي».

27-سـلاح الصيانة:

كانت أول خطوة لتأسيس سلاح لصيانة العربات في عهد الملك عبدالعزيز عبارة عن ورش صغيرة تفي بمتطلبات ذلك الوقت حتى عام (1369ه/1950م)، ثم تأسست مدرسة لسلاح الصيانة افتُتحت «بالقشلة» بالطائف[103].

ز- سـلاح النقل:

في عام (1364ه/1946م) تم تأسيس أول سلاح للنقل، وكانت قد شُكّلت وحدات صغيرة سُميت آنذاك «الوحدات الآلية»، وشملت جميع أنواع العربات والمدرعات، وبعد مضي عام عُدّل الاسم إلى «سرية النقليات»[104].

6-سـلاح التموين:

كانت بدايته عبارة عن سرايا تموين خاصة لخدمة الألوية في بعض المناطق العسكرية قبل عام (1369ه/1950م)، ومع تطور كافة أفرع الجيش تم إحداث أول تشكيل له في مدينة الرياض وسمي «قيادة سلاح التموين والمهمات»[105].

ثانياً/ القيادات العسكرية التابعة للجيش العربي السعودي:

أ- قيادة الحرس الملكي:

يتوافق تأسيس الحرس الملكي مع تكوين القوات النظامية في المنطقة الغربية، ثم تطورت في منتصف الستينات وكُلّفت بحراسات القصور الملكية ومساندة الجيش، وفي عام (1370ه/1951م) شُكّل «لواء الحرس الملكي» [106].

ب- قيادة البوليس الحربي:

تم تشكيل أول نواة للبوليس الحربي للمحافظة على الضبط والربط العسكري داخل الجيش، وفي عام (1371ه/ 1952م) شُكّلت سرايا البوليس الحربي في بعض مناطق المملكة وتم إنشاء «مدرسة البوليس الحربي» في الطائف[107].

منشآت الجيش وأسلحته العسكرية:

1.بناء المنشآت والمرافق العسكرية:

أولى الملك عبدالعزيز اهتماماً كبيراً ببناء المقرات والمعسكرات للجيش الوليد بعد تأسيسه ووضع تشكيلاته العسكرية النظامية، وحرص على إنشاء مباني إدارية، وقواعد عسكرية، ومستشفيات طبية، ومصانع للذخيرة الحيّة ضمن النهضة العسكرية الشاملة، كما أقام الثكنات العسكرية العصرية في مراكز الجيش كافة،

وقد احتوت هذه الثكنات على أقسام مستقلة للضباط العزاب، وأخرى للمتزوجين منهم، في كل من الطائف والخرج والرياض، حيث كان العسكريون يرابطون بصفة مستمرة في معسكراتهم وثكناتهم، يمارسون فيها مختلف أعمالهم ويجرون عمليات التدريب بصورة منتظمة ودائمة، وقد عمل على توفير أسباب الراحة لمنسوبي الجيش العسكريين والمدنيين على حد سواء، وعندما تم إنشاء وزارة الدفاع في مدينة الطائف كانت تقوم بعملها قرابة عامين في دور مستأجرة، ثم انتقلت إلى مباني ثكنة الجيش «بالقشلة»، وذلك منذ عام (1371-1366ه/1951-1946م)، ثم عملت بقصر شبرا من (1375-1371ه/1955-1951م)، ثم انتقلت إلى مدينة الرياض في العام التالي[108].

لقد بدأت مع الأمير منصور حركة التشييد والبناء في كافة مرافق القوات العسكرية، حيث شرع في إحداث ثكنات عسكرية جديدة للجيش إضافة إلى الثكنات القديمة الموجودة منذ عام (1351ه/1932م)، والتي عمل على الاستفادة منها وتطويرها، وقد قام الأمير منصور بإزالة كل الخيام التي كانت تأوي الجيش آنذاك، واستبدلها بمباني حديثة تتوفر فيها كل المقومات والاحتياجات الضرورية، إضافَةً إلى بناءه المعسكرات والورش والمستودعات المختلفة، كما تم في عهده إنشاء العديد من المباني التعليمية والتدريبية، مثل مبنى المدرسة العسكرية بالطائف عام (1372ه/1952م)، الذي يتسع لضعف عدد الطلاب، وبه ميدان فسيح للألعاب المتنوّعة، وخمسة فصول دراسية، وأربعة مضاجع، وغرف خاصة للضباط وموظفي المدرسة، ووحدة طبية، وكذلك مبنى الكلية الحربية بالرياض الذي تأسس عام (1373ه/1954م)، والذي أُقيم على أرض مساحتها مائة وخمسون فداناً (الفدان =4000م2) أي (600،000م2)، وبه ملاعب وميادين للتدريب وغرف للدراسة ومضاجع للنوم[109]، وأما المرافق الصحية فقد أُنشيء أولاً مستشفى الأمير منصور العسكري بالطائف والذي تأسس عام (1371ه/1951م)، ثم توالى إنشاء المباني والمرافق العسكرية مع تطوّر وتوسّع تشكيلات القوات العسكرية وانتشارها في معظم مناطق المملكة. ونظراً للاهتمام الكبير بالطيران الحربي والمدني فقد أُنشئت الكثير من المرافق والتجهيزات الخاصة بالمطارات والقواعد الجوية، فعلاوةً على إنشاء مركز للطيران في جزيرة دارين على ساحل الأحساء بالخليج العربي وتجهيز مدرج صغير به للطائرات كأول قاعدة جوية في البلاد، فقد شُرع في تأسيس مطار جدة بتعاقد الملك عبدالعزيز مع الحكومة البريطانية، والتي قامت بإنشاء المطار وتسليمه للحكومة السعودية في عام (1358ه/1939م)، حيث ضم قاعدة جوية عُرفت باسم «قاعدة جدة الجوية»، كقاعدة أساسية لإدارة الطيران الحربي والمدني ومقر لمصلحة الطيران، كما وافق على طلب الحكومة الأمريكية لإنشاء مطار في المنطقة الشرقية، وتم توقيع الاتفاقية عام (1360ه/1941م)، حيث سمح بإنشاء مطار مساحته (25) ميلاً مربعاً في منطقة الظهران[110]، وفي عام (1364ه/1945م) افتُتح مطار الحوية بالطائف بجميع معداته اللازمة، كما افتُتح مطار تبوك في عام (1372ه/1952م)، ثم تعاقب إنشاء المطارات والقواعد العسكرية في الرياض والخرج والأحساء[111].

2. التسليح الحربي والمعدات العسكرية:

لقد عني الملك عبدالعزيز في دولته الحديثة عناية كبيرة بتسليح جيشه وتحديثه بعد تأسيسه وتنظيمه، وكان أثناء حروب التوحيد قد استخدم العديد من الأسلحة والذخائر، منها ما كان مصنّعاً محلياً ومنها ما كان مستورداً، حيث بدأ باستعمال الأقواس والسهام والرماح المسننة، واستخدم أنواع من السيوف

والخناجر، بينما كانت الهجن والخيول هي وسيلة الركوب في حروبه، ثم تحوّل لاستخدام بنادق الفتيل والكبسول، فالبنادق ذات الطلقة الواحدة، فمتعددة الطلقات، وظل يساير تقدّم التصنيع وتطوّر التسليح بمرور الزمن، فشملت استخداماته البنادق الحديثة والرشاشات، إلى أن أصبح تسليح الجيش في النهاية بأجهزة الإشارة والمدافع والدبابات وغيرها من الأسلحة الثقيلة المختلفة[112]، ومنذ عام (1369ه/1950م) قامت الدولة بطرق أولى خطوات الاعتماد على الذات، حيث تم في مدينة جدة توقيع أول اتفاقية لإنشاء مصنع حربي في المملكة، وقعها صاحب السمو الملكي الأمير منصور بن عبدالعزيز وزير الدفاع والطيران آنذاك، فبدأ إعداد التجهيزات الأساسية لبناء مشروع المصانع الحربية بالخرج، كأول صناعة حربية في شبه الجزيرة العربية، وذلك بإنشاء مصنع للذخيرة عام (1370ه/1951م)، واكتمل بناء هذه المصانع في عهد وزارة الأمير مشعل وظهر إنتاجها عام (1373ه/ 1954م) قبل وفاة الملك عبدالعزيز «يرحمه الله»، وقد استطاعت تزويد الجيش بالقنابل اليدوية، وقذائف مدافع الهاون، ورصاص البنادق والأسلحة الأتوماتيكية[113].ومن ناحية شراء الأسلحة فقد شرع الملك عبدالعزيز في الاتصال بالعالم الغربي لاستيراد الأسلحة الحديثة من المصانع العالمية لدعم الجيش بجميع ما يحتاجه من الأسلحة والعتاد، وقد أضحت بولندا من أولى مصادر السلاح للمملكة، حيث وصلت أول سفينة محملة بالأسلحة عام (1352ه/1931م)، وضمّت بعض المدافع والرشاشات واستقبلها الملك عبدالعزيز بنفسه في الطائف، وقد دخلت هذه الصفقة ضمن قانون تأجيل الديون الحكومية، إثر الأزمة الاقتصادية العالمية آنذاك[114]، ثم اتجه الملك لفرنسا وإيطاليا لدعم القوات السعودية بالسلاح اللازم[115]، وبعد توتر الأوضاع العالمية قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية عام (1358ه/1939م) طلب الملك عبدالعزيز من بريطانيا تزويده بالأسلحة لحماية بلاده، وقد استوجبت تطورات الحرب مبادرة بريطانيا عام (1360ه/1940م) بتلبية الطلب السعودي وتزويد المملكة بعدد (200) بندقية بريطانية الصنع من نوع هوتوكيز (Hotohkiss)، كجزء من خطة لمساعدة الملك عبدالعزيز للمحافظة على الوضع الداخلي في المملكة وتطوير قدراته بشكل ينسجم مع التطورات التي شهدها العالم، ثم بعد ذلك كان هناك اتفاق بين كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية لتحقيق نوع من التعاون مع المملكة العربية السعودية، وذلك بإمدادها بمعدات متنوعة تكون نفقاتها بالتساوي بينهما، حيث أرسلت بريطانيا للحكومة السعودية معدات عسكرية مكونة من (50) عربة مدرعة و(500) بندقية رشاشة و(10000) بندقية بمخزن، فكانت حتى أكتوبر عام (1363ه/1943م) ما مجموعه (2500) بندقية، وعدد (225) مدفع مكينة، و(50) عربة استطلاع مستعملة، وقد استمر هذا الاتفاق سارياً حتى انتهت الحرب العالمية الثانية، ثم انفردت الولايات المتحدة بتزويد السعودية بحاجتها من الأسلحة والمعدات الضرورية[116]. وبعد صدور قانون «الإعارة والتأجير»[117] الأمريكي عام (1363ه/1943م)، شمل المرسوم المملكة العربية السعودية فبدأت تزيد من طلباتها للحصول على الأسلحة الأمريكية، وخلال سنوات الحرب زودت الولايات المتحدة الأمريكية المملكة بالأسلحة والمعدات العسكرية وفق هذا البرنامج[118]، وقد تسلّمت المفوضية الأمريكية في عام (1363ه/ 1943م) قائمة قدمتها المملكة بطلب معونة عسكرية تضمنت الحصول على معدات وأعتدة فضلاً عن معدات تصليح وكذلك تزويد المملكة بدبابات وعجلات مدرعة لاستخدامها في السهول والطرق الرملية إلى جانب الحصول على أسلحة خفيفة خاصة بالطوارئ ومدافع لمقاومة الطائرات، وفي أثناء زيارة الأمير فيصل[119] والأمير خالد

للولايات المتحدة الأمريكية في نفس العام طلب الوفد السعودي في هذه الزيارة بعض المعدات العسكرية وإرسال فنيين أمريكيين لتدريب أفراد الجيش السعودي على هذه المعدات[120]، ثم تسلّمت حكومة المملكة في عام (1364ه/1944م) من السلطات العسكرية الأمريكية في القاهرة عدد (1667) بندقية، و(350،000) طلقة ذخيرة[121]، أما استيراد العربات والمعدات العسكرية فقد كانت أول العربات المستخدمة من نوع فورد (Ford) وهي أمريكية الصنع، وجيوب اللاند روفر(Land Rover) الإنجليزية، وسيارات الجمس(G،M.C) الأمريكية، وسلسلة جيوب وعربات الريو (Rio)، ثم سلسلة ناقلات م113(M113)، وتم إدخال السيارات المصفّحة وكان أول ما وصل منها مدرعات الهمبر(Humber) ثم المدرعة م8(M8)، فالمدرعات البنهارد (Panhard)، وأما الأسلحة القتالية فقد توالى الاستيراد بحسب الحاجة العسكرية والتطوير المرحلي فكان استيراد البندقية م1، والبندقية السريعة 62ملم، والرشاشات الخفيفة، كالرشاش مكسيم (Maxim gun) الذي تم تطويره لاحقاً للرشاش عيار30ملم و50ملم، والبنادق عديمة الارتداد، 57ملم، و75ملم، و106ملم، ومدافع الهاون60ملم، و81ملم، و4،2بوصة[122].

إنجازات قوات الدفاع السعودي في عهد الملك عبدالعزيز:

مشاركات قوات الدفاع السعودي العسكرية:

1-الحرب السعودية اليمنية عام (1353ه/1934م):

على الرغم من اتفاقية «العرو»[123] عام (1350ه/1931م) والتي تنازل فيها الملك عبدالعزيز لإمام اليمن يحيى حميد الدين[124] عن جبل العرو رغبةً في السلام بين الجارين، إلا أن الصداقة وحسن الجوار لم تدم طويلاً بين البلدين، إذ زحف الإمام بجيشه إلى بلاد نجران واحتل مركز «بدر» التابع للمكارمة سادة نجران[125]، كما تقدمت قواته إلى جبال جيزان التي كانت من إمارة الإدريسي واحتلتها، كما دخلت قوات يمنية إلى بني مالك والعبادل وفيفا فاستولت عليها، مما اضطر معه الملك عبدالعزيز أن يمهل الإمام أسبوعين لإخلاء جميع هذه المواقع وإلا فإن القوات السعودية ستتولى تلك المهمة[126]، ونظراً لتعنت الإمام يحيى وعدم استجابته لدعوات الانسحاب، أمر الملك قواته في السادس من شهر ذي الحجة عام (1352ه الموافق21 مارس عام 1934م) بالتحرك إلى الحدود لإعادة الأمور إلى نصابها، فنفذت القوات السعودية الأوامر التي صدرت إليها[127]، حيث سار الجيش السعودي في تحركه نحو هدفه على محورين شرقي وغربي، حيث دار المحور الأول بقيادة ولي العهد الأمير سعود بن عبدالعزيز وسلك طريق الشرق باتجاه حدود عسير الجبلية ونجران، وسلك المحور الثاني طريق الساحل منطلقاً من جيزان بقيادة أميرها حمد الشويعر وقائدها العام الأمير فيصل بن عبدالعزيز نائب الملك على الحجاز ووزير الخارجية[128]، وقد زحفت الجيوش على المحور الشرقي واستطاعت انتزاع بعض نواحي نجران من القوات اليمنية بمعونة أهلها، وتقدمت في الجزء الجنوبي من نجران حتى وصلت صعدة، وفي الجبهة الغربية استطاعت القوات السيطرة على بلدة «حرض» في الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة عام (1352ه الموافق 12 أبريل 1934م)، ثم أكملت زحفها إلى «ميدي» الساحلية في اليوم الثاني من محرم، حيث انسحبت حاميتها تحت جنح الظلام في الليلة الثانية عشر من المحرم، مما اضطر معه الأهالي لتسليم البلدة للأمير فيصل وطلبوا تأمين أهلها[129]، وبسقوط ميدي أضحت قوات الإمام في حالة تراجع وانسحاب سريع من بلدان تهامة حتى مدينة «الحديدة»، والتي اتخذها الأمير

فيصل مركزاً له وأقام فيها دوائر حكومية مختلفة بموظفيها لإدارة شؤونها وضبط أمور كل المناطق اليمنية فاستقرت أوضاعها الإدارية والمدنية[130]. وكان الإمام يحيى قد أدرك ضعف موقفه العسكري بعد التقدم السريع للقوات السعودية الزاحفة، فأبرق إلى الملك عبدالعزيز في الرابع من شهر محرم عام (1353ه الموافق 18 أبريل 1934م) موافقاً على مطالبه ويرجوه وقف الزحف وطلب السيد عبدالله بن الوزير[131] لاستكمال المعاهدة الأخوية، والذي رد عليه بالموافقة على عودة المفاوضات متى ما نفّذ ما طلبه منه وانسحب من نجران ورد الرهائن وسلم الأدارسة، فوافق على جميع مطالب الملك عبدالعزيز، فعند ذلك أصدر الملك أمره لقواته بوقف القتال في الجبهات مع إبقائها في مواقعها حتى تنتهي المفاوضات ويرى النتائج، وكان ذلك الأمر في الحادي عشر من شهر المحرم عام (1353ه الموافق 27 أبريل 1934م)[132]، وقد حضر ابن الوزير ومثل بين يدي الملك عبدالعزيز وأبلغه بالأسس التي يجب أن تقوم عليها معاهدة الصلح بين الطرفين، ثم بدأت المفاوضات وانتهت بتوقيع الفريقين على بنودها، وذلك في السادس من شهر صفر عام (1353ه الموافق 21 مايو 1934م) وعُرفت باسم «معاهدة الطائف»، وبهذه المعاهدة طويت صفحة الخلاف والحرب بين الطرفين بعد أن استمرت الأزمة نحو سبعة أسابيع.

2-حرب فلسطين عام (1367ه/1948م):

ما إن أنهت بريطانيا انتدابها على فلسطين في اليوم السادس من رجب عام (1367ه الموافق 14 مايو 1948م)، حتى أعلن اليهود في تلك الليلة قيام دولتهم المستقلة، بعدما مكّنتهم بريطانيا من السيطرة على المدن الفلسطينية الكبرى وسهّلت لهم الاستيلاء على مخازن السلاح والمعدات الحربية والمطارات والمرافق العسكرية التي كانت تحت سلطتها، فيما كان العرب قد أعدوا جيوشهم للحرب وقرروا بعد الانسحاب البريطاني دخول فلسطين للمحافظة على أرواح السكان وتثبيت الأمن والنظام والحيلولة دون قيام الدولة اليهودية، وتماشياً مع الإجماع العربي أمر الملك عبدالعزيز سمو الأمير منصور وزير الدفاع بالتعبئة العامة للقوات العسكرية السعودية في شهر رجب عام (1367ه/1948م) وإرسال ثلاثة آلاف مقاتل للمشاركة مع إخوانهم العرب، وقد تم تجهيزها بمختلف أنواع الأسلحة الحديثة في ذلك الوقت، حيث تحركت من موقعها في الطائف إلى مدينة جدة، وأُرسلت أفواجها الأولى بالطائرات إلى القاهرة ومنها توجهت إلى جبهة الجهاد الجنوبية في فلسطين للاشتراك مع الجيش المصري، أما الأفواج ذات الأسلحة الثقيلة والمعدات الحربية والعتاد فقد أُرسلت بحراً وتم إنزالها في ميناء السويس، وبعد تجميعها في مدينة العريش دخلت فلسطين عن طريق رفح، وتقدمت في سيرها إلى غزة[133]، وكانت هذه سرايا الكتيبة الأولى التي دخلت فلسطين كأول دفعة من القوات السعودية التي انضمت إلى جانب الجيش المصري، أما الكتيبة الثانية فدخلت فلسطين في أوائل عام (1368ه/1948م) قبل توقيع الهدنة مع اليهود، وكان قائد القوات السعودية العام العقيد سعيد الكردي ووكيله و»كيل القائد» عبدالله بن نامي[134]، وبعد أن وصلت القوات السعودية إلى غزة تمركزت في مواقعها في «تلال الشيخ علي»، وقامت بمشاغلة العدو اليهودي الذي يرابط أمامها في المستعمرات الشرقية، وبدأت عملياتها الحربية بنسف أنابيب المياه، والعمل على عرقلة سير القوافل التي تموّن اليهود، واشتركت في جبهات القتال الأمامية «دير سنيد، وأسدود، ونيتسانيم»، استخدمت فيها أنواع الأسلحة الثقيلة والخفيفة والسلاح الجوي[135]، وقد استطاع الجيش المصري والسعودي استرداد الشريط الساحلي المحاذي لشاطئ البحر

الأبيض المتوسط من رفح على الحدود المصرية الفلسطينية حتى بلدة أسدود في الشمال مروراً بدير البلح، وخان يونس، ومن الشرق استعاد الشريط الفاصل بين مستعمرات النقب في الجنوب ومستعمرات الشمال مروراً بالمجدل، وعراق سويدان كراتيه، والفالوجة إلى عراق المنشية، حيث التقى هناك الجيش الأردني[136]، ومع تقدم الجيوش العربية وإحاطة اليهود من كل جانب، قامت هيئة الأمم المتحدة فوراً بانتداب لجنة للوساطة بين الطرفين برئاسة «الكونت برنادوت»[137]، قررت بعدها عقد هدنة لمدة أربعة أسابيع، وقد تشاور ممثلوّ الدول العربية في الأمر وتقرر إعلان قبول الهدنة باسم الجميع، وأُمرت الجيوش العربية بالتوقف عن التقدم في اليوم المحدد[138].

رفض العرب مشروع الكونت برنادوت رفضاً باتاً وذلك لاستناده على تقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية، فاستؤنف القتال مرة أُخرى في شهر رمضان عام (1367ه الموافق 9 يوليو 1948م) في جميع الجبهات، وقد بدأت القوات السعودية في اليوم الثاني من رمضان باقتحام بلدة «طيما» وبلدة «كوكبة»، وبعد قتال شديد سيطرت القوات المصرية والسعودية على مستعمرة «سمسم» ومستعمرة «تبة الخيش»، وهاجمت القوات السعودية «بيت عفة» ومرتفعات «عبديس»، ومستعمرة «نجبا»، ومستعمرة «بيت دوراس»، وقد جرح في المعركة عشرة ضباط وستون جندياً، وفي اليوم التاسع من رمضان هاجمت القوات المصرية وتحت قيادتها سريتان سعوديتان مستعمرة «بيرون اسحق» من جهة الجنوب، بينما هاجمتها القوات السعودية من جهة الغرب، واستطاعت سرية من القوات السعودية دخول المستعمرة والسيطرة على منزلين فيها، لكن قوة الدفاع اليهودية أجبرت السرية السعودية على الانسحاب من داخل المستعمرة والعودة إلى غزة[139]، وعلى إثر هذه المعارك قامت الدول الكبرى بالضغط على العرب لإرغامهم على وقف القتال، وصدر قرار من مجلس الأمن باعتبار الحالة في فلسطين من شأنها أن تهدد السلم العالمي، والمجلس يوافق على تطبيق أحكام البند السابع من ميثاق الأمم المتحدة، وفرض العقوبات على الدول العربية إذا لم تقبل بوقف القتال، ويقرر أن تظل الهدنة سارية المفعول إلى أن يتم التوصل إلى حل سلمي دائم في فلسطين، وقد قرر العرب قبول القرار الأممي[140]، مع تقديم احتجاج شديد إلى مجلس الأمن[141]، كما وافقت الدول العربية على الهدنة الدائمة[142]، ودخلت في مفاوضات لتوقيع معاهدات مع إسرائيل جاءت بعد عدة هزائم عسكرية متوالية مني بها العرب وخاصة مصر على الجبهة الجنوبية، وقد انتهت مباحثاتها بانسحاب القوات المصرية والسعودية إلى سيناء وتوقيع معاهدة الهدنة في السادس والعشرين من ربيع الثاني عام (1368ه الموافق 24 فبراير 1949م)[143]، وبهذا انتهت حرب فلسطين بعد أن شاركت الدولة السعودية بقوات من جيشها النظامي سقط منهم قرابة (140) شهيداً ومن الجرحى (33) جريحاً[144].

مواجهة حركات التمرّد الداخلية:

1-خروج الإخوان في نجد عام (1347ه/1929م):

لقد بدأت تظهر بوادر اختلافات بين الملك عبدالعزيز وبين زعماء الإخوان بعد أن انتهى من ضم الحجاز عام (1344ه/1926م)، فبعد رجوعهم من الحجاز إلى ديارهم تمالئوا وعقدوا اجتماعاً سريًا في الأرطاوية تعاهدوا فيه على نصرة دين الله والجهاد في سبيله، وعزموا الإنكار صراحةً على الملك عبدالعزيز في عدة أمور يرونها شراً يجب عليه تركه[145]، وحينما نما خبر هذا الاجتماع إلى سمع الملك عبدالعزيز أسرع

بالعودة من الحجاز إلى نجد ودعا إلى مؤتمر عُقد في الخامس والعشرين من شهر رجب عام (1345ه/1927م) حضره قادة الإخوان ما عدا سلطان ابن بجاد، وقد شرح فيه الملك عبدالعزيز موقفه، وأعلن تمسكه بالشريعة الإسلامية وأنه لا يزال كما عهدوه من قبل، عاملاً بها رافعاً رايتها، وساهراً على مصالح العرب والمسلمين[146]، ثم استفتى علماء نجد في مآخذ الإخوان عليه، فأفتوا بأن ما هو منكر من تلك المآخذ لا يبيح لهم الخروج على الإمام[147].

أ- معركة السبلة[148]:

لقد خرج الملك عبدالعزيز من مؤتمر الجمعية العمومية بانتصار واضح وتأييد كامل من العلماء ورجال القبائل والإخوان، بينما تقلد العصاة السلاح وخرجوا غزاة يعيثون في الأرض الفساد من قتل وسلب ونهب، فقرر الملك عبدالعزيز حينئذ التصدي لهم وأمر بمواجهتهم، وقد تحرك من الرياض في الثاني والعشرين من شهر رمضان عام (1347ه الموافق 3 مارس 1929م) في ثمانية آلاف مقاتل من الحاضرة وعشرين ألفاً من الهجر والبادية ونزل الزلفي[149]، ولما علم ابن بجاد بخروج الملك عبدالعزيز حيث لم تكن أخباره خافية، كاتب الدويش وتحرّكوا بقواتهم البالغة نحو أربعة آلاف مقاتل[150] متجهين إلى «روضة السبلة» قرب الزلفي ونزلوا بها، وقد بعث الملك عبدالعزيز إليهم رسولاً يدعوهم إلى النزول على حكم الشرع رغبةً في السلم وتجنباً للحرب، وأشرك بعض العلماء في محاولة لحل النزاع وحقن الدماء، واستمرت المفاوضات تتردد بلا طائل، وفي صباح يوم السبت التاسع عشر من شهر شوال عام (1347ه الموافق 30 مارس 1929م) أمر القوات أن تسير نحو معسكر العصاة، وعندما اقترب الجيش من العدوّ تقدمت المشاة واندلع الرصاص الكثيف من كلا الجانبين قرابة عشر دقائق[151]، ثم حمل فرسان الجيش السعودي بقيادة الأمير محمد بن عبدالرحمن وعبدالمحسن الفرم (شيخ قبائل حرب) حملة عنيفة على الإخوان استمرّت إلى منتصف النهار، استخدم فيها حملة الرشاشات مدافعهم الآلية، حيث قُتل معظم الإخوان نتيجة لذلك وحلّت بهم الهزيمة[152]، فارتدوا على أعقابهم وولّوا الأدبار، ففرّ ابن بجاد بجمع من عتيبة إلى الغطط، وجُرح الدويش جرحاً بليغاً في خاصرته وانهزم به قومه إلى الأرطاوية، وتعقبت الخيل المنهزمين ثم أمر الملك عبدالعزيز بالكف عن قتلهم وهم مدبرون ورفع السلاح عنهم[153]، فتفرقت فلولهم في كل اتجاه بعد أن قُتل منهم في هذه المعركة ما بين أربعمائة وخمسمائة مقاتل، بينما قُتل من قوات الملك عبدالعزيز قرابة مائتين[154]، ثم رحل الملك وتوجه إلى الأرطاوية، وجيء بالدويش محمولاً على نعش، فوبّخه الملك على ما ارتكبه من أعمال سيئة، ثم عفى عنه وأخذ عليه العهد على السمع والطاعة، وبعد ثلاثة أيام استسلم ابن بجاد في شقراء، فأمر الملك بسجنه لخطورته على الأمن، ولتتقي البلاد شره[155]، فأودع سجن الرياض ثم نُقل إلى سجن الأحساء وبقي فيه حتى وافته المنية[156].

لم يضع انتصار الملك عبدالعزيز في معركة السبلة حداً لنهاية تمرد الإخوان، حيث وجد الملك عبدالعزيز أن كلّ رجال قبيلة العجمان تقريباً قد خرجوا عليه وأصبحوا متحدين في ثورة ضده، وشجع ذلك بقية العصاة الآخرين على الانضمام إليهم، وجاءتهم فلول معركة السبلة، فاجتمع قرابة أربعة آلاف مقاتل، في حين أن الدويش الذي ظُنّ أنه ميّت لا محالة، قد نقض العهد بعد أن خرج سالماً من جراحه وشُفي تماماً من إصابته، وسمع بتجمع الإخوان فانطلق بأتباعه من الأرطاوية وتوجّه شمالاً واجتاز الدهناء والصمّان إلى

أن اقترب من الوفراء، وهناك انضمت إليه قبيلة العجمان بزعامة نايف ابن حثلين ومن معه وولّوه رئاستهم، ثم قام الدويش بحمل سلاحه واستئناف إفساده، فعاد التمرّد أعنف مما كان وتفاقم خطره على البلاد والعباد، بل امتدّ العصيان إلى قبائل عتيبة التي كانت تسيطر على كل المنطقة الواقعة بين مكة المكرمة والرياض، وأخذت تغير على السفر والقوافل وتقتل الرجال والنساء والأطفال[157]، ومع هذه التطوّرات الخطيرة عاد الملك عبدالعزيز من الحجاز مسرعاً إلى الرياض، وقام بإمداد أمراء الأحساء والقطيف والقصيم وحائل بالسلاح والرجال، وأمرهم بتسيير قواتهم في كل الجهات لتأديب المتمردين أينما وجدوا[158].

ب. مؤتمر الشعراء ونهاية التمرد:

على ضوء هذه الأحداث دعا الملك عبدالعزيز العلماء والزعماء وذوي الرأي إلى عقد مجلس للشورى في قرية «الشعراء»[159]، وقد عقد العزم على وضع حد لتمرد البغاة وفسادهم، فأمر أمراء المدن والقرى والهجر بتجميع قواهم على ماء «الشوكي»، ثم غادر الرياض إلى الشعراء حيث ترأس المؤتمر في مستهل شهر جمادى الأولى عام (1348ه أكتوبر 1929م)، وبعد الاجتماع عاد الملك عبدالعزيز إلى الرياض، ثم ما لبث أن خرج قاصداً الدويش على أطراف وادي حفر الباطن قرب حدود الكويت[160]، وأمام هذه الظروف وهذا الزحف الجرّار، أدرك الدويش أن الملك عبدالعزيز عازم على إنهاء تمرّده والقضاء عليه لا محالة، فهرب مع أسرته وبعض أتباعه إلى بادية العراق، فطاردته القوات البريطانية، فعبر الحدود إلى الكويت[161]، والتجأ إلى القنصل البريطاني الكولونيل ديكسون، فأشفق عليه ووافق على إيوائه بعد تردد، كما استسلم جاسر بن لامي ونابف بن حثلين للسلطات البريطانية بجهراء الكويت، ثم نُقلوا إلى بارجة بريطانية ومُنحوا حق اللجوء السياسي، ولما علم الملك عبدالعزيز بإيواء السلطات البريطانية لرؤساء التمرّد غضب من هذا التصرف، وأرسل للمندوب البريطاني في العراق يطلب فيها تسليم المجرمين إنفاذاً للتعهد البريطاني بعدم إيواء المجرمين، ثم أتى الرد بطلب تحديد مكان وموعد للاجتماع بين الطرفين لبحث هذه وغيرها من القضايا العالقة والاتفاق بشأنها[162]، فتقرر الموعد في اليوم الثامن عشر من شعبان في معسكر الملك[163] في «خبارى وضحى»[164]، حيث بدأت المفاوضات ودامت قرابة سبعة أيام انتهت بالاتفاق على تسليم فيصل الدويش وجاسر بن لامي ونايف بن حثلين إلى الملك عبدالعزيز، بشرط أن يُبقي على حياتهم[165]، وتم في صباح اليوم الثامن والعشرين من شعبان عام (1348هـ الموافق 28 يناير 1930م) تسليمهم إلى الملك عبدالعزيز فأمر بإرسالهم إلى إحدى الخيام تحت الحراسة المشددة بعد أن وبّخهم على جرائمهم[166]، وبعد ثلاثة أيام نُقلوا من المعسكر إلى الرياض ثم حُملوا فيما بعد إلى سجن الأحساء، حيث كان ابن بجاد رابعهم، وقد توفي فيصل الدويش في السجن عام (1350ه/1931م)، أما ابن بجاد وابن لامي وبن حثلين فقد وافتهم المنية عام (1353ه/ 1934م)[167]، وبهذا التسليم كانت نهاية تمرّد الإخوان على الدولة، حيث عاد الأمن والاستقرار إلى البلاد بعد أن كلّفت هذه الفتنة العمياء الكثير من المال والرجال.

2-فتنة ابن رفادة في الشمال عام (1351هـ/1932م):

حامد بن سالم بن رفادة[168] صاحب هذه الفتنة، من شيوخ قبيلة «بلي» وكانت له رئاسة قبيلته، وهم سكان شمالي الحجاز القاطنين على أطراف بلدة «الوجه» المطلّة على الشاطئ الشرقي من البحر الأحمر[169]، وقد ثار على الحكومة السعودية بعد فتح الملك عبدالعزيز الحجاز وتزعم حركة عصيان ضدها

فوجّه له الملك عبدالعزيز آنذاك قوة عسكرية فرّ بعدها لاجئاً إلى مصر عام (1347ه/1928م)، وبقي هناك ناقماً على بلاده يضمر لها العداء ويتحيّن عليها الفرص، وأخذ يعمل من مقرّه في الاتصال بالبدو في محاولة للقيام بثورة على دولته طمعاً في السيادة والانتقام، ثم بدأ تحرّكه مع مؤيديه من مصر في أوائل شهر محرم عام (1351ه/1932م، وسلك الطريق الساحلي بين البحر الأحمر والجبال حتى عبروا الحدود واجتازوا العقبة إلى منطقة «الشريح» حيث مكثوا أياماً يعملون على استمالة القبائل والترتيب للثورة، واستقبلوا هناك الأسلحة والأموال التي سيقت إليهم مع من انضم لهم عن طريق شرق الأردن من الأنصار والمؤيدين فبلغت قوتهم نحو أربعمائة مقاتل[170]، فيما احتاط الملك عبدالعزيز وأمر قادة جنده في سائر الجهات بالاستعداد الكامل لكل احتمال، ولما تأكد من دخول ابن رفادة الأراضي الحجازية أصدر أمره إلى عبدالله بن عقيّل أمير الجوف آنذاك بالتوجه من نجد إلى «تبوك» ومنها إلى «حقل والبدع»، وسيّر قوة برية بالسيارات مع عبدالله بن حلوان من الطائف، ووجه محمد بن سلطان مع فرقة من الهجانة سلكوا طريق الساحل الشمالي إلى «ضبا»[171]، كما أُمرت قوى الهجر من شمر وعنزة أن تسير إلى الشمال، وبعث سرية من «حائل» لمرافقة هذه القوات والمرابطة على الحدود[172]، ولما اطمأن الملك عبدالعزيز للموقف الداخلي وتبين له أنه ليس للشر أعوان، وبعد أن جهّز ما يكفي من القوات العسكرية أوعز إلى رجال من قبيلة بلي وجهينة وكذلك أهل ضبا والوجه أن يكتبوا إلى ابن رفادة باستعدادهم للوقوف معه بهدف استدراجه، فاتصلوا به وطلبوا منه التقدم إليهم لمعاونته[173]. وبعد ورود رسائل الأهالي قام ابن رفادة بالمسير من موقعه وتقدم إلى «حقل» ثم «الخريبة» ثم نزل واستقر في وادي «تريم»، وأذاع مؤيدوه في الخارج كذباً أنه احتل البلدان الشمالية وأسر أمراءها السعوديين، وبينما هو في موضعه ذلك تحركت الرايات والقوات السعودية صباح يوم الجمعة الموافق الخامس والعشرين من ربيع الأول من مركز تجمعها في ضبا ووزعت فرقها لتطويقه، ولما بلغه أن القوات السعودية آتية إليه تطلبه عاد يريد النجاة والتجأ إلى «جبل شار» الذي يبعد عن ضبا خمسين كيلاً، فتعقبه الجيش السعودي بالسيارات المسلحة والخيول إلى حيث نزل، ثم تكاملت عليه القوات وأحاطت به من كافة الأطراف في يوم السبت الموافق السادس والعشرين من شهر ربيع الأول عام (1351ه/1932م)، وفي ظهر ذلك اليوم نشبت معركة حامية الوطيس عند سفح الجبل هاجمتهم فيها القوات السعودية هجوماً شديداً استمر حتى غروب الشمس، وقد أسفرت المعركة عن مقتل زعيمهم حامد بن رفادة الأعور وابنيه فالح وحمّاد وسليمان بن أحمد أباطقيقة ومحمد بن عبدالرحيم أباطقيقة والسيد مسعود الدباغ، علاوةً على مقتل (370) رجلاً من أتباعه[174]، وقد حُمل رأس ابن رفادة إلى ضبا، فلعب به الأطفال ثم عُلّق في سوقها، ولوحق من فرّ من المعركة فقُتلوا جميعاً، ولم ينج ممن اشترك في هذه الفتنة أحد بل أُخمدت نارها في الأراضي الحجازية وبذلك انتهت تلك الحركة إلى الأبد[175].

3- ثورة الأدارسة في الجنوب عام (1351هـ/1932م):

بعد وفاة السيد محمد بن علي الإدريسي[176] خلفه في إمارة الأدارسة ابنه علي بن محمد[177]، الذي كان صغير السن آنذاك فلم يتمكن من السيطرة على مقاليد الحكم، واضطرب الحال بالبلاد فدخلت في صراع داخلي ساهم في انقسامها وضعفها، فاستغل الإمام يحيى الوضع وأخذ يزحف على مناطقها الجنوبية واستولى على ميناء الحديدة وسيطر على الساحل بطوله حتى مدينة ميدي[178]، كما حاصر مركزيَ الإمارة في

صبيا وجيزان، فما كان من كبار البيت الإدريسي ورؤساء القبائل إلا أن قاموا بخلع علي ومبايعة عمه الحسن بن علي بالحكم[179]، وبعد توليه الإمارة رأى مع هذه الأوضاع المتأزمة في بلاده علاوةً على ما تأكد له من الأطماع الإيطالية التي تدور حول أمارته إلا البحث عن حليف قويّ سياسياً وعسكرياً يسانده ويضع بلاده تحت حمايته، فأشار عليه الزعيم الإسلامي السيد أحمد الشريف السنوسي[180]، بطلب المساعدة من الملك عبدالعزيز والاتفاق معه على عقد معاهدة حماية وصداقة بينهما[181]، فاستحسن الأمر وبعد الاجتماع تمت الموافقة على وضع معاهدة دخلت بموجبها إمارة الأدارسة تحت الحماية السعودية[182]، سميت معاهدة «مكة المكرمة» وكانت بتاريخ الرابع والعشرين من شهر ربيع الثاني عام (1345ه الموافق 21 أكتوبر 1926م) [183]، ولكن بعد عدة سنوات اتضح عجز الإدارة المحلية في الإمارة عن تنفيذ التزاماتها والقيام بواجباتها الحكومية على الوجه المطلوب، فقام السيد الإدريسي عام (1349ه/1930م) برقع برقية للملك عبدالعزيز يتنازل له فيها عن إدارة شؤون البلاد، حيث أصبحت إمارة الأدارسة مقاطعة من مقاطعات المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها واحتفظ فيها السيد الحسن بمقامه وكرامته[184].

لقد استمرت العلاقات بين السيد الحسن والملك عبدالعزيز على أفضل ما يكون من الود والتقدير، وظلت الأمارة الإدريسية تنعم بالأمن والنظام إلى عام (1351ه/1932م) عندما حصل ما عكّر صفو تلك العلاقات، حيث قدِم حسين الدباغ وجماعة من أهل الفتن تابعين لحزب الأحرار الحجازي إلى الحسن الإدريسي ولاموه على وضع نفسه تحت حماية الدولة السعودية، وحرّضوه على الخروج عن طاعة الملك عبدالعزيز واستعادة سلطانه ليكون كما كان حاكماً متبوعاً لا تابعاً، واستطاعوا التأثير عليه وإقناعه بالثورة فاستجاب لإغوائهم واندفع خلف دعواتهم[185]، ولما علم الملك عبدالعزيز بهذه التحركات المشبوهة بعد توالي البرقيات عليه من المقاطعة وارتباطها بثورة ابن رفادة في الشمال أبرق إلى الحسن الإدريسي في الثامن والعشرين من شهر جمادى الثانية من عام (1351ه/1932م) يخبره بما بلغه عن هذا الأمر ويحذره من مغبة الغواية أو الانجرار نحو الفتنة، فأجابه الحسن مؤكداً إخلاصه، وظل يعلن ولاءه للملك في ظاهر إجاباته ويعمل في الخفاء على تنفيذ ما اتفق عليه مع أصحاب الفتنة[186]، وأخذ يحرّض القبائل على الثورة ويستدعي مشايخهم ويحفزهم على الانتفاض ويغريهم بالأموال والسلاح، وعندما حانت ساعة الصفر هاجم مدينة جيزان في اليوم الخامس من رجب عام (1351ه الموافق 4 نوفمبر 1932م) وقبض على أمير المقاطعة فهد بن زعير ورجاله واعتقلهم في مكان خاص[187]، وكان الملك عبدالعزيز بعد ورود البرقيات والتقارير عن الحالة العامة في جيزان قد بعث قبل قيام الثورة سبعين سيارةً تقل سريّة من الجند مكونة من نحو (400) فرد و(200) آخرين في زورق بحري، وعندما وصلت حملة السيارات إلى القحمة والشقيق في طريقها إلى جيزان تأكد لها عصيان الإدريسي وخيانته وثورته، وإنما تظاهره المصطنع بالخضوع والولاء لكسب مزيد من الوقت وانتظاراً للمساعدات التي وعده بها أصحاب الفتنة، وحينذاك رأى الإدريسي أن أمره انكشف وليس من الحكمة البقاء في جيزان فخرج منها واتجه إلى صبيا وأمر قواته بتخريب طريق السيارات ومقاومة السرية السعودية[188].

تقدمت القوة السعودية وواصلت زحفها من القحمة واستمرت حتى بلغت «الحفائر»[189]، حيث تمكنت من دخول جيزان في الثامن عشر من شهر رجب عام (1351ه الموافق 17 نوفمبر 1932م)، ثم أذاع

الملك عبدالعزيز بياناً أعطى بموجبه الأمان للإدريسي ومن معه من الثوار والقبائل إذا هم أخلدوا للسلم والتسليم[190]، وتحسباً لتطورات الموقف أصدر الملك أمره للأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي[191] أمير حائل آنذاك بالزحف مع قوة كبيرة قوامها خمسة عشر ألف مقاتل إلى منطقة جيزان وجعله القائد الأعلى للقوات في عسير[192]، وبعث قوة أخرى مع خالد بن لؤي من الخرمة ولكنه مرض في الطريق ووافته منيّته، فتولى القيادة ابنه سعد بن خالد، ولما دخل سعد المنطقة أخذ مع قوات عمر بن ربيعان في مطاردة فلول الإدريسي واستطاعوا الاستيلاء على المضايا وتعشر وأبي عريش، وظلت القوات السعودية تضيّق على الإدريسي الخناق وتحاصره أينما حلّ ونزل حتى اضطرّته للاعتصام بقرية أبي حجر[193]، فيما خيّم ابن مساعد بعد وصوله في أعلى الحسينية قرب الحقو وأخذ يبعث السرايا للقضاء على الجيوب المتبقية في الجبال، وبقيت قوات معسكر سعد بن خالد وعمر بن ربيعان على الحدود تهاجم الإدريسي حتى أخرجته من قرية الغاوية في بلاد بني الحرّث قبل نهاية شهر رمضان، فعبر الحدود والتجأ مع ابن أخيه عبدالوهاب الإدريسي وعدد من أهله وأقاربه إلى اليمن مستجيراً بالإمام يحيى[194]، ثم دارت المخابرات مع الإمام من أجل تسليم اللاجئين ومنهم الحسن وفقاً لشروط اتفاقية العرو عام (1350ه/1931م)[195]، ولكن الإمام رجاه بالعفو عنهم وبخاصة الحسن، فأجابه الملك بأنه عفا عنهم وعن جميع اتباعهم، ثم طلبه الإمام بقاء الأدارسة عنده وأن يخصص لهم نفقة تقوم بأودهم، فأجابه الملك إلى ما طلبه[196]، وبعد الحرب السعودية اليمنية التي اندلعت أوائل عام (1352ه/1934م) كان تسليم الأدارسة شرطاً من شروط الصلح مع الإمام يحيى، وقد سُلّموا إلى الأمير فيصل في مدينة الحديدة في الثاني والعشرين من شهر صفر عام (1353ه الموافق 4 يونيو 1934م)، مع عائلاتهم وأقاربهم البالغين قرابة ثلاثمائة شخص، فأكرمهم الأمير وأرسلهم بدوره إلى مكة المكرمة حيث اختاروا الإقامة فيها، وأسكنهم الملك عبدالعزيز أفخم المنازل وأجزل لهم العطاء، وبهذا الصلح انتهت فتنة الأدارسة وانجلت الغمة عن تهامة عسير وأصبحت المقاطعة تنعم بالأمن والاستقرار ضمن باقي مناطق المملكة العربية السعودية.

من خلال الفصول التي حوتها هذه الدراسة تبين لنا النتائج التالية:

1. أن النواة الأولى لنشأة قوات الدفاع السعودي هو ما كوّنه الملك عبدالعزيز من الستين رجلاً الذين قادهم من الكويت لاسترداد مدينة الرياض عاصمة آبائه وأجداده، والتي استطاع استعادتها والانطلاق منها لتأسيس الدولة السعودية الحديثة (المملكة العربية السعودية).
2. أن توطين البادية في الهجر يُعد من أهم منجزات الملك عبدالعزيز الحضارية، وكانت له في ذلك عدة أهداف عسكرية وسياسية واجتماعية واقتصادية ودينية، ظهرت آثارها جليّة بقيام الدولة واستقرار النظام وتحقيق الأمن والأمان وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.
3. أن إنشاء الهجر لتوطين قبائل البادية الرحّل في قرى ثابتة ومستقرة تشبه الثكنات العسكرية، أخرج أعتى قوة حربية في جزيرة العرب، هي «قوة الإخوان»، والتي تُعد القوة الضاربة في جيش الملك عبدالعزيز والعلامة الفارقة في معاركه.
4. أن بداية نشأة قوات الدفاع السعودي وفي أول تكوينها تألفت من جيش الجهاد وجيش الإخوان، وقد طبعها الملك عبدالعزيز بطابع عسكري وقام بتصنيفها على أساس المدينة أو القرية أو الهجرة أو القبيلة، وكانت في خوضها للحروب على ثلاثة أقسام: (الهجانة، والخيالة، والمشاة).

5. أن الملك عبدالعزيز اتبع في تنظيمات قواته نظاماً عسكرياً دقيقاً سار عليه أثناء معاركه وحروبه، استمده مما توارثه من آبائه وأجداده في الدولتين الأولى والثانية، كما استعمل فيه جميع أساليب الحرب وفنون المعارك من تخطيط وتنظيم والتحام واستطلاع وتمويه وحصار وكمائن وغيرها من أمور القتال والنزال.
6. أن الملك عبدالعزيز بعد ضم الحجاز حرص على بناء قوات نظامية حديثة يكون ولاؤها العسكري للدولة وليس للقبيلة أو الإقليم، حيث أمر بتشكيل أول نواة لوحدات قوات الدفاع السعودي تكونت آنذاك من ثلاثة أفواج عسكرية هي: فوج المشاة، وفوج المدفعية، وفوج الرشاش.
7. أن الخطوة المهمة في تكوين قوات الدفاع السعودي النظامي كانت عام (1348ه/1929م)، بعدما أصدر الملك عبدالعزيز أمره بتأسيس «مديرية الأمور العسكرية»، والتي تولت إعادة تشكيل وحدات الجيش وتنظيمها، فأصبحت تضم وحدات المشاة، وسلاح المدفعية، وسلاح الفرسان، وتم تشكيلها على أساس كتائب وألوية.
8. أن إنشاء المدرسة العسكرية بمكة المكرمة في عهد وكالة الدفاع عام (1352ه/1934م)، كأول مدرسة تعليمية وتدريبية للجيش السعودي كانت أبرز الإنجازات العسكرية التي ساهمت في تغذية قوات الدفاع السعودي بما تحتاجه من الضباط والجنود المدرّبين تدريباً عالياً.
9. أن النهضة العسكرية الشاملة لقوات الدفاع السعودي بدأت مع نشأة وزارة الدفاع وتولي صاحب السمو الملكي الأمير منصور بن عبدالعزيز قيادتها عام (1363ه/1943م).
10. أن الملك عبدالعزيز حرص على تنظيم جيش قوي للدولة حيث قام باستيراد أحدث الأسلحة والمعدات العسكرية من الخارج، وشرع بإنشاء المصانع الحربية لكي تساهم في تزويد قوات الدفاع السعودي بما تحتاجه من ذخيرة عسكرية وأسلحة خفيفة لأداء واجباتها الدفاعية والوطنية.
11. أبرزت الدراسة المشاركات العسكرية الميدانية التي قامت بها قوات الدفاع السعودي كجزء أساسي من واجباتها الوطنية ومساهماتها الفاعلة في خدمة قضايا الأمتين العربية والإسلامية.
12. كشفت الدراسة الجهود العسكرية التي بذلتها قوات الدفاع السعودي باستعمال القوة العسكرية من أجل تثبيت النظام والاستقرار السياسي للدولة، عندما تصدت لحركات التمرد الداخلية وقامت بإيقافها وإطفاء نارها.

الهوامش:

(1) عقيل بن ضيف الله القويعي، تكوين القوة العسكرية في عهد الملك عبدالعزيز، (ط1، المجلد الثالث، بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز الذي عقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في الفترة ما بين 23-19 ربيع الأول عام 1406هـ/ 1985م)، ص 1051.

(2) صحيفة أم القرى، العدد 287، بتاريخ 10 محرم 1349هـ ص 1.

(3) عبدالله العلي الزامل، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، (ط1، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، بيروت،1392هـ/ 1972م)، ص 462-460.

(4) صحيفة أم القرى، العدد 287، بتاريخ 10 محرم 1349هـ ص 1.

(5) فؤاد حمزه، البلاد العربية السعودية، (ط1، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، 1355هـ/1936م)، ص 251.

(6) موضي بنت منصور آل سعود، الهجر ونتائجها في عصر الملك عبدالعزيز، (ط2، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1419هـ/ 1998م)، ص 48.

(7) القويعي، مرجع سابق، ص 1051.

(8) الريحاني، تاريخ نجد وملحقاته، (ط5، منشورات الفاخرية بالرياض، دار الكاتب العربي، بيروت، 1401هـ/1981م)، ص 260.

(9) الأرطاوية، عُرفت بهذا الاسم لأن الأرطي مرعى الإبل المعروف يكثر في جوارها، والأرطي شجر ثمره كالعناب ويسمى في نجد عبلاً لأن ورقه كورق الصنوبر مفتول غير منبسط، وهم يستخرجون منه ومن قشره صباغاً أصفر. أنظر، الريحاني، ملوك العرب، ج2، ص 622.

(10) قبيلة حرب، قبيلة يمانية النسب حجازية الوطن، هي: حرب بن سعد بن سعد بن خولان، وخولان ينتهي نسبه إلى كهلان ثم إلى قحطان، كانت حتى أوائل القرن الثاني الهجري تقيم في اليمن حول صعدة، ثم حدثت حروب طاحنة بين بني سعد بن سعد والربيعة بن سعد، فجلت بنو سعد بن سعد بن خولان إلى الحجاز سنة (131ه)، فنزلت حرب وسط الحجاز، وسيطرت على مناطق واسعة من الحجاز من القنفذة جنوب مكة إلى حدود العراق. أنظر، عاتق البلادي، معجم قبائل الحجاز، ص 108-107.

(11) حمزة، قلب جزيرة العرب، (ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1423هـ/2002م)، ص 374.

(12) قبيلة مطير، عبارة عن مجموعة من القبائل متحالفة مع بعضها قحطانية وعدنانية، تمتد منازلها من حدود الكويت والخليج إلى قرب القصيم غربًا وديار العجمان وبني خالد جنوبًا، وتنقسم هذه القبيلة إلى بطنين كبيرين الأول علوه وينتسب إليها زعيمهم فيصل الدويش والآخر بريه، وتتألف كل منهما من العديد من الأفخاذ والعشائر. أنظر، حمزة، مصدر سابق، ص 200.

(13) إبراهيم بن عويض العتيبي، تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز، (ط1، النشر العلمي والمطابع - جامعة الملك سعود، 1419هـ/ 1998م)، ص 323.

(14) قبيلة عتيبة، من أكبر قبائل العرب وتنقسم إلى قسمين كبيرين هما الروقة وبرقا، ولكل قسم

أفخاذ وعشائر عديدة، تمتد منازلها من سفوح جبال الحجاز الشرقية إلى الحرار التي بين درب الحج ونجد من الشمال والشرق وديرة قحطان والبقوم والشلاوة وسبيع في الجنوب ويوجد قسم منها في الحجاز غربي السلسلة الجبيلية في أطراف الطائف وفي أطراف مكة والمضيق والسيل. أنظر، حمد الجاسر، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، (ط1، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة، مطبعة نهضة مصر، 1401ه/1981م)، ص 563.

(15) مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، (ط1، دار الشروق، جده، 1400هـ/1980م)، ص 162.

(16) الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، (ج1، ط1، مطابع دار القلم، بيروت، 1390هـ/1970م)، ص 265.

(17) الريحاني، مصدر سابق، ص 456.

(18) العتيبي، مرجع سابق، ص 327.

(19) المانع، توحيد المملكة العربية السعودية، (ط1، دون ناشر، 1402هـ/1982م)، ص 71.

(20) يوسف بن إبراهيم السلوم، الملك القائد، (ط1، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، 1422هـ/2001م)، ص 56-55.

(21) العتيبي، مرجع سابق، ص 334.

(22) فاسيلييف، مصدر سابق، ص 405.

(23) الزركلي، مصدر سابق، ج2، ص 458.

(24) الزامل، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، (ط1، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، بيروت،1392هـ/ 1972م)، ص 470-465.

(25) الزامل، مصدر سابق، ص 473.

(26) الزامل، مصدر سابق، ص 471.

(27) إخوان نجد، ظاهرة نشأت في وسط الجزيرة العربية ويجب ألا يُخلط بينها وبين حركة الإخوان المسلمين التي نشأت في مصر. انظر، جون حبيب، الإخوان السعوديون في عقدين، ص 48.

(28) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص 288.

(29) حبيب، الإخوان السعوديون في عقدين 1349-1328ه/1930-1910م، (دار المريخ للنشر، الرياض، 1419هـ)، ص 99.

(30) أبو هيكل، مرجع السابق، ص360.

(31) المانع، مصدر سابق ص 112-111.

(32) بنوا ميشان، عبدالعزيز آل سعود، سيرة بطل ومولد مملكة، تعريب عبدالفتاح ياسين، (دار الكاتب العربي، بيروت، 1385ه/ 1965م)، ص 127.

(33) صحيفة أم القرى، العدد 291، بتاريخ 8 صفر 1349هـ ص1.

(34) صحيفة أم القرى، العدد 434، بتاريخ 11 ذو الحجة 1351هـ ص1.

(35) الريحاني، مصدر سابق، ص 456.

(36) الزامل، مصدر سابق، ص 144-143.

(37) الريحاني، مصدر سابق، ص 331.

(38) عطار، صقر الجزيرة، (ج2، ط3، مطبعة الحرية، بيروت، 1392هـ/1972م)، ص -414 415.

(39) حبيب، مرجع سابق، ص 75.

(40) نبيه بك العظمة، سياسي سوري ولد في دمشق عام (1886م)، تخرج من الكلية العسكرية في الآستانة برتبة ضابط، وخدم في الجيش العثماني حتى عام (1918م)، وشارك في الثورة السورية عام (1925م)، وشارك في تشكيل حزب الاستقلال، اهتم في القضية الفلسطينية، وقضية لواء الاسكندرونة، شكل حزب الوطني عام (1947م)، وانتخب رئيسًا له، توفي عام (1972م). أنظر، الكيالي، موسوعة السياسة، ج6، ص 558.

(41) فوزي عبدالمجيد القاوقجي، ولد في طرابلس الشام عام (1890م)، واختلفت المصادر في تاريخ ولادته، ولقب القاوقجي جاء من صنعة جده صناعة القاوق وهو لباس للرأس مصنوع من اللباد وكان يرتديه الأتراك، وكلمة جي في اللغة العثمانية يضاف إلى الأسماء فيحولها إلى مهن، وقد درس في المدارس العثمانية حتى وصل إلى المدرسة الحربية في إسطنبول، وتخرج منها عام (1912م) ضابطًا في سلاح الفرسان، ولم يكن من رجال السياسة بل عسكريًا احترف مهنتها. أنظر، حميد الجميلي وآخرون، موسوعة أعلام العرب، (ج 1، بيت الحكمة، بغداد 2000م)، ص 404.

(42) الزركلي، شبه الجزير في عهد الملك عبدالعزيز، ج3، ص 992.

(43) حمدي بك الياور، من أصل عراقي، من مدينة بغداد، التحق بالخدمة العسكرية عام (1344هـ ثم عيّن مرافقًا للنائب العام اعتباراً من (7/4/1353هـ)، وسبق أن خدم في الجيش التركي قبل التحاقه بالخدمة السعودية. أنظر، العتيبي، مرجع سابق، ص 347.

(44) العثيمين، معارك الملك عبدالعزيز المشهورة، ص 337.

(45) عبدالله بن سليمان بن حمدان، وزير المالية، من أوائل العاملين في تأسيس المملكة، ولد في عنيزة بنجد ورحل إلى الهند في صغره، فنشأ في بعض مدارسها وتنقل للتجارة بينها وبين البحرين والبلاد المجاورة، ودخل في خدمة الملك عبدالعزيز عام (1338هـ/1920م)، فكان من كتاب ديوانه لحسن خطه، وتولى وكالة المالية (1345هـ/1927م) ثم الوزارة، وتولى كثيراً من مهام الدولة، وأنشأ مؤسسة النقد العربي السعودي، --ووقع اتفاقية النفط الأولى مع الشركة الأميركية التي أصبحت تدعى «أرامكو»، وبعد وفاة الملك عبدالعزيز استقال وعمل في تثمير ثروته وتوفي بجدة. أنظر، خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ص 92-91.

(46) العتيبي، مرجع سابق، ص 347.

(47) الغلامي، الملك الراشد عبدالعزيز آل سعود، (ج1، ط1، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، 1373هـ/1954م)، ص 220.

(48) المالك وآخرون، مرجع سابق، ص 42.

(49) الزركلي، مصدر سابق، ص 990.

(50) العتيبي، مرجع سابق، ص 351.

(51) محمد طارق الأفريقي، نيجيري الأصل والمولد، التحق بالجيش العثماني وتخرج من كلية القيادة والأركان العثمانية، وشارك خلال خدمته في الجيش العثماني في حرب طرابلس ضد الإيطاليين عام (1330هـ)، وفي حرب البلقان عام (1331هـ)، كما شارك في الحرب الحبشية الإيطالية عام (1357هـ) متطوعًا، وشارك في حرب فلسطين عام (1367هـ) قائدًا لإحدى فرق المتطوعين، خاض أربعين معركة، وله أربعة مؤلفات. أنظر، العتيبي، مرجع سابق، ص 351.

(52) الزركلي، مصدر سابق، ص 992.

(53) الشريف محسن الحسين الحارثي، تخرّج من المدرسة العسكرية العراقية في بغداد، عاد إلى المملكة برتبة رئيس (نقيب)، والتحق بالخدمة العسكرية السعودية في (10/9/1355هـ)، وقد تولى رئاسة الأركان بالوكالة في عهد وكالة الدفاع واستمر في عمله عندما أُنشئت وزارة الدفاع في عهد الأمير منصور. انظر، العتيبي، تنظيمات الدولة، ص352. السبيت وآخرون، كنت مع عبدالعزيز، (ط2، دار مبين للنشر والتوزيع، 1415ه/ 1994م). ص 515.

(54) صاحب السمو الملكي الأمير منصور بن عبدالعزيز آل سعود، ولد بمدينة الرياض عام (1340هـ/1921م)، حيث نشأ وتعلم فيها، ولى إدارة القصر الملكي، زار مصر خلال الحرب العالمية الثانية زيارة رسمية بغية مشاهدة المنشآت العسكرية ومستودعات الأسلحة، وفي عام (1363هـ/1943م) عُيّن سموه وزيرًا للدفاع، ومُنح رتبة فريق أول، وهو أول وزير للدفاع، وفي عهده أخذت النهضة العسكرية للجيش السعودي تسير بسرعة كبيرة، حيث أُنشئت الإدارات ووضعت برامج التدريب والتطوير، وقد توفي في باريس عام (1370ه/1951م) حيث كان في رحلة علاجية. أنظر، المالك وآخرون، مرجع سابق، ص 62.

(55) المالك وآخرون، مرجع سابق، ص 46.

(56) يوسف السلوم، النظام العسكري في عهد الملك عبدالعزيز، (ط1، المجلد3، بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز الذي عقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في الفترة ما بين 23-19 ربيع الأول عام 1406هـ/1985م)، ص 1025.

(57) الغلامي، مصدر سابق ص 224.

(58) جفال بن جبر السبيعي، التعليم العسكري والأمني في المملكة العربية السعودية، (رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1426هـ/2006م)، ص 63.

(59) سانت هيرست، لم أجد لها ترجمة في المصادر التي اطلعت عليها.

(60) عبدالحميد الخطيب، الإمام العادل، (ج2، ط2، دون ناشر، الرياض، 1419هـ/1999م)، ص 138-139.

(61) محي الدين رضا، طويل العمر الملك عبدالعزيز آل سعود، (ط1، مطبعة البابي الحلبي، 1369هـ/1950م)، ص 129.

(62) الغلامي، مصدر سابق ص 220.
(63) المالك وآخرون، مرجع سابق، ص 269.
(64) أبو هيكل، مرجع سابق، ص 137.
(65) الخطيب، مصدر سابق، ص 140-139.
(66) أبو هيكل، مرجع سابق، ص 136.
(67) الخطيب، مصدر سابق، ص 140.
(68) الغلامي، مصدر سابق، ص 225.
(69) صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن عبدالعزيز، ولد بمدينة الرياض ودرس في مدينة الأمراء بها، قام برحلات إلى أوروبا وأمريكا وبعض بلدان الشرق والعالم العربي، عُيّن وزيرًا للدفاع بتاريخ (5/8/1370هـ11/5/1951-م)، وفي عهده طوّر تسليح القوات العسكرية بإدخال المدفعية الثقيلة والمتوسطة، والأسلحة الخفيفة الأتوماتيكية، وحولت مفارز القوات المسلحة في بعض المناطق إلى مناطق عسكرية، واكتمل مشروع المصانع الحربية في عهده، واستقال من منصبه عام (1376هـ/1957م). أنظر، المالك وآخرون، مرجع سابق، ص 62.
(70) القويعي، مرجع سابق، ص 1071.
(71) الغلامي، مصدر سابق، ص 222.
(72) المالك وآخرون، مرجع سابق، ص 50.
(73) الغلامي، مصدر سابق، ص 290.
(74) المالك وآخرون، مرجع سابق، ص 140.
(75) العتيبي، مرجع سابق، ص 357.
(76) الغلامي، مصدر سابق ج1، ص 222.
(77) العتيبي، مرجع سابق، ص 356.
(78) صحيفة أم القرى، العدد1457، بتاريخ 11 رجب 1372هـ ص1.
(79) العتيبي، مرجع سابق، ص 358.
(80) صحيفة أم القرى، العدد 264، بتاريخ 7 شعبان 1348هـ ص 2.
(81) يوسف السلّوم، مرجع سابق، ص 85-83.
(82) صحيفة أم القرى، العدد 592، بتاريخ 18 محرم 1355هـ ص 1.
(83) أبو هيكل، مرجع سابق، ص 140.
(84) حمزة، مصدر سابق، ص 258.
(85) فرانكلين روزفلت (1882م - 1945م)، الرئيس الثاني والثلاثين للولايات المتحدة الأمريكية، وكان ينتمي للحزب الديموقراطي، شغل منصب حاكم ولاية نيويورك (1929م - 1932م)، وتولى منصب رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية من (1933م – 1945م). أنظر، أحمد خضر، فرانكلين روزفلت، (ط1، دار المعارف، القاهرة، د، س) ص 12-11.

(86) المالك وآخرون، مرجع سابق، ص 279.
(87) الخطيب، مصدر سابق، ص 140.
(88) المالك وآخرون، مرجع سابق، ص 281-279.
(89) الغلامي، مصدر سابق، ص 227.
(90) الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، (ط5، دار العلم للملايين، 1408هـ/ 1988م) ص 203.
(91) العتيبي، مرجع سابق، ص 365.
(92) الزركلي، مصدر سابق، ص 993.
(93) القويعي، مرجع سابق، ص 1066.
(94) يوسف السلوم، مرجع سابق، ص 45.
(95) الغلامي، مصدر سابق، ص 223.
(96) المالك وآخرون، مرجع سابق، ص 95-93.
(97) القويعي، مرجع سابق، ص 1066.
(98) القويعي، مرجع سابق، ص 1066.
(99) الغلامي، مصدر سابق، ص 290.
(100) المالك وآخرون، مرجع سابق، ص 173.
(101) المالك وآخرون، مرجع سابق، ص 209-206.
(102) وزارة الدفاع، سلاح الإشارة بين الماضي والحاضر، (مطابع القوات المسلحة، الرياض، 1421ه/2001م)، ص 29.
(103) القشلة، وتسمى سابقاً «قشلاق الطائف» وهي ثكنة عسكرية في الطائف، بناها الأتراك لجيشهم، وقد نفي فيها مدحت باشا ورفاقه بعد إدانته بالتخطيط والمشاركة في اغتيال السلطان عبدالعزيز. أنظر، عاتق البلادي، معجم معالم الحجاز، ج7، ص 1382.
(104) وزارة الدفاع، القوات البرية الملكية السعودية نشأتها وتطورها، (مطابع القوات المسلحة، الرياض، 1424ه/ 2004م)، ص 57.
(105) المالك وآخرون، مرجع سابق، ص 226.
(106) المالك وآخرون، مرجع سابق، ص 238.
(107) المالك وآخرون، مرجع سابق، ص 240.
(108) المالك وآخرون، مرجع سابق، ص 58.
(109) السبيعي، مرجع سابق، ص 92-91.
(110) شامي بن محمد الظاهري وآخرون، مسيرة القوات المسلحة السعودية خلال مائة عام، (ط1، المجلد العاشر، الأمن والصحة، المملكة العربية السعودية في مائة عام، بحوث ودراسات، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، 1428ه/2007م)، ص 165.
(111) السبيعي، مرجع سابق، ص 106.

(112) يوسف السلوم، مرجع سابق، ص -1036 1037.

(113) الغلامي، مصدر سابق، ج1، ص 223.

(114) هي أزمة اجتاحت العالم في (1929م1933-م)، وكانت بدايتها في 24 تشرين الأول 1929م في بورصة نيويورك عندما باعت الشركات الكبرى كميات كبيرة من السندات والأوراق المالية بلغت أكثر من (13) مليون دولار، كما كانت هناك زيادة في الإنتاج الزراعي والصناعي وانخفاض في التصريف بعد عودة الاتحاد السوفييتي إلى الإنتاج الطبيعي بعد عام 1925م. انظر، بيير رونوفان، تاريخ القرن العشرين، (ط2، تعريب نورالدين حاطوم، بيروت، 1980م)، ص 128.

(115) أبو هيكل، بناء الدولة السعودية في عهد الملك عبدالعزيز بن سعود، ص 140.

(116) الأعظمي، العلاقات السعودية الأمريكية وأمن الخليج، ص 99-96.

(117) قانون الإعارة والتأجير، نص هذا القانون على أن تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم الدعم لبريطانيا خاصة والحلفاء عامة بالمال والسلاح والمواد الأخرى على سبيل الإعارة والتأجير، وبلغ مقدار ما دفعته من أموال بموجب هذا المرسوم (51) مليار دولار، كانت حصة بريطانيا لوحدها (31) مليار دولار، وقد انتهى العمل به في عام 1945م. أنظر، نذير جبار الهنداوي، العلاقات السعودية الأمريكية 1964-1953م، (أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1997م)، ص 25.

(118) فاسيلييف، مرجع سابق، ص 434.

(119) ولد في مدينة الرياض في 14 صفر 1324ه/ 1927م، شارك في سن مبكرة في المعارك والأحداث التي واكبت نشوء المملكة، ففي عام (1345ه/1927م)، ولى عدة مناصب سياسية منها نائب الملك على الحجاز، ووزير الداخلية، ورئيس الوزراء، إلى أن بويع بولاية عهد أخيه سعود عام (1373ه/1953م)، ولي العرش بعد أن اجتمع أعيان آل سعود وعلماء الرياض وأصدروا بياناً عام (1384ه/1964م) بخلع أخيه سعود وتوليته العرش، لقي مصرعه اغتيالاً صباح الثلاثاء بتاريخ (13/3/1395ه الموافق 25/3/1975م)، على يد ابن أخيه الأمير فيصل بن مساعد بن عبدالعزيز. أنظر، فؤاد صالح السيد، معجم السياسيين المغتالين، (ط1، بيروت، دار المناهل، 1428ه/ 2007م)، ص 467.

(120) عبدالرحمن بن عبدالعزيز الحصين، فيصل بن عبدالعزيز وجهوده في القضايا العربية والإسلامية، (ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، 1422هـ/2001م)، ص 149.

(121) فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، ص 463.

(122) المالك وآخرون، مرجع سابق، ص 266.

(123) اتفاقية العرو، اتفاقية وقعت لمحاولة إنهاء النزاع الذي نشب بين الإمام يحيى والملك عبدالعزيز بعد أن أعلن الأخير حمايته على أمارة الأدارسة في تهامة عسير، وقد حدث النزاع بسبب الاختلاف بين الملكين حول ملكية جبل العرو على الحدود اليمنية السعودية، وقد تنازل الملك عبدالعزيز عن ملكية الجبل للإمام يحيى، وقد أكدت على حسن الجوار والمحافظة على العلاقات الودية بينهما، وأن لا يحدث أي ضرر من الطرفين لبلاد الآخر، ووجوب تسليم المجرمين السياسيين، ومعاملة رعايا الدولتين وفقًا لأحكام الشريعة الإسلامية، ويلتزم كل طرف بإرجاع من يضر إليه من الطرف الآخر. أنظر، العقيلي، أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث، (ط1، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، 1413ه/1992م).ص 234.

(124) الإمام يحيى حميد الدين، ملك اليمن ومن أئمة الزيدية، ولد بصنعاء عام (1286هـ)، ولي الإمامة بعد وفاة أبيه في عام (1322هـ)، دخل في صراع مع الدولة العثمانية التي كانت تحكم في ذلك الوقت أجزاء كبيرة من اليمن، حتى أعلن نفسه حاكمًا مستقلًا على اليمن عام (1336هـ)، دارت الحرب اليمنية السعودية في عهده بسبب تدخلاته المتواصلة في أراضي الدولة السعودية المجاورة لليمن، ورفضه لمحاولات الملك عبدالعزيز التفاوض من أجل الوصول لحلول سلمية، وبانتصار الجيوش السعودية رضخ للحل السلمي، وأقر بالأراضي التابعة للمملكة العربية السعودية التي كانت بأيدي آل عايض والأدارسة في نجران وبلاد يام وتبعيتها للملك عبدالعزيز، وذلك من خلال معاهدة الطائف التي وقعت في 6 صفر (1353هـ)، توفي رحمه الله عام (1367هـ) مقتولًا على يد معارضيه. أنظر، فهد السماري وآخرون، موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي، (ط1، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، 1419ه/1999م)، ص 648.

(125) الغلامي، مصدر سابق، ص 79.

(126) عطار، مصدر سابق، ص 1129.

(127) أحمد عسه، معجزة فوق الرمال، (ط2، المطابع الأهلية اللبنانية، 1386هـ/1966م)، ص 121.

(128) عبدالحكيم الطحاوي، الملك فيصل والعلاقات الخارجية السعودية، (ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1422هـ/2002م)، ص 67.

(129) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، (ج2، ط2، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، 1402هـ/ 1982م)، ص 1136.

(130) عطار، مصدر سابق، ج6، ص 1137.

(131) عبدالله بن أحمد بن الوزير، ولد عام (1202هـ/1885م)، ثائر من دهاة اليمن وأعيانها، من أسرة علوية النسب هاشمية، وهو من علماء الزيدية، من أهل صنعاء، كان من مستشاري الإمام يحيى وثقاته، أرسله عام (1343هـ/1924م) على رأس جيش لإخضاع جموع من العصاة في الجوف الشرقي لليمن، فنجح وأخضع عدة مدن، وعين بمنصب رئيس الوزراء، غير أنه طمع بالحكم ودبر لقتل الإمام يحيى، ثم نصب نفسه إمامًا شرعيًا وملكًا دستوريًا، غير أنه لم يظل في الإمامة سوى أربعة وعشرين يومًا، حيث اعتقله أنصار الإمام الشرعي أحمد بن يحيى، ثم قتل بالسيف عام (1367هـ/1948م). أنظر، الزركلي، الأعلام، ج4، ص 71-70.

(132) الزركلي، مصدر سابق، ص 604.

(133) صحيفة أم القرى، العدد1211، بتاريخ 13رجب 1367هـ ص 5.

(134) صحيفة أم القرى، العدد1211، بتاريخ 13رجب 1367هـ ص 5.

(135) صالح جمال الحريري، الجيش السعودي في فلسطين، (ط2، مطبعة دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، 1422هـ/2001م)، ص10.

(136) المسند، مرجع سابق، ص 249.

(137) الكونت فولك برنادوت، من مواليد مدينة استوكهولم عام (1895م)، وهو ابن أخ الملك غوستاف الخامس ملك السويد، ورئيس الصليب الأحمر السويدي، وقد لعب دورًا حيويًا في عمليات

تبادل أسرى الحرب العالمية الثانية بين بريطانيا وألمانيا، وكان أول عمل قام به بعد تسلمه مهمة الوسيط الدولي أن عهد إلى د. رالف بانشي الممثل الرئيسي للأمين العام للأمم المتحدة في فلسطين، ليصبح مساعدًا له ورفيقًا في مهمة الوساطة، وقد اغتاله اليهود في القدس بتاريخ (17/9/1948م). أنظر، مهدي عبدالهادي، المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول، (ط1، منشورات المكتبة العصرية. بيروت، 1975م)، ص 122.

(138) الغلامي، مصدر سابق، ص 177.

(139) إبراهيم شكيب، حرب فلسطين 1948م، رؤية مصرية، (ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1986م)، ص 282-270

(140) الزركلي، مصدر سابق، ص 1292.

(141) صحيفة أم القرى، العدد 1220، بتاريخ 17رمضان 1367هـ ص 5.

(142) الغلامي، مصدر سابق، ص 185.

(143) المسند، مرجع سابق، ص 266.

(144) السلوم، مرجع سابق، ص 195.

(145) وهبه، مصدر سابق، ص 291.

(146) الزركلي، مصدر سابق، ص 473.

(147) سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، (ط1، مطابع الرياض، 1380/ 1961م)، ص 189-188.

(148) السبلة، روضة فيها ماء، بالزلفي بمنطقة الرياض. أنظر، حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، (منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، 1397ه/1977م)، ص 704.

(149) الزامل، مصدر سابق، ص 282.

(150) بن هذلول، مصدر سابق، ص 192.

(151) المانع، مصدر سابق، ص 143.

(152) المانع، مصدر سابق، ص 144.

(153) الزركلي، مصدر سابق، ص 488.

(154) العثيمين، مرجع سابق، ص 299.

(155) وهبه، مصدر سابق، ص 296.

(156) بن هذلول، مصدر سابق، ص 194.

(157) عطار، مصدر سابق، ص 1003.

(158) بن هذلول، مصدر سابق، ص 195.

(159) الشعراء، قرية بين الرياض ومكة، تبعد عن الرياض 216ميلًا، وعن مكة 390 ميلًا، قال ابن بليهد، الشعراء، بلدة في عالية نجد، شرقي جبل ثهلان، بها مزارع ونخيل، وتنتابها الأعراب من كل ناحية. أنظر، الزركلي، شبه الجزيرة، ص 495.

(160) المانع، مصدر سابق، ص 177.

(161) لطيفة السلوم، مرجع سابق، ص 390.

(162) المانع، مصدر سابق، ص 181-178.

(163) بن هذلول، مصدر سابق، ص 200.

(164) خبارى وضحى، عبارة عن أرض خلاء، قرب الحدود العراقية، تتجمع فيها مياه السيول عقب هطول الأمطار، أقام فيها الملك عبدالعزيز مخيّماً. أنظر، الشهيل، فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة، ص 138.

(165) الزركلي، مصدر سابق، ص 507-506.

(166) وهبه، مصدر سابق، ص 300.

(167) الزركلي، مصدر سابق، ص 507-506.

(168) حامد بن سالم بن رفادة، من قبيلة بلي سكان الوجه أحد شواطئ الحجاز، كان من رعايا الملك عبدالعزيز فأعلن العصيان عام (1928م)، ثم هرب إلى مصر وأقام بها سنة ثم توجه إلى عمان وتجنس بالجنسية الأردنية، واتصل بالأمير عبدالله بن الحسين أمير شرقي الأردن، ثم عاد إلى مصر واتصل بملكها فؤاد الذي كان على علاقة عدائية مع الملك عبدالعزيز، فلقي منه ابن رفادة عطفًا وعونًا، وبدأ يستعد ويجهز نفسه للثورة، حيث توجه إلى للحجاز واستقر في سهل بنت شعر والحويط، من سفوح جبل «مشار» بالقرب من مويلح وضبا، وهناك حدث قتال بين جماعته وقوات الملك عبدالعزيز عام (1932م)، انتهت بمقتله، أنظر، الزركلي، الأعلام، ج2، ص 161.

(169) الزركلي، مصدر سابق، ص 557.

(170) الزركلي، مصدر سابق، ص 558.

(171) بن هذلول، مصدر سابق، ص 209.

(172) عطار، مصدر سابق، ص 1084.

(173) الزركلي، مصدر سابق، ص 559.

(174) صحيفة أم القرى، العدد 399، بتاريخ 2 ربيع الثاني1351هـ ص 1.

(175) عطار، مصدر سابق، ص 1087.

(176) محمد بن علي بن السيد أحمد بن إدريس (1293هـ1341-هـ)، مؤسس دولة الأدارسة في صبيا وعسير، أصله من فاس، أقام جده السيد أحمد بن إدريس في صبيا، فولد صاحب الترجمة فيها، وتعلم في الأزهر بمصر، وطمح إلى السيادة، فنشر في صبيا طريقة جده، فاتبعه كثيرون، فوثب بهم على حكومتها، وفيها الشريف أحمد الخواجي باشا، من زعماء أبي عريش، فقطع يديه إلى الرسغين عقب استيلائه على صبيا عام (1327هـ)، فجهزت حكومة الترك الجيوش لقتاله، فلم تفلح. أنظر، الزركلي، الأعلام، 6/33.

(177) علي بن محمد الإدريسي، ولد في دنقلة بالسودان عام (1905م)، بقي فيها ثمان سنوات عند جده لأمه، ثم بعد ذلك عاد إلى صبيا حيث تلقى علومه فيها، بويع بالحكم وعمره لم يتجاوز سبعة عشر عامًا. أنظر، العقيلي، المخلاف السليماني، ج2، ص 850.

(178) حمزة، مصدر سابق، ص 358.

(179) الزركلي، مصدر سابق، ص 535.

(180) الشريف أحمد السنوسي، ولد في الجغبوب بليبيا عام (1873م) وتلقى علومه فيها، سعى والده وعمه إلى تثقيفه، وعندما أعلنت إيطاليا الحرب على الدولة العثمانية للسيطرة على ليبيا عام (1912م) كان له دور في إثارة الحماسة لدى الشعب الليبي للدفاع عن بلادهم. أنظر، صحيفة أم القرى، (العدد 431، 17 آذار، 1934م)، ص2.

(181) العقيلي، مرجع سابق، ص 760.

(182) وهبه، مصدر سابق، ص44.

(183) العقيلي، مرجع سابق، ص 762.

(184) حمزة، مصدر سابق، ص 359.

(185) منير العجلاني، تاريخ مملكة في سيرة زعيم، فيصل ملك المملكة العربية السعودية، (ط1، د.م، د.ن، 1968م)، ص 162.

(186) الخطيب، مصدر سابق، ص355.

(187) بن هذلول، مصدر سابق، ص 214.

(188) عطار، مصدر سابق، ص 1106.

(189) العقيلي، مرجع سابق، ص 989.

(190) عطار، مصدر سابق، ص 1107-1106.

(191) عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي، من مواليد الرياض، نزح مع والده ضمن الأسرة السعودية إلى الكويت، وقد شارك في حملة استرداد الرياض، وأسند إليه إمارة القصيم عام (1139هـ) وفي عام (1351هـ) عينه الملك عبدالعزيز حاكمًا عامًا لمنطقة عسير وقائدًا للقوات السعودية هناك إثر اندلاع فتنة الأدارسة. أنظر، حسن سليمان، الأمير عبدالعزيز بن مساعد حياته ومآثره، ص 23.

(192) العقيلي، مرجع سابق، ص 1032.

(193) عطار، مصدر سابق، ص 1107.

(194) سعيد، مرجع سابق، ص 367.

(195) صحيفة أم القرى، العدد 416، بتاريخ 4 شعبان 1351هـ ص 3.

(196) عطار، مصدر سابق، ص 1108.

الاكتشافات الأثرية في منطقة تـــبـــوك وأبرز مواقعها

أ.بديعه بنت عطيوي عايض العتيبي باحثة دكتوراه- جامعة أم القرى- المملكة العربة السعودية

المستخلص:

يهدف هذا البحث لتسليط الضوء على أبرز المواقع الأثرية لمنطقة تبوك الواقعة في الشمال الغربي من الجزيرة العربية، وبيان الاكتشافات التاريخية وأبرز التقنيات الأثرية، ولما منطقة تبوك من أهمية استراتيجية في الموقع فهي تعتبر حلقة وصل بين الجزيرة العربية وبلاد الرافدين وبلاد الشام ومصر من جهة والطرق التجارية شمالاً وجنوباً من جهة أخرى؛ ولهذه الأهمية فقد برزت العديد من المواقع الأثرية كالخريبة وحقل وقرّية والبدع وتيماء والديسة وغيرها التي كانت شاهد على الاستيطان البشري المبكر على مدى عصور متقدمة من التاريخ، أضف إلى ذلك بيان الجهود الحثيثة التي قامت بها حكومة المملكة العربية السعودية في المنطقة للكشف عن بقايا الآثار الصخرية من رسوم ونقوش جعلها تصنف المنطقة ضمن نطاق الإرث التاريخي الحضاري.

الكلمات المفتاحية: تاريخ، تبوك، آثار، مواقع أثرية، اكتشافات حديثة.

Archaeological discoveries of Tabuk and its most prominent sites

A.Badia Atiwi Ayed Al Otaibi

Abstract :

This research aims to shed light on the most prominent archaeological sites in Tabuk, which located in the northwest of the Arabian Peninsula, and to explain the historical discoveries and the most prominent archaeological techniques. Because of the strategic importance of the Tabuk region in the site, it is considered a link between the Arabian Peninsula, Mesopotamia, the Levant, and Egypt on the one hand, and the trade routes. North and south on the other hand; Due to this importance, many archaeological sites have emerged, such as Al-Khuraybah, Haql, Qaryah, Al-Bida', Tayma, Al-Desa, and others, which were evidence of early human settlement throughout advanced eras of history , In addition to that, there is a statement of the tireless efforts undertaken by the government of the Kingdom of Saudi Arabia in the region to uncover the remains of rock monuments from Drawings and inscriptions classify the region within the scope of the historical cultural heritage.

Keywords : History, Tabuk, Antiquities, Archaeological Sites, Recent Discoveries.

المقدمة:

تعد منطقة تبوك من أهم المناطق الشمالية الغربية في الجزيرة العربية التي شهدت استيطانًا بشريًا مبكرًا مما ساعدها على ارتباطها بعلاقات حضارية قديمة مع بلاد الشام ومصر وبلاد الرافدين، ونظرًا لأهمية موقعها الجغرافي الاستراتيجي جعل طرق التجارة القديمة تمر بها سواء داخل الجزيرة العربية أو خارجها , مما أكسبها أهمية تجارية كبيرة, جعلتها محطة عبور لعديد القوافل التجارية، ومن الناحية التاريخية تحتل المنطقة مكانة تاريخية هامة وحضورًا تاريخيًا في عصور ما قبل الاسلام والعصور الإسلامية ، وكل عصر له من الخصائص والميزات ما يعطي المنطقة مزيدًا من الأهمية والحضور ومزيدًا من التنقيب والاكتشافات التي تبين أهميتها، وستتناول الدراسة في صفحات هذا البحث و تسليط الضوء على ما يلي :

- المدلول اللغوي وتسمية تبوك.
- الموقع الجغرافي.
- أهمية المنطقة.
- المواقع الأثرية لمنطقة تبوك.
- أبرز التنقيبات والاكتشافات الأثرية لمنطقة تبوك.

المدلول اللغوي وتسمية تبوك :

وردت تَبُوك - بفتح التاء وضم الباء_ في المعاجم من بوك: ناقة بائكة، وجمعها بوائك ،وتبوك من تبك :وهي اسم لأرض[1] وقال ابن عباد : التبوكي عنب طائفي ابيض قليل الماء ينشق حبه على شجره سميت بذلك نسبة إلى أرض تبوك[2]، كما ورد اسم تبوك في الكتب الكلاسيكية (تباوا Thapaua)،كما يُطلق عليها (تبوكا) أو (تابوكا) أو (تبوق)؛ وهذه الأسماء تتوافق مع المضمون الذي يدور في كيفية العين التي تجري في تبوك لأنها اخذت من التحريك وهو البوك[3].

الموقع الجغرافي:

تقع منطقة تبوك بين دائـرتي العـرض ٣٠.٢٤° ، ٥٢.٢٩ °شمـالاً وخطي الطول ٣٤.٣٤° م ،١٢. ٤٠ °شرقاً ، في الجهة الشمالية الغربية من الجزيرة العربية ،وذكر الاصطخري في تعريفه بتبوك : «وتبوك بين الحجر وبين الشام على أربع مراحل نحـو نصف طريق الشام، وهو حصن به عين ونخل، وحائط ينسب إلى رسول الله -صـلى الله عليـه وسلم- ويقال إن أصحاب الأيكة الذين بُعث إليهم شعيب كانوا بها، ولم يكن شـعيب منـهم، وإنما كان من مدين، ومدين[4] على بحر القلزم (الأحمر) محاذية لتبوك على نحو من سـت مراحـل، وهي أكبر من تبوك وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب، ورأيت هـذه البئر مغطاة قد بني عليها بيت، وماء أهلها من عين تجري لهم، ومدين اسم القبيلة التي كان منـها شعيب، وإنما سميت القريـة بهـم» ([5])وقد قال عزوجل في كتابه : (وإلى مـدين أخـاهم شـعيباً)[6].

أما أهمية منطقة تبوك:

فقد أدى الموقع المتميز الذي تحتله منطقة تبوك بين الجزيرة العربية وبلاد الرافدين وبـلاد الشام ومصر إلى أن تكون ممراً ومقراً عبر العصور، وأدى إلى ذلك أيضا تنوع مصادرها الطبيعية، ففيها الأراضي الصالحة للزراعة، وفيها المراعي الواسعة، وتتعدد موانئها التجارية، كما دلت الدلائل أن استوطن البشر هذه

المنطقة منذ عصور متقدمة، إذ تؤكـد المسوحات الأثرية أن فيها أكثر من ١١٨ موقعاً وشاهداً أثرياً على هذا الاستيطان الذي اسـتمر دون انقطاع [7]، وتشير مواقع تعدين النحاس التي عثر عليها في عـدد مـن الأمـاكن مثـل : مـدين، أن الاستيطان البشري للمنطقة يرجع إلى عام ٤٥٠٠ ق.م، وقد قام هذا الاستيطان على استغلال الواحات لأغراض الزراعة، واستغلال المصادر المعدنية، وهو الأمر الذي نشطت بتطوره التجارة، وأصبحت معه منطقة تبوك مركزاً لشبكة واسعة من طرق التجارة بين الجزيرة العربية جنوبـاً وبلاد الشام ومصر والبحر الأبيض المتوسط وبلاد الرافدين، وقد قام المصريون في أيام الفراعنـة بشق طريق عبر سيناء في شمال الحجاز حتى تيماء ومنها شمالاً إلى بابـل وجنوبـاً إلى الـيمن . وكانت صنعاء قبيل ميلاد المسيح وبعده- عندما ازدهرت مملكة الأنباط - ترسل البضائع صـوب الشمال عبر الحجاز، حيث تلك الطريق المارة بين سلسلتي الجبال المتوازيتين، فتصـل إلى العـلا وكانت محطة الحدود النبطية، وهناك يتسلم الأنباط تلك البضائع وينقلونها إلى تيماء حيث يـتم فرزها ويرسل بعضها إلى الشام، ويرسل قسم منها إلى العقبة فالعريش فسيناء فمصـر، ويرسـل قسم آخر عن طريق حائل إلى بابل . وهكذا كانت أقصر طرق النقل وأكثرها سـهولة بـين جنوب الجزيرة العربية والبلاد المذكورة بما في ذلك مملكة الأنباط . وذلك لأنها كانت تمـر عـبر منطقة تبوك، ولذا أصبحت منذ أقدم العصور محطة مهمة تمر عبرها البضائع والتوابل من الجنوب إلى عالم البحر الأبيض المتوسط[8] وقد شهدت الفترة الممتدة بنهاية الألف الأولى قبل الميلاد وبدايـة القـرن الخـامس الميلادي ازدهار العديد من الحضارات التي كان لمنطقة تبوك نصيب وافر منـها، والتي أظهرت مراكـز عمرانيـة عديدة منها الخريبة، وتبوك، ومقنا، وحقل، ومدين، والبدع، وتيماء[9]. ومما لا شك فيه أن تلك المراكز العمرانية كانت في بداية أمرها محطات تجاريـة صـغير ة، أنشئت قرب مصادر المياه، ثم نمت بمرور الزمن، وأصبح سكانها أيضا يمارسـون التجـارة مـع القوافل، حيث أصبحوا يتبادلون السـلع من منتجاتهم المحلية بما تحضره تلك القوافل من سلع ومواد يحتاجونها ولم يقتصر الاستيطان البشري على وسط منطقة تبوك الذي كان لطـرق التجـارة دور رئيسي فيه، وذلك أن تلك الطرق لم تقتصر بدورها على الداخل،بل كانت هناك طرق من ناحية ساحل البحر الأحمر انشئت فيها مراكز عمرانية ربطت شمال الجزيرة بجنوبها مثل عينونه،حقل، الحوراء[10] وأصبحت منطقة تبوك ذات أهمية بالغة كملتقى لتجار البر والبحر، وتزخـر بالمحطـات والموانئ التجارية، ولذلك أخذت القوى السياسية تحاول السيطرة عليهـا؛ لضـمها والاسـتئثار بالامكانيات الكبيرة التي وفرها موقعها، وأدى ذلك إلى أن تصبح منطقة صراع دولي منذ ما قبل الميلاد،هذا فضلا عن الحضارات القديمة التي نزلت بها[11].

المواقع الأثرية بمنطقة تبوك:

هناك الكثير من الآثار في منطقة تبوك اكتفي بذكر نماذج لما يوجد من بقايا الآثار وحضارات منها:

1. رجوم شوهر[12]: هي جبال صغيرة،وقد كتب (فلبي) في كتاب (أرض الانبياء) وذكر بأنه لم يعثر فيها على اية معالم وأطلق عليها شوهار بينما يتحدث متقدموا السن نقلوا لنا عن وجود عظام كثيرة بداخلها وكذلك وجود بعض الادوات التي تستخدم في الحياة اليومية.
2. قصر التمرة[13] : وهو مكون من حجرتين مبنيتين من الحجارة ومسقوفتين بالحجارة المدرجة . وهو مطل من قمة جبل صغير على دروب متعددة من جهة الغرب حيث حسمى ، وبعض أودية الحرة مثل (قنا) و(الهدرة) و(التميم).

3. قُريّة : هذا الموقع له شهرة قديمة وتمثل اول مركز إستيطاني في الجزيرة العربية ،وأول من زارها من الأوروبيون الألماني (برناود مثبز)عام 1906م ثم زارها سنت جون فلبي (صاحب ارض الأنبياء)وتحدث عنها حديثا وصفيا حيث وصف قمة الجبل ووصف القصور ووصف الافران وذكر الفخار والجداول المائية والاسوار الممتدة في السهل ، وترتفع فوق قمة جبل تحفة السهول من كل جانب ، والجبل قليل المصاعد والمنافذ تكتنفه المزارع والجداول والحدائق من الشرق والغرب والألوان التي زين بها الفخار لا زالت ظاهرة رغم تعرضها لعوامل التعرية[14].
4. المحيبل[15]: وهي عبارة عن مستوطنة سكنية ، وهي من اهم المستوطنات الزراعية السكنية في ارض مدين .
5. روافة : وهي في جنوب غرب مدينة تبوك على مسافة 115 كيلا وهي نبطية رومانية حيث تم بناؤها بين 169-166م وقد كتب عنها سنت جون فلبي في كتاب (ارض الانبياء).
6. الديسة: وتبعد عن تبوك 180كيلا الى الجنوب الغربي ويوجد بالمنطقة واجهات نبطية منحوتة بالصخر ، وبقايا أساسيات جدران مباني سكنية وربما تكون معاصرة لروافة.
7. وادي العويند : وبه كتابات ونقوش قديمة على الصخور يقع غرب تبوك على بعد 50كيلا .
8. النابع : يقع في حسمى غرب تبوك وهي مستوطنة سكنية زراعية قريبة من جبل اللوز من الجهة الشرقية على مسافة عشرة كيلا .
9. الصياني: على بعد عشرين كيلا غرب حارة عمار، عبارة عن مستوطنة سكنية زراعية هامة.
10. حسمى: يقول فيلبي :منطقة الحسمة (حسمى) بأسرها عبارة عن مكتبة ومتحف للصور يعرض فيها أدب العرب الأقدمين وفنهم ، وهي غنية بالاثار إذا ما قورنت بمنطقة تيماء وما جاورها، وكذلك بالنسبة للمراكز الوسطى في الجنوب مثل (القهرة)، والواقع ان تلك المنطقة غنية بالآثار ولا يستغرب وجود هذه الاثار بها، ولكن قلة الباحثين في هذا المجال لم يعط هذه المنطقة ما تستحقة من الاهمية [16].
11. قلعة تبوك: تعد قلعة تبوك من أهم الآثار الموجودة في منطقة تبوك، وهي من محطات طريق الحج الشامي المنطلق من الشام الى المدينة المنورة، والتي تم إنشاؤها عام 1559 ميلادي (976 هجري)، وأعيد تجديد القلعة في عام 1370 هجري، كما أنّها تتكون من طابقين، يحتوي الطابق الأول على ساحة وعدد من الحجرات وبئر ومسجد، أما الطابق العلوي فيحتوي على مسجد مكشوف، وغرف، ودرج يؤدي الى الأبراج التي استُخدمت للحراسة والمراقبة قديما[17].
12. واحة البدع: تقع واحة البدع شمال غرب تبوك، والتي أطلق عليها بطليموس اسم (العيينة)، وقد سكنت الواحة أمم كثيرة قبل الميلاد مما يدل على ازدهارها تجارياً وزراعياً، كما تعتبر آثار شعيب من أهم المواقع الأثرية في مدينة البدع، بالإضافة إلى أنّها تحتوي على قبور منحوتة في الصخر بناها الأنباط، وعلى موقع لمدينة إسلامية قديمة تُعرف باسم الملقطة[18].
13. مواقع أثرية في تيماء: تعد تيماء من أقدم المدن في المملكة العربية السعودية، وهناك العديد من المعالم الأثرية الموجودة فيها والتي تدل على أنّها سُكنت من قبل الآراميين والبابليين

وغيرهم من الحضارات القديمة، ومن أهم الآثار التي وجدت في مدينة تيماء التابعة لتبوك حجر تيماء -الموجود حالياً في متحف اللوفر- والذي يحتوي على نقوش كُتبت باللغة الآرامية، وحصن الأبلق، وسور تيماء القديم الذي كان يحيط بها، وقصر زلوم، وقد عُثر أيضاً على نقوش تعود للعصور القديمة[19].

14. محطة سكة حديد الحجاز: بُنيت سكة حديد الحجاز في العهد العثماني بأمر الحاكم سلطان بن عبدالحكيم الثاني عام 1909 ميلادي، وقد كان الهدف من بنائها خدمة الحرمين الشريفين وتوفير وسيلة لنقل الحجاج القادمين من آسيا وأوروبا إلى الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، بالإضافة إلى تعزيز الروابط بين دول العالم الإسلامي آنذاك، ومن أبرز محطات سكة حديد الحجاز: تبوك، والمدينة المنورة، ومدائن صالح، وقد كان للمحطة دور في نقل المشاة والإمدادات بين الحجاز واليمن عندما استولت بريطانيا على قناة السويس[20].

أبرز عمليات التنقيبات والاكتشافات الحديثة الأثرية بمنطقة تبوك:

§ شكّل الرسوم والنقوش الصخرية المكتشفة بأودية وضواحي منطقة تبوك من ذلك (في وادي أتانة، وادي المذراة)جنوب غربي مدينة تبوك، بالقرب من موقع روافه الأثري، فهي تمثل ما تركه الانسان في مرحلة ما قبل التاريخ من تصاوير فنية بالحفر او النقر الغائر او البارز ما قبل التاريخ فهي تمثل علامات مهمة لفهم الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية في تلك الحقبة وأن هناك دلالة واضحة للاستيطان البشري، من تلك الواجهات الصخرية المكتشفة صورة لخيل وسرج وامرأة رسمت بأسلوب حز الاطراف مع ترك الجسم والاجزاء الداخلية دون تفريغ[21].

- كشفت البعثات السعودية الدولية لعام 7102 تحت اشراف الهيئة العامة للساحة والتراث الوطني بأكثر من 03 بعثة في منطقة تبوك على العثور على عدد من الادوات والنقوش الاثرية والوحدات المعمارية في ثلاثة مواقع(كلوة-قُريّه- عينونة)، تعود لحضارات مختلفة تبدأ من عصور ما قبل التاريخ وحتى العصور الحجرية، ومن تلك الاكتشافات:
- كسر فخارية من العصر الحجري الحديث والحديدي والنحاسي.
- عدد من الادوات الحجرية منها منقاش من الحجر الصوان يرجع للعصر الحجري الحديث.
- آثار مستوطنة اثرية تعود للقرن الرابع قبل الميلاد وهذا في عينونة الاثرية.
- بقايا جدران ممتدة تحت الطبقة الأرضية الحالية مما يشير الى وجود سكنية سابقة.
- المعثورات الفخارية المتنوعة والمطاحن والمدافن والمدقات التي استخدمت في طحن الحبوب او المعادن.
- عدد من الاصداف البحرية المتنوعة.
- بقايا مجموعة من الافران داخل الغرف وبقايا صهر لخامات معدنية مختلفة[22].
- تمكن فريق سعودي فرنسي مشترك عام 7102م في موقع المالحة الأثري بمحافظة البدع بمنطقة تبوك عن العثور على آثار تعود الى فترة 0007عام ، و نقش آرامي يعود الى القرن الرابع الميلادي يحتوي على سبعة اسطر منقوشة على واجهة حجر من الجبس المصقول تشير الدراسات الاولية الى بعض النواحي الاجتماعية في واحة البدع.

- من ابرز الاكتشافات الحديثة لعام 8102م ، تمكن فريق علمي مشترك من هيئة المساحة الجيولوجية السعودية ومؤسسة ماكس بلانك لعلوم تاريخ الإنسان وجامعة الملك سعود من العثور على بقايا اثرية في محافظة تيماء بمنطقة تبوك وهي اثار اقدام انسان قديم يعود عمرها الى 000.58سنة وتعتبر تلك الاحفورة اول دليل ملموس على تواجد الإنسان[23].
- تمكن فريق دولي سعودي مشترك في عام 0202م من العثور على آثار أقدام بشر وفيلة وحيوانات مفترسة حول بحيرة جافة قديمة بمنطقة تبوك ويعود تاريخها الى أكثر من 021ألف سنة ، وعُد الاكتشاف إنجازًا معرفيًا سُجل باسم المملكة العربية السعودية ضمن خارطة الآثار العالمية[24].
- من أبرز الاكتشافات التي أعلنت عنها هيئة التراث عام 1202م ضمن فريق دولي مشترك مع جامعة فينا، كشفت بعد أعمال التنقيب في قُرَيّة بمنطقة تبوك العثور على آثار تعود تاريخها الى مابين 0092و0062ق.م ومن ذلك مقبرة دائرية الشكل على هضبة مرتفعة ، وقد دفن بها أكثر من اثنى عشر شخصًا من الرجال والنساء والأطفال ، كما تم العثور على أكثر من 0001 من الخرز و8 قلائد مصنوعة من اللؤلؤ والأصداف والحجر الأخضر واللازورد ،بالإضافة لبعض بقايا العظام والأواني الفخارية[25].
- أعلنت بعثات سعودية ودولية مشتركة ممثلة بهيئة التراث عن اكتشاف آثار مهمة في محافظة تيماء بمنطقة تبوك كان منها أحفورة (ناب فيل) ضمن مجموعة كبيرة من الأحافير لحيوانات عديدة ،بالإضافة إلى نقوش فرعونية ارتبطت بتواجد الإنسان خلال فترة ما قبل التاريخ[26].

الخـــاتمـــة:

لقد وقفت خلال الدراسة والبحث في هذا الموضوع على عدد من النتائج من أبرزها ما يلي :

- حظيت منطقة تبوك بأهمية ومكانة تاريخية مرموقة منذ القدم؛ نظراً لموقعها الجغرافي المتميز ومقوماتها الطبيعية وتنوّعها ووقوعها على طرق القوافل والتجارة، مما ساعد على الاستيطان البشري فيها منذ أقدم العصور.
- دللت المكتشفات الأثرية على قيام الإنسان بمنطقة تبوك بعدة مهن مثل الزراعة واستئناس مختلف الحيوانات وتربيتها والذي اتضح من خلال الرسومات والنقش على الصخور ،مما أدى لظهور العديد من المراكز العمرانية .
- تزخر منطقة تبوك في مختلف محافظاتها بعدد كبير جدًا من المواقع الأثرية المتنوعة ، التي تعود لحضارات إنسانية متعاقبة ، و تجسد القيمة التاريخية للملكة العربية السعودية واهتمامها بالتراث .
- يمثل الإكتشاف الأثري في منطقة تبوك دليلًا ملموسًا على عمق تاريخ الجزيرة العربية ، وامتداده يشمل فترات متقدمة منذ زمن مبكر في التاريخ.
- بيان جهود المملكة العربية السعودية في الكشف عن المواقع الأثرية وذلك من خلال البعثات العلمية المتخصصة وتوثيق مواقعها من خلال السجلات التابعة لهيئة التراث ، بالإضافة لتسجيلها ضمن قائمة التراث العالمي .

التوصية:

رفع مستوى الاهتمام والوعي المجتمعي ، وذلك من خلال تعزيز الباحثين لإقامة الأنشطة والمشاريع البحثية ؛ للكشف عن المواقع الأثرية بمختلف مناطق المملكة العربية السعودية والتعريف بها وإبرازها على المستوى الدولي ،وضرورة دعم تلك الجهود وتطويرها بما يتواكب مع رؤية المملكة 2030والمكانة التاريخية والحضارية لها .

الملاحق:

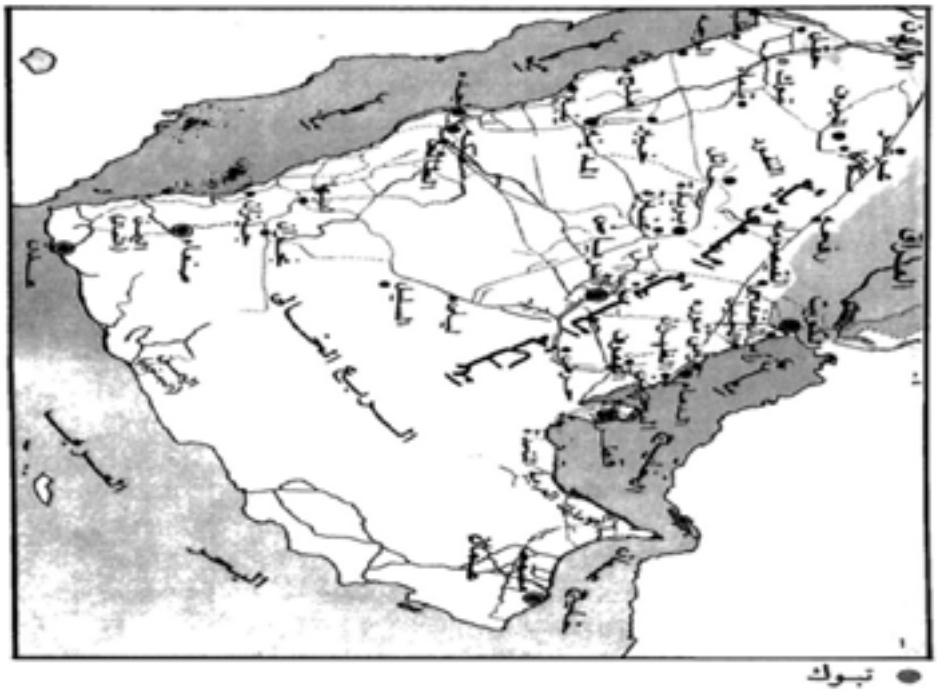

ملحق رقم (1)

موقع منطقة تبوك على خريطة المملكة العربية السعودية[27]

ملحق رقم (2)

اكتشاف بقايا اقدم إنسان عاش في المملكة بتيماء في منطقة تبوك [28]

ملحق رقم (3)

نقوش ورسوم منتشرة في اودية وضواحي منطقة تبوك ويظهر ان الجمال احتلت مساحة كبيرة في المنطقة من الرسومات[29]

ملحق رقم (4)

قلعة تبوك أحد أهم المعالم بمنطقة تبوك[30]

ملحق رقم (5)

رسوم صخرية في موقع كلوة الأثري [31].

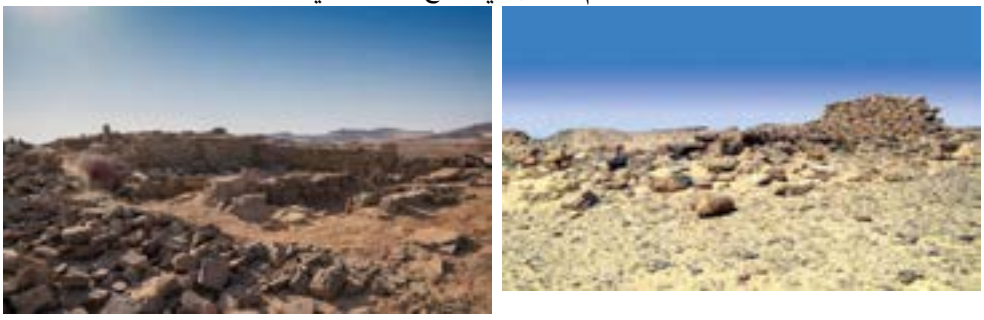

ملحق رقم (6)

موقع قُريَة الأثري [32].

ملحق رقم (7)

صور توضح نتائج التنقيب عام 2021م لموقع قُريَة ويظهر فيها بقايا العظام والأواني الفخارية [33]

ملحق رقم(8)

الواجهة النبطية المنحوتة بالصخر بقرية الديسة الأثرية [34].

ملحق رقم(9)

ناب الفيل المكتشف بمحافظة تيماء ([35])

ملحق رقم (10)

مغاير شعيب منطقة أثرية تضم بيوتًا ومعالم في محافظة البدع [36].

ملحق رقم (11)

محطة سكة الحديد التاريخي ة بتبوك[37]

ملحق رقم (12)

اكتشاف آثار أقدام بشر وحيوانات مفترسة في منطقة تبوك يعود تاريخها الى أكثر 120سنة[38]

ملحق رقم (13)

جبال حسمى الأثرية [39]

الهوامش:

(1) محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، د. ط، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت 1385هـ/1965م، 27/87 ؛ ابن منظور: محمد مكرم المصري: لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرين د. ط، 1/389.

(2) ابن منظور : لسان العرب، 1/389.

(3) حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة «نصوص، مشاهدات، انطباعات»، الرياض، منشورات دار اليمامة للبحث والنشر، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ٤٣٧؛ أ. موسيل: شمال الحجاز، ترجمة عبد المحسن الحسيني، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، 1408هـ/1988، ص. ١٤٠

(4) مدين هنا المقصود بها واحة البدع.

(5) إبراهيم محمد الاصطخري: المسالك والممالك ،تحقيق محمد جابر عبدالعال، القاهرة، منشورات الهيئة العامة لقصور الثقافة، د.ط.،1381هـ/1961م، ص24.

(6) سورة الأعراف، آية 85.

(7) سليمان بن صالح الخضيري، منطقة تبوك دراسة في الجغرافيا الاقليمية، رسالة ماجستير غير منشورة، الرياض، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، 1411ه/1991م، ص٢٣٠.

(8) هاري سانت جون فيلبي: أرض مدين، تعريب يوسف مختار، الرياض، مكتبة العبيكان، 1424هـ/2003م، ص230.

(9) أ. موسيل: شمال الحجاز، ص 132.

(10) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، بغداد،1397هـ/ ١٩٧٧م، ٢ / ٦٠٦.

(11) محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية، 1425هـ/2004م ٤٩٣/٤٩٤؛ سيد أحمد الناصري: الصراع على البحر الاحمر في عصر البطالمة، الرياض، مطابع جامعة الملك سعود، 1404هـ/1984،الكتاب الثاني،401/428.

(12) تقع شمال غرب (طويل النبيه) تبعد عن تبوك عشرة ميلا إلى الجنوب وتمتد الى جبال السروات وتسيل فيها مياه الشعاب المتفرقة من تلك الجبال.

(13) في الجهة الغربية الجنوبية لتبوك على طريق البديعة، يبعد عن تبوك حوالي خمسة عشر كيلا.

(14) زعم فيلبي أنه لم يعثر على شيء يذكر بهذا الموقع إلا ان التنقيبات السعودية قالت لقد اكتشفنا العديد من الادوات الحجرية خلال هذا المسح من ضمنها العثور على منقاش من الحجر الصوان والذي يرجح انه يعود للعصر الحجري الحديث.

(15) في الشمال الغربي من مدينة تبوك على مسافة 38 كم.

(16) مسعد عيد العطوي: تبوك قديما وحديثا، الرياض، مكتبة التوبة، ط1، 1413هـ/ 1993م، ص81.

(17) أيضاً من القلاع قلعة المويلح، تقع في بلدة المويلح بمنطقة تبوك وكان الهدف من بنائها تأمين الحجاج بالمؤن والماء والذخائر تحتوي القلعة على بئرين للحجاج وفناء داخله مسجد، هشام عجيمي: قلعة تبوك، مجلة أم القرى، 1409هـ/1988م،س1، ع2، ص140- 147.

(18) طلال بن محمد محمود الشعبان: الأثار الاسلامية فى منطقة تبوك. مجلة دراسات في علم الآثار والتراث: جمعية الملك سعود - الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، 1438هـ/ 2016م،ع7، ص 107- 146.

(19) نجيب محمد القضيب: منطقة تبوك «1». مجلة القافلة: شركة أرامكو،1409هـ/ 1988م، مج37, ع1، ص10-1.

(20) طلال بن محمد محمود الشعبان، الأثار الإسلامية في منطقة تبوك. مجلة دراسات في علم الآثار والتراث: جمعية الملك سعود - الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، 1438هـ/2016م،ع7، ص 107، 146.

(21) ان اهم المواقع الاثرية المكتشفة بتلك المنطقة حديثا يعود تاريخها لعصور ما قبل التاريخ وهي من مواقع الرسومات الصخرية التي تم ادراجها مؤخراً ضمن قائمة المواقع الاثرية بالمملكة في سجل الاثار الوطني لدى الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني. انظر: رسوم ونقوش تبوك تجسد الارث الحضاري والتاريخي للمنطقة، صحيفة اليوم، الجمعة 3/1/2020م.

(22) آثار من العصر الحجري في تبوك، صحيفة مكة، الخميس22-محرم- 1439هـ/ 12-أكتوبر-2017؛ العثور على آثار تعود للعصر الحجري في ثلاث مواقع بمنطقة تبوك، صحيفة عكاظ،الخميس12- أكتوبر 2017م.

(23) اكتشاف بقايا اقدم وجود الانسان عاش في المملكة قبل 85الف عام، صحيفة الوطن، الاثنين 9 أبريل 2018م.

(24) آثار تبوك تقلب موازين خارطة الحضارات الإنسانية ، صحيفة عكاظ، الأربعاء 16 سبتمبر 2020.

(25) هيئة التراث: المواقع التراثية في منطقة تبوك، ضمن سلسلة المواقع التراثية في المملكة العربية السعودية ،د.ت،ص22.

(26) التراث تعلن عن اكتشافات جديدة في موقع قُرَيَة بتبوك. ، صحيفة الوطن، الخميس 16 ديسمبر 2021م .

(27) محمد علي الهرفي: هذه بلادنا تبوك، الرياض، منشورات الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ط1، 1410هـ/1989م، ص6.

(28) اكتشاف بقايا اقدم وجود الانسان عاش في المملكة قبل 85الف عام، صحيفة الوطن، الاثنين 9 أبريل 2018م.

(29) رسوم ونقوش تبوك تجسد الارث الحضاري والتاريخي للمنطقة، صحيفة اليوم، الجمعة 3/1/2020م.

(30) مسعد عيد العطوي: تبوك المعاصرة والآثار حولها، تبوك، النادي الأدبي بمنطقة تبوك،ط1، 1430هـ/ 2009م، ص253.

(31) هيئة التراث، المواقع التراثية في منطقة تبوك، ضمن سلسلة المواقع التراثية في المملكة العربية السعودية ، د.ت،ص21.

(32) هيئة التراث، المواقع التراثية في منطقة تبوك، ضمن سلسلة المواقع التراثية في المملكة العربية السعودية ، د.ت،ص20.

(33) التراث تعلن عن اكتشافات جديدة في موقع (قُرَيَة) بتبوك، وكالة الأنباء السعودية ،16ديسمبر 2021م.

(34) هيئة التراث، المواقع التراثية في منطقة تبوك، ضمن سلسلة المواقع التراثية في المملكة العربية السعودية ، د.ت،ص48.

(35) هيئة التراث، المواقع التراثية في منطقة تبوك، ضمن سلسلة المواقع التراثية في المملكة العربية السعودية ، د.ت،ص22.

(36) هيئة التراث، المواقع التراثية في منطقة تبوك، ضمن سلسلة المواقع التراثية في المملكة العربية السعودية ، د.ت،ص33.

(37) هيئة التراث، المواقع التراثية في منطقة تبوك، ضمن سلسلة المواقع التراثية في المملكة العربية السعودية ، د.ت، ص 18.

(38) السعودية اكتشاف آثار أقدام لبشر وحيوانات مفترسة ،العربية ، 16 ديسمبر 2020م .

(39) مسعد عيد العطوي: تبوك المعاصرة والآثار حولها، تبوك، النادي الأدبي بمنطقة تبوك،ط1، 1430هـ/ 2009م، ص252.

المصادر والمراجع:

(1) القرآن الكريم.

(2) إبراهيم محمد الاصطخري، المسالك والممالك ،تحقيق محمد جابر عبدالعال، القاهرة، منشورات الهيئة العامة لقصور الثقافة، د.ط.،1381هـ/1961م.

(3) ابن منظور، محمد مكرم المصري، لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرين د. ط، ج1.

(4) حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة «نصوص، مشاهدات، انطباعات»، الرياض، منشورات دار اليمامة للبحث والنشر، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(5) موسيل، شمال الحجاز، ترجمة عبد المحسن الحسيني، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، 1408هـ/. 1988

(6) عبدالله عبدالعزيز البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، 1403هـ/1983م،الجزء الاول.

(7) عبدالله الوهيبي، الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، مج1، س1، 1390هـ/1970م.

(8) سليمان بن صالح الخضيري، منطقة تبوك دراسة في الجغرافيا الاقليمية، رسالة ماجستير غير منشورة، الرياض، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، 1411ه/1991م.

(9) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٧م، ج2.

(10) سيد أحمد الناصري، الصراع على البحر الاحمر في عصر البطالمة، الرياض، مطابع جامعة الملك سعود، 1404هـ/ 1984،الكتاب الثاني.

(11) صحيفة اليوم، الجمعة 3/1/2020م، رسوم ونقوش تبوك تجسد الارث الحضاري والتاريخي للمنطقة.

(12) صحيفة مكة، الخميس 12أكتوبر 2017، آثار من العصر الحجري في تبوك.

(13) صحيفة عكاظ،الخميس12 أكتوبر 2017، العثور على آثار تعود للعصر الحجري في ثلاث مواقع بمنطقة تبوك.

(14) صحيفة الوطن، الاثنين 9 أبريل 2018، اكتشاف بقايا اقدم وجود الانسان عاش في المملكة قبل 85 ألف عام.

(15) صحيفة الوطن، الخميس 16 ديسمبر 2021م ، التراث تعلن عن اكتشافات جديدة في موقع قُريَة بتبوك.

(16) صحيفة عكاظ، الأربعاء 16 سبتمبر 2020، آثار تبوك تقلب موازين خارطة الحضارات الإنسانية .

(17) طلال بن محمد محمود الشعبان: الأثار الاسلامية في منطقة تبوك. مجلة دراسات في علم الآثار والتراث: جمعية الملك سعود - الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، 2016،ع7.

(18) هاري سانت جون فيلبي، أرض مدين، تعريب يوسف مختار،، الرياض، مكتبة العبيكان، 1424هـ/ 2003م.

(19) هشام عجيمي: قلعة تبوك، مجلة أم القرى، 1409هـ/1988م ، س1، ع2.

(20) هيئة التراث، المواقع التراثية في منطقة تبوك، ضمن سلسلة المواقع التراثية في المملكة العربية السعودية ، د.ت.

(21) محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية، 1425هـ/2004م.

(22) محمد علي الهرفي، هذه بلادنا تبوك، الرياض، منشورات الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ط1، 1410هـ/1989م.

(23) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، د.ط، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت 1385هـ/1965م،ج 27 .

(24) مسعد عيد العطوي، تبوك قديما وحديثا، الرياض، مكتبة التوبة، ط1، 1413هـ/ 1993م.

(25) مسعد عيد العطوي، تبوك المعاصرة والآثار حولها، تبوك، النادي الأدبي بمنطقة تبوك،ط1، 1430هـ/ 2009م.

(26) نجيب محمد القضيب، منطقة تبوك « 1 «. مجلة القافلة: شركة أرامكو،1988 مج37, ع1.

(72) وكالة الأنباء السعودية ، 16ديسمبر 2021م، التراث تعلن عن اكتشافات جديدة في موقع (قُريَة) بتبوك.

دور أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ في العهد النبوي
(27 ق . هـ – 74 هـ / 595 – 693 م)

أ.نجلاء محمد أحمد الجعوري

باحثة ماجستير – قسم التاريخ والآثار- كلية العلوم الاجتماعية
جامعة أم القرى- المملكة العربية السعودية.

المستخلص:

دور المرأة في الإسلام له أهمية كبيرة، وقد أنصف الإسلام المرأة وحفظ حقوقها؛ فهي نصف المجتمع، وأم الأجيال، والأساس المتين الذي لا يستقيم المجتمع بدونه، وما يُتداول بأن الإسلام ظَلَم المرأة؛ فهذا افتراء على الدين الإسلامي وتزييف للحقائق، بل المرأة لها أدوار عديدة في مختلف العصور الإسلامية، كما شاركت في نشر الثقافة والعلوم، وشَهدت أدوارها كتب التاريخ ونقلتها إلينا؛ لنقتدي بهنَّ، وخير مَن نقتدي به أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن- والصحابيات من بعدهن – رضي الله عنهن-، وتظهر أهمية هذه الدراسة في التعرف على الحياة الاجتماعية لأسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما-، بالإضافة إلى إيضاح مكانة ودور المرأة في الإسلام وعنايته بحفظ حقوقها وواجباتها وإعطائها حق المساواة، كما أن أهم أهداف الدراسة يتمحور في التعرف على دور أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما- في إنجاح الهجرة النبوية، وبالنسبة لمنهج الدراسة فقد اتبعت الباحثة المنهج التاريخي الحضاري، معتمدةً على الأسلوب الاستقرائي التحليلي؛ لإبراز دور أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما- في الهجرة النبوية، حيث إن من أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه الدراسة تعزيز دور المرأة في الإسلام وتكريمها وتمكينها في خدمة المجتمع، وأن سيرة أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما- من ضمن أهم القصص التاريخية والنبوية للنساء خاصةً.

كلمات مفتاحية: أسماء بنت أبي بكر - أبو بكر الصديق - عبدالله بن الزبير - المرأة - الهجرة النبوية.

The role of Asmaa bint Abi Bakr - may God be pleased with them both - in the Prophet's era
(27 B.H - 74 H / 595 AD - 693 AD)

Najlaa Mohammed Al jaouri

The role of women in Islam is of great importance, and Islam has done justice to women and preserved their rights, as they are half of society, the mother of generations, and the solid foundation without which society cannot be upright, and what is being said is that Islam has oppressed women; This is a slander against the Islamic religion and a falsification of facts. Indeed, women have many roles in various Islamic eras. They also participated in spreading culture and science, and their roles were witnessed in history books and transmitted to us. Let us imitate them, and the best ones to imitate are the Mothers of the Believers - may God be pleased with them - and the female companions after them - may God be pleased with them -, and the importance of this

study appears in identifying the social life of Asmaa bint Abi Bakr - may God be pleased with them -, In addition to clarifying the status and role of women in Islam and its concern for preserving their rights and duties and giving them the right to equality, the most important objectives of the study revolve around identifying the role of Asma' bint Abi Bakr - may God be pleased with them both - in the success of the Prophet's migration. As for the study's approach, the researcher followed the cultural-historical approach, Relying on the inductive and analytical method, to highlight the role of Asma bint Abi Bakr - may God be pleased with them both - in the Prophet's migrationk ,One of the most important findings reached by the researcher in this study is to enhance the role of women in Islam and honor and empower them in serving society, and the biography of Asma bint Abi Bakr - may God be pleased with them - is among the most important historical and prophetic stories for women in particular.

Keywords: Asmaa bint Abi Bakr - Abu Bakr Al-Siddiq - Abdullah bin Al-Zubayr - women - the Prophet's migration.

المقدمة:

لأسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنهما- دور جلي في العهد النبوي، فهي التي صنعت سُفرةً[1] حين الهجرة، وظلت صامدةً صابرةً بعد هجرة أبيها مع الرسول ﷺ إلى المدينة، وتصرفها هذا يدل على حُسن تدبيرها، فقد كانت مثالًا للمرأة الشجاعة، فهي من السابقين للإسلام، ومن الصحابيات اللاتي أسلمن، وخدمت الإسلام برجاحة عقلها، وهي زوجة الزبير بن العوام -رضي الله عنه-، ووالدة عبدالله بن الزبير - رضي الله عنه-، فقد كانت أمًّا مثالية، وصاحبية جليلة، وعالمة فاضلة، حفظت لها كتب السنة النبوية والتاريخ مآثرها النبيلة.

مولد ونسب أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما:

المولد:

وُلِدت أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- قبل بعثة النبي ﷺ بسبع عشرة سنةً، وكان عُمرُ أبي بكر -رضي الله عنه- حين وُلِدت إحدى وعشرين سنةً، وكانت لأسماء يوم ماتت مائة سنة [2].

النسب:

هي أسماء بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم[3].

أمها قتيلة بنت عبد العزى بن أسعد بن جابر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وهي أخت عبد الله بن أبي بكر الصديق لأبيه وأمه[4].

كان والدها عبد الله بن أبي قحافة واحدًا من تُجار مكة، له فضل ومكانة، وجدها لأبيها (أبو قحافة) هو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التميمي، يلتقي مع نسب رسول الله ﷺ في مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب[5].

نشأة أسماء بنت أبي بكر -رضي اللّه عنهما:

كان أبوها أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- يجلس مع أسماء -رضي الله عنها- وإخوتها ليحدثهم عن العرب وأنسابها، ويقص عليهم قصص الحروب والغزوات، والأشعار والندوات، فيجدون في ذلك المتعة والفائدة بقصص السابقين في تاريخ العرب، وبينما هي كانت تفكر في أمر الأصنام، والحروب التي تنشب بين الإخوة لأتفه الأسباب، والظلم من القوي للضعيف[6]، وفي ذات مرة رأت والدها عاد إلى البيت وفي وجهه علامات التأثر؛ فهو بين الفرح والخوف، والحذر والأمل، فأثار ذلك في أسماء الحيرة من أمر والدها أبي بكر، فاقتربت منه وسألته عن حاله، وعن الأمر الذي طرأ عليه فأشغله، فأخبرها: لقد ظهر الحق يا ابنتي، وأراد الله لعباده خيرًا، فقد ظهر الدين المؤيد على يد نبيه محمد ﷺ، فقد أمره الله -عز وجل- بأن يدعو الناس إلى التوحيد وعبادته، وترك الأصنام والأوثان التي لا تنفع ولا تضر [7]. ولم تشأ أن تقاطع أباها الذي أخبرها بالدين الجديد، بل كانت تزداد لهفةً وتشوقًا لمعرفة هذا الرجل الذي بعثه الله نبيًّا، فحكى لها أبوها عن النبي ﷺ الأمين زوج خديجة - رضي الله عنها -، ودعوته للفضيلة، وترك الرذيلة، فآمنت به، وأسلمت لرب العالمين[8].

أسلمت أسماء -رضي الله عنها- بمكة قديمًا [9] ، وكان إسلامها بعد سبعة عشر إنسانًا، وعمرها لم يتجاوز الرابعة عشرة[10]، وبايعت وشقت نطاقها ليلة خرج رسول ﷺ إلى الغار، فجعلت واحدًا لسفرة رسول ﷺ والآخر عصامًا لِقربته فلُقِّبت بذات النطاقين[11].

تزوجها الزبير وكانت صالحة؛ كانت تمرِّض المرضة فتعتق كل مملوك لها، فعن عبد الله بن الزبير قال: ما رأيت امرأتين قط أجود من عائشة وأسماء، وجودهما مختلف؛ أما عائشة -رضي الله عنها- فكانت تجمع الشيء، حتى إذا اجتمع عندها قسمت، وأما أسماء -رضي الله عنها- فكانت لا تمسك شيئًا لغدٍ [12].

زواج أسماء بنت أبي بكر – رضي اللّه عنهما:

تزوجها الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، فولدت له عبد الله، وعروة، والمنذر، وعاصمًا، والمهاجر، وخديجة الكبرى، وأم الحسن، وعائشة [13].

قالت أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما-: تزوجني الزبير وما له في الأرض مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه، فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤونته، وأسوسه وأدق النوى الناضحة وأعلفه، وأسقيه الماء وأخرز غربه، وأعجن ولم أكن أحسن أخبز، فكان يخبز جارات لي من الأنصار وكنَّ نسوة صِدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي، فجئت يومًا والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه، فدعا لي ثم قال: إخ إخ، ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغَيرته، وكان من أغير الناس، قالت: فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت فمضى، فقلت للزبير: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب معه، فاستحييت وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد عليَّ من ركوبك معه، ثم أرسل إليها أبوها بخادم، فكفتها سياسة الفرس [14].

كما أن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- كانت تحت الزبير بن العوام، وكان شديدًا عليها فأتت أباها فشكت ذلك إليه، فقال: يا بنية اصبري؛ فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح ثم مات عنها فلم تزوج بعده جمع بينهما في الجنة [15]. ثم إن الزبير طلقها فكانت عند ابنها عبد الله [16].

مناقب أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما:

كانت أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- تقول لبناتها ولأهلها: أنفقوا أو أنفِقن وتصدقن ولا تنتظرن الفضل؛ فإنكن إن انتظرتن الفضل لم تفضلن شيئًا، وإن تصدقتن لم تجدن فقده، قال رسول الله ﷺ لأسماء بنت أبي بكر: «لا تُوكِي فيُوكِي اللهُ عليك»، وكانت امرأة سخية النفس [17].

روت عن النبي ﷺ، وعنها ابناها عبد الله وعروة ابنا الزبير، وأحفادها عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير، وعمه عباد بن عبد الله وعبد الله بن عروة بن الزبير، وفاطمة بنت المنذر بن الزبير ومولاها عبد الله بن كيسان وصفية بنت شيبة وعبد الله بن عباس ومسلم المعري وأبو نوفل بن أبي عقرب وعبد الله بن أبي مليكة ووهب بن كيسان وغيرهم [18]. وكانت تُلقّب بذات النطاقين، قال أبو عمر: سماها رسول اللَّه ﷺ؛ لأنها هيّأت له لما أراد الهجرة سفرةً، فاحتاجت إلى ما تشدّها به، فشقّت خمارها نصفين فشدّت بنصفه السفرة، واتخذت النصف الآخر منْطقًا [19].

موقف أسما بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- قبل الهجرة النبوية:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ للمسلمين بمكة: قد رأيت دار هجرتكم بأرض سبخة ذات نخل بين لابَتَين، وهما الحَرتان، فهاجر من هاجر إلى المدينة حين ذكر رسول الله ﷺ ذلك، ورجع إلى المدينة بعض من هاجر إلى الحبشة، وتجهز أبو بكر -رضي الله عنه- مهاجرًا، فقال له رسول الله ﷺ: على رسلك؛ فإني أرجو أن يؤذن لي، فقال أبو بكر -رضي الله عنه: أترجو ذلك بأبي أنت وأمي؟ قال: نعم، فحبس أبو بكر -رضي الله عنه- نفسه على رسول الله ﷺ لصحبته، وعلف أبو بكر راحلتين كانتا عنده ورق الشجر أربعة أشهر، قالت عائشة -رضي الله عنها: فبينما نحن جلوس في بيتنا في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ مقبلًا مقنعًا رأسه، في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، إن جاء به في هذه الساعة إلا أمر، فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له، فدخل فقال رسول الله ﷺ حين ذاك: يا أبا بكر، أخرج من عندك، فقال أبو بكر -رضي الله عنه: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، فقال له رسول ﷺ: إنه قد أُذِن لي في الخروج، فقال أبو بكر -رضي الله عنه: فالصحبة بأبي أنت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم فقال أبو بكر -رضي الله عنه: فخُذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين، فقال رسول الله ﷺ: بالثمن، قالت عائشة -رضي الله عنها: فجهزناهما أحث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر من نطاقها فأوكَت به الجراب، فلحق النبي ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور [20].

ومن المواقف أيضًا التي حصلت قبل الهجرة النبوية، عن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر، أتانا نفر من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم، فقالوا: أين أبوك يا ابنة أبي بكر؟ قلت: لا أدري والله أين أبي! قالت: فرفع أبو جهل يده -وكان فاحشًا خبيثًا- فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي، ثم انصرفوا ومكثنا ثلاث ليال، لا ندري أين توجه رسول الله ﷺ، حتى أقبل رجل من الجن، من أسفل مكة يغني بأبيات من الشعر غناء العرب والناس

يتبعونه، يسمعون صوته وما يرونه، حتى خرج من أعلى مكة، وهو يقول:

جزى الله ربُّ الناسِ خيرَ جزائهِ ... رَفيقَين حَلَّا خَيمتي أمَّ معبدِ

هُما نَزَلاها بالهدى واغتَدَوا به ... فأفلَحَ مَن أمسى رفيقَ محمَّدِ

لِيَهْن بني كعبٍ مكانُ فَتاتِهم ... ومَقعدها للمؤمنينَ بمَرصدِ

قالت: فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ، وأن وجهه إلى المدينة، وكانوا أربعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن أرقد دليلهما [21].

موقف أسماء بنت أبي بكر -رضي اللّه عنهما- بعد الهجرة النبوية:

وقد ذكرت أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما-: أنه عندما خرج رسول الله ﷺ، وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر ماله كله، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف، فانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لا أراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قالت: قلت: كلا يا أبت! إنه قد ترك لنا خيرًا كثيرًا، قالت: فأخذت أحجارًا فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبًا، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبت، ضع يدك على هذا المال، قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن. وفي هذا بلاغ لكم، ولم يترك لهم أبوهم شيئًا ولكنها أرادت أن تسكِّن الشيخ بذلك [22].

ثم هاجرت وهي حامل بولدها عبد اللَّه بن الزبير، فوضعته بقباء [23]، في السنة الأولى من الهجرة، وكان أول مولود في الإسلام من المهاجرين [24].

وفاة أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما-:

عاشت أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما- مائة سنة، وماتت سنة ثلاث أو أربع وسبعين للهجرة [25].

ومن هنا يتضح لنا دور أسماء بنت أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما- حيث اتصفت بالصبر، والحنكة، وحسن التصرف، وقوة الإرادة، وكانت خير مثال يُحتذى به.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث ترجو الباحثة أن تكون قد وُفِّقت في جمع مادة علمية شاملة موجزة، في سيرة الصحابية الجليلة أسماء بنت أبي بكر الصديق -رضي الله عنها-، بحيث تم إبراز الجوانب الهامة، ودورها الجلي في الهجرة النبوية، وفطنتها وحسن تصرفها في الأزمات، ولم يغفل الإسلام عن حقوقها، بل إن المرأة كان لها وافر الحظ والنصيب في المشاركة بالدعوة الإسلامية، وقد أنصفها الإسلام وكرمها، وعلا بشأنها، وأعاد إليها حقوقها المسلوبة في الجاهلية، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: 195].

أهم نتائج البحث:

- حظيت المرأة في الإسلام على مكانة عظيمة.
- دور الصحابية أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- لم يقتصر على شؤون بيتها.

- مساهمة أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- في الدعوة الإسلامية، ودورها في إنجاح الهجرة النبوية.
- نيل أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- شرف الرواية عن النبي ﷺ.
- حرص أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- على طاعة زوجها والصبر على شدته.
- مهمة تبليغ الدعوة الإسلامية في بادئ الأمر لم تكن سهلة.
- -أهمية العمل بالأسباب والتوكل على الله لبلوغ الأهداف وتحقيق الرغبات.

الهوامش:

(1) **سفرة:** طعام المسافر. **انظر: الفراهيدي:** أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت ١٧٠هـ)، **العين،** ب. ط، دار ومكتبة الهلال، ب. ت، 7/ 247.

(2) **الهيثمي:** أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت: ٨٠٧هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،** ب. ط، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، 9/ 260.

(3) **ابن سعد:** أبو عبدالله محمد (ت230هـ)، **الطبقات الكبرى،** ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ/ 1990م، 8/196.

(4) ابن سعد، **الطبقات،** 8/196.

(5) **بريغش:** محمد حسن، **ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما-،** ط2، مكتبة المنار، الزرقاء، 1403هـ/ 1983م، ص9.

(6) بريغش، **ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما-،** ص36،37.

(7) بريغش، **ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما-،** ص37،38.

(8) بريغش، **ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما-،** ص38 -40.

(9) **الجوزي:** جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ)، **صفة الصفوة،** دار الحديث، القاهرة، 1421هـ/ 2000م، 1/333.

(10) بريغش، **ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما-،** ص40.

(11) الجوزي، **صفة الصفوة،**1/333.

(12) الجوزي، **صفة الصفوة،** 1/333.

(13) ابن سعد، **الطبقات الكبرى،** 8/196.

(14) ابن سعد، **الطبقات الكبرى،** 8/197.

(15) ابن سعد، **الطبقات الكبرى،** 8/197.

(16) ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، عز الدين (ت: 630هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط1، دار الكتب العلمية، 1415هـ/ 1994م، 7/7.

(17) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 8/197.

(18) العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل (ت: 852هـ)، **تهذيب التهذيب،** ، ط1، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٦هـ 12/ 397.

(19) العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة،** 8/13.

(20) الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت: 430هـ)، **دلائل النبوة،** ط2، دار النفائس، بيروت، 1406هـ / 1986م، 1/ 325.

(21) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت:310ه)، **تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)،** ط2، دار التراث، بيروت، 1387هـ 2/ 380-379.

(22) ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت213ه)، **السيرة النبوية،** ط2، الناشر مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1375هـ/ 1955م، 1/488.

(23)**العسقلاني:** أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل (ت: 852هـ)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ 8/13.

(24)**السلمي:** محمد صامل؛ وآخرون، **صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر** ﷺ، ط2، 1435هـ/ 2014م، ص181.

(25)**العسقلاني:** أحمد بن علي بن حجر (ت: 852هـ)، **تقريب التهذيب**، ط1، دار الرشيد – سوريا، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص 743.

المصادر المراجع :

(1) القرآن الكريم.

(2) ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، عز الدين (ت: 630هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط1، دار الكتب العلمية، 1415هـ/ 1994م.

(3) ابن سعد: أبو عبدالله محمد (ت230هـ)، الطبقات الكبرى، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ/ 1990م.

(4) ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت213هـ)، السيرة النبوية، ط2، الناشر مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1375هـ/ 1955م.

(5) الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت: 430ه)، دلائل النبوة، ط2، دار النفائس، بيروت، 1406هـ / 1986م.

(6) الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ)، صفة الصفوة، دار الحديث، القاهرة، 1421هـ/ 2000م.

(7) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت:310هـ)، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، ط2، دار التراث، بيروت، 1387هـ.

(8) العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل (ت: 852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.

(9) العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل (ت: 852هـ)، تهذيب التهذيب، ، ط1، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٦هـ.

(10)العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل (ت: 852هـ)، تقريب التهذيب، ط1، دار الرشيد - سوريا، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(11)الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت ١٧٠هـ)، العين، ب. ط، دار ومكتبة الهلال، ب. ت.

(12)الهيثمي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت: ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ب. ط، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

المراجع:

(1) بريغش: محمد حسن، ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما-، ط2، مكتبة المنار، الزرقاء، 1403هـ/ 1983م.

(2) (2) السلمي: محمد صامل؛ وآخرون، صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر ﷺ، ط2، 1435هـ/ 2014م.